كتاب مدرسي

تاريخ الأديان

إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ

دار الأرقم

بسم الله الرحمن الرحيم

إسطنبول: ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م

إسطنبول: ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م

اسم الكتاب باللغة التركية: Dinler Tarihi (Ders Kitabı)

الترجمة للعربية: تاريخ الأديان .

تأليف: د. أردوغان باش- د. صالح إنجي.

تنسيق: د. فاروق كانقر .

مستشار الشؤون الدينية: لقمان حلوجي .

ترجمة: رضوان عدن .

مراجعة وتصحيح وتدقيق: أرسين أشجي أوغلو/ فاطمة أرسين إشجي أوغلو.

تصميم وتنضيد: حسام يوسف

ISBN: ٩٧٨٩٩٤٤٨٣٧٠٦٤

Language : Arabic

طباعة وتغليف: مطبعة دار الأرقم

العنوان:



Address : Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Phone : +90 212 671 07 00 (Pbx)
Fax : +90 212 671 07 48
E-mail : info@islamicpublishing.net
Web site : www.islamicpublishing.net

كتاب مدرسي

المرحلة الدراسية الثانوية

تاريخ الأديان

د. أردوغان باش- د. صالح إنجي



فهرس

الوحدة الأولى

مصدر تعريف الدين وأهميته وتصنيفه/ ١٠

الوحدة الثانية

معلومات عامة عن الرسائل السماوية/ ٢٨

الوحدة الثالثة
الأديان في إفريقيا منذ القديم إلى يومنا هذا / ٥٣

الوحدة الرابعة
الإيمان بالله ﷻ في اليهودية والنصرانية والإسلام / ٧١

الوحدة الخامسة
الإيمان بالكتب
عند اليهود والنصارى وفي الإسلام / ٩٣

الوحدة السادسة
الإيمان بالرسل والملائكة والآخرة
عند اليهود والنصارى وفي الإسلام / ١١٥

الوحدة الثامنة

التنصير / ١٦٥





الوحدة الأولى

مصدر تعريف الدين وأهميته وتصنيفه

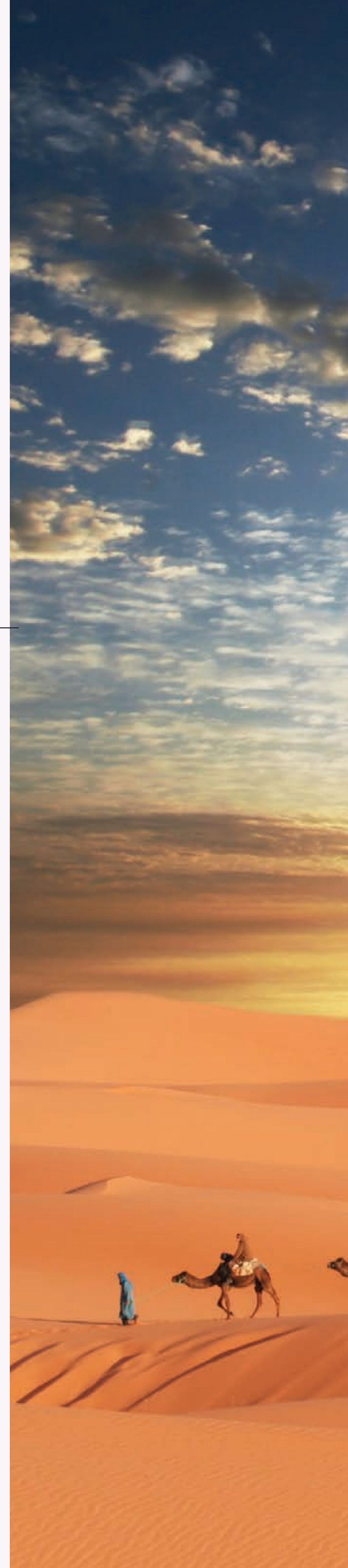
الموضوعـــــــــــــات

 تعريف الدين .

 مصدر الشعور بالدين في الإسلام .

 أهمية الدين .

 تصنيف الأديان .



١ . تعريف الدين

الدين كلمة عربية تدل لغةً على معنى الطريق، ونمط الحياة، ويوم الحساب، والقانون، وما شابهه من المعاني. وقد عرَّف علماء الإسلام الدينَ على أنه:"قانون إلهي أساسُه الوحي الموحى إلى الأنبياء، يسوق الناس العقلاء بإرادتهم الحرة، إلى الطريق المستقيم".

واعتماداً على هذا التعريف فإننا نستطيع أن نسرد الخصائص الأساسية للدين فيما يلي:

١. **الدين قانونٌ إلهيٌ**: فالدين يعتمد على الله؛ لأن الله تعالى هو الذي شرعه للعباد. وأما وظيفة الأنبياء فليست إلا تبليغه لهم، وشرحه، وتطبيقه بحيث يكونون قدوة لغيرهم.

٢. **الدين يدعو إلى السعادة الأبدية**: يدعو الدين الناس إلى الحقيقة المطلقة، أي إلى النجاة في الدنيا والآخرة والفوز الأبدي.

٣. **الدين يعتمد على الوحي الذي جاء به النبي**: يُعْلِم الله تعالى عبادَه بدينهم عن طريق الأنبياء المختارين من بين الناس. قال الله تعالى في شرف الأنبياء:

٤. ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾[١]

فكان إرسال الأنبياء أمراً ضرورياً من أجل تبليغ الدين؛ فهم يبلّغون الناس الدينَ كما تلقّوه عن الله تعالى عن طريق وسائل الاتصال الخاصة بهم. قال الله تعالى في هذا الشأن:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾[٢]

٥. **الدين يخاطب العقل البشري**: يخاطب الدين العقلاء من البشر؛ لأن الإسلام دين يقبله العقل والمنطق البشري السليم. بل إن غير العقلاء غير مكلفين من الناحية الدينية وغير مسؤولين.

٦. **الدين يعترف بحرية الاعتقاد**: فقد منع القرآن الكريم من إكراه الناس على الدين، فقال تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾[٣]؛ وأمر نبيه ﷺ أن يقول للكفار: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٤]

لهذا كان كل الناس أحراراً في اختيار الطريق الذين يريدونه، إلا أنهم سيجدون في الآخرة جزاء ذلك الطريق، إما ثواباً، وإما عقاباً.

---

١ ص، ٤٧.

٢ المائدة،٦٧.

٣ البقرة، ٢٥٦.

٤ الكافرون، ٦.

٢. مصدر الشعور بالدين في الإسلام

إن نظرةً في تاريخ البشرية توضح أن الشعور بالدين أمر مشترك بين جميع الناس، وأن التفكير الديني قد كان سائداً في جميع التجمعات البشرية، بما فيها أحطّ القبائل بدائيةً وأرقى الشعوب مدنية. وقد دلّنا الإسلام على أن الشعور الإيماني أمر فطري، وُجد في الإنسان منذ ولادته، وعلى أن أول دين عرفته الإنسانية هو دينُ التوحيد، الدينُ الذي وضعه الله تعالى للبشر. فالله تعالى هو الذي خلق البشر وسائر الكائنات، وأرسل الرسل مبلغين، وعلم آدم عليه السلام اسم كل شيء، واختاره ليكون أول نبي، ثم أرشد آدمُ عليه السلام أهلَ زمانه إلى الحق بما أوحاه الله تعالى إليه وألهمه إياه.

وبعد أن مرّ على الناس زمان نسوا التوحيد، وبدؤوا يتخذون لأنفسهم آلهة يعبدونها من دون الله تعالى، كالشمس، والقمر، وما صنعوه بأيديهم من أصنام؛ فأرسل الله تعالى إليهم أنبياء يرشدونهم إلى الدين الحق. لهذا كان المعروف في تاريخ البشرية هو توحيد الإله، أي الاعتراف بإله واحد.

ولكن بعد ذلك بدأ الناس يبتعدون شيئاً فشيئاً عن دينهم، فنشأ فيهم معتقد تعدد الآلهة، وعبادة الأصنام؛ فكان من رحمة الله تعالى بالعباد أنْ أرسل إليهم بين الحين والآخر أنبياء وأنزل معهم كتباً تعلمهم الحقائق الإلهية ليهتدوا بها.

وقصّ الله تعالى علينا ذلك في كتابه الكريم فقال:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٥]

وقال أيضاً: **﴿...وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾**[٦]

وقال سبحانه: **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾**[٧]

وكون الشعور بالدين أمراً مجبولاً عليه الإنسان منذ ولادته يدلنا عليه قوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾[٨]

وقد ورد حديث نقله إلينا أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ!؟».[٩]

---

٥ النحل، ٣٦.

٦ الرعد، ٧.

٧ الإسراء، ١٥.

٨ الروم، ٣٠.

٩ البخاري، الجنائز، ٩٢/ ١٣٨٥.

فهذا الحديث يدل على أن الشعور الديني فطري، وأن الإنسان المولود نقياً بريئاً إنما يتغير دينه بتأثير من العائلة والوسط.

وكما تبين لنا فإن مصدر الدين في الإسلام مصدر إلهي، وإنما يتغير الناس بعد ذلك مع مرور الزمان فينحرفون عن الصراط المستقيم. لهذا يرسل الله تعالى إليهم رسلاً، حين يقتضي الأمر، ليعيدوهم مرة أخرى، عن طريق الوحي الإلهي، إلى طريق الحق الذي فارَقوه.

٣. أهمية الدين

لقد عرفت البشرية الدين على مدار تاريخها الطويل، وسيبقى قائماً في حياتها المستقبلة. وحتى لو وجد إنسان بغير دين، فإنه لم يوجد مجتمع بغير دين في أي فترة من فترات التاريخ. وأشار إلى هذه الحقيقة الفيلسوف المشهور هنري برغسون Henri Bergson بقوله: «لقد وجدت مجتمعات بشرية خالية من العلم، والفن، والفلسفة، وستوجد في المستقبل. ولكن لم يُعرَف مجتمع خال من الدين».

لقد خلق الله تعالى الإنسان، وجعل فيه خاصّية بها قد ينحطّ بها عن مرتبة الحيوان من الناحية النفسية الشهوانية، كما أنه قد يسمو بها ليغدو أفضل مرتبة الملائكة من الناحية الروحانية. وذلك امتحاناً من الله تعالى له. ونتيجةً لهذا الامتحان، فإن العبد إذا أدى أعمالاً صالحة في حياته؛ ارتقى إلى مرتبة أن يكون «خليفة الله» في الأرض، وبالتالي يؤول إلى السعادة الدنيوية، وإلى الأخروية الأبدية. وأما إذا كانت أعماله سيئة؛ فإنه سيعتبر فاشلاً في هذا الامتحان، وبناءً على هذا يخسر حياته الدنيا مثلما يخسر حياته الأخرى.

ولا يتحقق نجاح الإنسان في هذه الحياة الدنيا إلا بامتثاله لأوامر الدين الحنيف و وقوفه عند نواهيه. ولا يسعى الدين ليوفر للعبد المؤمن السعادة في الحياة الآخرة فحسب، ولكن يمده بأسباب السعادة الدنيوية أيضاً. فالدين نظامُ حياةٍ يُسَيِّر الناس ويوجّههم إلى الخير والأعمال الصالحة حتى في الميادين التي لم تبلغها القوانين والنظم البشرية. وذلك أن الدين عدوّ للفوضى، والظلم، وأكل حقوق الناس، والمنكر والبغي. كيف لا والدين يجعل من حماية توازن المجتمع واحداً من مقاصده الكبرى. والتاريخ شاهد بأن المجتمعات الضعيفة من الناحية الاقتصادية والمادية قد استطاعت أن تستمر في معيشتها؛ ولكن المجتمعات الضعيفة من الناحية الدينية والروحية، وكذا المجتمعات التي انهارت معنوياتها، لم يستطع أكثرُها المحافظة على ممتلكاته.



وضعْف الدين في النفوس يسرّع ارتكاب الجرائم والمخالفات الأخلاقية والقانونية؛ لأن غياب الدين لا يُبقي للأخلاق قوةً تدفع الناس على الاستقامة. وإذا ارتفع من الوجدان مفهوم الحلال

والحرام؛ اختلّ توازن المجتمع ونظامه، ولم يستطع أي شيء أن يمسك جماح البشر، لا فرادى ولا جماعات، وتحكّمت فيهم الفوضى، ومن ثَمَّ تبدأ تنخر فيهم شتى الاضطرابات والآفات. في حين أن الإنسان المؤمن بوجود الخالق، والمؤمن المتحكمَ في نفسه وغرائزه في كل زمان ومكان، هو على خلاف الإنسان الآخر، إذ يسعى دائماً إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات.

والإنسان لا يخشى الموت، وإنما يخشى الفناء. والحقيقة في عقيدة الإسلام، أن الإنسان لا يفنى بالموت، إذ الموت بدايةٌ لحياة جديدة وأبدية. وهذه العقيدة هي التي توجه الإنسان ليسعى إلى نيل رضا الله تعالى. وفي سبيل تحقيق هذا الهدف يعمل على الصمود في وجه متاعب الدنيا ومصائبها؛ لأنه يعلم أن شعوره بالوحدة، وفقدان الأمان، وبالتشاؤم، واليأس، لا يزيله إلا التجاؤه إلى الدين، ووقوفُه بين يدي ربه يعرض عليه آلامه وأحزانه. فهو بفضل ما عنده من دين يَبلُغ رتبة الغنى القلبي.

وقد لخص الله تعالى لنا هذه الحقيقة المعاشة في عبارة موجزة حين قال سبحانه:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [١٠]

إن المجتمعات التي لا تسود فيها السيادة الدينية على غيرها ستسودها شريعة الغاب والناب، ومنطق أن «الحق مع القوي، والحياة للأقوياء، والقهر والويل للضعفاء»، وبالتالي يكتسب هذا القانون المعوج العديم الرحمة مصداقية في واقع الحياة؛ ومن المحال أن تعرف تلك المجتمعات طعم الراحة والسعادة. وفي مقابلها تكن المجتمعات التي ارتبط أفرادها بالسيادة الدينية عن قناعة وإيمان، وهم الذين يرحمون دائماً الضعيف، والعاجز، ويمسكون بيد المسكين والمحروم، ويواسون وحدتهم، وتقوى مجتمعاتهم بقوة أواصر الأخوّة القائمة بين الغني والفقير، وبين القوي والضعيف. لقد أحسن الأستاذ الدكتور فريد كام، حين صوّر واقع اللّادينيين بقوله:

«يشبه حال اللّاديني/ الملحد حال إنسانٍ بقي في ليلة ظلماءَ، وسط عاصفةٍ هوجاءَ، مترامياً يميناً وشمالاً في سفينةٍ بغير شراعٍ ولا رُبّانٍ، في بحرٍ عظيم، تتقاذفها الأمواج المتلاطمة. وفي نهاية المطاف، وقبل أن يصل إلى شاطئ السلام، اصطدمت السفينة بصخرة عظيمة فتحطمت إرباً إرباً. وإن اللّاديني لو كان مَرامُه من اللادينية/ الإلحاد أن يقتطع لنفسه أكبر قدرٍ ممكنٍ من كلّ الحظوظ الغريزية، فعليه أن يعلم أن الله سبحانه لا يرضى بذلك على الإطلاق. وأنه كان سينزِع على الفور، من نفوس الذين يعتقدون هذا المعتقد الخبيث، القدرةَ على التّمتع باللذات. إنه بمجرد مرور اللحظة التي يغيب فيها الدين يوضع على عينيّ الإنسان نظارة سوداء، فيرى الدنيا كأنها سجنٌ مليء بالشقاء، ويسوَدُّ في عينيه جميع ما كان مصدر سعادة له من خيرات وممتلكات؛ وتضيق عليه السماء والأرض في كل حينٍ كأنها حبلٌ يريد أن يلتّف حول عنقه ليخنقه، ثم يخلو

---

١٠ الرعد، ٢٨.

قلبه من جميع مزايا الإنسانية. إن رحيل الدين سبب في انتقاض صرْح الفضيلة على نفسه، ويرحل عقيبه واحداً واحداً، باسم المشاعر العالية، كلُّ ما كان بقي في القلب والنفس؛ فيبقى القلب خاوياً فارغاً، وتحلّ محله ساحة لا نهاية لها، وحبْس مظلم، لا يرى فيهما الإنسان لا نفسه ولا غيره. هذه هي الظلمة، ظلمة الكفر واللادينية/ الإلحاد الذي يقال عنه إنه ظلمة جهنم نفسها. فالله يذيق اللادينيين عيِّنةً من العذاب الأكبر على هذا النحو»، وذلك مصداق قوله سبحانه: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ...﴾[١١]

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[١٢]

يدل بمعناه الجليل على أن الإنسان في هذه الحياة الدنيا غير خال من أوامر إلهية تتابعه حيثما حلّ وارتحل. فالإنسان مثلما هو خاضع لقوانين طبيعية تحكمه، فهو خاضع لقوانين معنوية أيضاً؛ لأن علينا قوة معنوية غير مرئية تحكمنا دائماً».[١٣]

٤ . تصنيف الأديان

أ- الأديان الحقّة وخصائصها:

يقسّم علماء الإسلام الأديان إلى ثلاثة أقسام رئيسية؛ الدين الحق، والأديان المحرفة، والأديان الأخرى الباطلة. وكان الناس كلهم منذ نبي الله آدم ﷺ، يعبدون إلهاً واحداً هو الله تعالى. وبمرور الزمان عليهم، ومع أن جزءاً منهم كان يحافظ على المعتقد السليم والإيمان الصحيح؛ دبَّ الخلاف بين أفراد الجزء الآخر، وحادوا عن الصراط المستقيم. وبوقوع الاختلاف بين الناس وحَيدِهم عمّا كان عليه الأولون من حق؛ كان الله تعالى يرسل إليهم، بين الحين والآخر، رسلا ليعلموهم الحق، ويهدوهم إلى الصراط المستقيم. فأما المطيعون للرسل المهتدون بهديهم فحافظوا على ما جاؤوهم به من دين حق ومعتقد صحيح؛ وأما المخالفون للأنبياء العاصون لهم فمكثوا في الظلمات، ورعوا في مراعي الخرافات، والمعتقدات الباطلة. فكان مآل الأمر أنْ ظهرت للوجود أديان محرفة وباطلة نتجت عن الانحراف السابق.



ولْننظر أولاً في هذا المقام في الخصائص الأساسية للدين الحق:

١. الدين الحق قانون إلهي أساسه الوحي.

٢. يأمر بالإيمان بإله واحد لا إله غيره. والدين الذي لا يعتمد في أساسه على الإيمان بوحدانية الله تعالى دين قد تعرض للتحريف.

---

١١ السجدة، ٢١.

١٢ القيامة، ٣٦.

١٣ فريد كام Ferit KAM، مجالس دينية-فلسفية ص ٤٨-٥٠، أنقرة ١٩٨٧.

٣. يأمر بالإيمان بالآخرة. وبالإيمان بالله واليوم الآخر يكتمل الأمر.

٤. الإيمان بالأنبياء والرسل أساس من أسس الإيمان. وذلك أن مبلّغي الدين الحق عن الله تعالى إلى البشر هم الأنبياء والرسل؛ وهؤلاء الأنبياء والرسل عباد بعيدون كل البعد عن كل سوء.

٥. أساس الدين الحق كتاب مقدس. وكل رسول أوتي كتاباً مقدساً. إلا أن جزءاً من هذه الكتب قد حُرِّف عبر الزمان. وليس من بين هذه الكتب إلا القرآن الكريم كتابا غير محرف، كما تثبت ذلك الوثائق التاريخية أيضاً، وقد وصل إلى يومنا هذا كما أُنزل من عند الله تعالى.

٦. الإيمان بالملائكة أيضاً من خصائص الدين الحق.

٧. لا تؤدّى العبادات في الدين الحق إلا لله تعالى.

٨. لا تناقض بين الدين الحق وبين العقل والعلم إذ أنّ كلاً من الدين والعلم إنما هما لذوي العقول.

٩. يرعى الدين الحقُ مبدأَ الحق والعدل بين الناس؛ فالناس لا يفضل بعضهم على بعض من حيث الجنس، واللغة، والوطن، واللون؛ إذ أنهم ولدوا متساوين فيما بينهم في الحقوق والحريات، وإنما يتفاضلون فيما بينهم بالتقوى، أي بمدى قربهم من الله بعباداتهم التي يؤدونها من أجله. قال الله تعالى في هذا الشأن:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١٤]

ب- الأديان المحرفة:

الأديان المحرفة هي، في عقيدة الإسلام، الأشكال التي آلت إليها الأديان بعد أنْ تُلقِّيَت صحيحة سليمة أول مرة عن الله تعالى، ولكنها تعرضت لاحقاً للإفساد، وبالتالي تغيرت كتبها المقدسة عن وضعها الأصلي الذي كانت عليه بعد إنزالها. ومن أبرز هذه الأديان اليهودية والنصرانية؛ إذ أنها في باب الإيمان بالله تعالى قد حادت كثيراً عن عقيدة التوحيد نفسها. ومما وقع فيها من تحريف أن رجال الدين اليهود ـ كما سنراه لاحقا بشيء من التفصيل ـ أضافوا من عندهم في كتابهم المقدس، التوراةِ، أشياءَ كثيرة إلى حدٍّ كبير لتخدم مصالحهم. فصار الدين اليهودي اليوم دينا قومياً للشعب اليهودي، وجُعل الإله «يهوه» في اليهودية إلهاً خاصاً ببني إسرائيل دون غيرهم. وفي الوقت نفسه اعتُبِر اليهودُ شعبَ الله المختار من بين سائر البشر ليعلو عليهم أجمعين فضلاً وقدراً.

وبعد مرور زمان على هذا الانحراف اليهودي، أرسل الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام، وأنزل معه الإنجيل كتاباً مقدساً. ولكن التحريف لم يطل اليهود فحسب، فالنصارى أيضاً الذين آمنوا بعيسى بن مريم عليه السلام

---

١٤ الحجرات، ١٣.

أصابوا حظهم منه، إذ أضافوا مع مرور الزمان، من عند أنفسهم، مجموعة من المعتقدات والأصول الإيمانية إلى الحقائق الإلهية التي وردت في الإنجيل، حتى صرّحوا بألوهية المسيح ﷺ، وبكونه ابناً لله تعالى، فحادوا عن التوحيد النقي. وفوق ذلك كله آل بهم الأمر، بعد رحيل المسيح ﷺ عنهم، إلى أن يؤلفوا أناجيل متعددة تخالف التعاليم التي صرح بها المسيح ﷺ، وفي الوقت ذاته يتناقض بعضها مع البعض الآخر.

وعلى هذا النحو أدى رجال الدين النصارى (آباء الكنائس) دوراً كبيراً كان من شأنه أنْ أعطى تاريخ النصرانية صياغة جديدة، فأرسل الله تعالى بعد ذلك دين الإسلام، ديناً جديداً بالنسبة إليهم، لا يرسل الله سبحانه بعده ديناً آخر. وكون الإسلام آخر الأديان اقتضى منع الناس من أن يُدخلوا فيه أيَّ نوع من التحريف يَلْحَق نصوصه المقدسة، فأخبر الله تعالى في كتابه الكريم بأنه تولى بنفسه حفظ الدين من التغيير والتبديل فقال ﷻ:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [١٥]

ج- الأديان الباطلة:

يطلق اسم الأديان الباطلة على الأديان التي لا صلة لها بعقيدة التوحيد من حيث أصلها؛ لأن مصدرها ليس إلهياً متَلَقَّى من عند الله تعالى، وإنما صنعها البشر بأنفسهم. ورغم وجود أحكام في هذه الأديان تدل على شيء من التعقل، والحكمة، والتفكير في مصالح المجتمعات، إلا أن عدم اعتمادها على الإيمان بالله العظيم، وبنبيه الذي أرسله هداية للناس، يجعلها خالية من الوِجهات الإلهية المقدسة. وإلى جانب هذا، يمكن القول بأنها قد بَنَت أنظمتها الدينية مستفيدة من الدين السماوي المنزل؛ أو من الأديان القديمة التي تعرضت للتحريف بعد أن كانت ذات أصل سماوي. ومما يؤيّد هذه المعلومات الظنية أن الله تعالى قد أخبرنا بأنه قد خلا في كل أمة نذيرٌ من قبل، وأنه قد ورد في الأثر أن عدد الأنبياء عليهم السلام قد بلغ الآلاف. وعدم تصريح القرآن الكريم بأسماء هذه الأديان أو بماهياتها جعل العلماء المسلمين يدرجونها ضمن الأديان الباطلة. والقاسم المشترك لعقائدها هو إيمانها بقدسية بعض الحيوانات، أو بوجود قوة ما في بعض عناصر الطبيعة، أو في أرواح الآباء والأجداد. وأبرز هذه الأديان التقليدية في المجتمعات القديمة أو المعاصرة الهندوسية، والبوذية، والمجوسية، والشّامانية.

١. الأديان التقليدية الإفريقية:

كان للقبائل الإفريقية المحلية قبل دخول اليهودية والنصرانية والإسلام القارةَ الإفريقية، بعضُ الأديان التابعة لها. وفي هذه الأديان أهمية كبرى وموقع خاص للآباء والأجداد؛ ولبعض الظواهر الطبيعية كالشمس، والقمر؛ ولبعض الحيوانات كالخيل، والذئاب، والأسود. وكان سيد القبيلة وربّ العائلة رجلَ

---

١٥ الحجر، ٩.

دينٍ في الوقت نفسه. كما كان للسحر أهميته المميزة أيضاً في هذه الأديان وعند هذه القبائل. إلا أنه لم يكن لها نصوص دينية مكتوبة يحتفظ بها أفراد القبائل. وكانت الطقوس الدينية في الغالب تقام مصطحَبة بالموسيقى والرقص. وللرموز في هذه الأديان أهميتها؛ بسبب إيمانهم بأنها همزة وصل بينهم وبين الأرواح غير المرئية. ورغم هذا كله، فإن بعض الأديان الإفريقية القديمة قد حملت بعض المظاهر التي تدل على الاعتقاد بوجود إلهٍ واحدٍ قدير. هذا الإله هو الخالق لكل ما في السماوات والأرض، وهو الملك الأكبر والحاكم فوق كل الملوك. ولعل ما سهّل دخولَ الإسلام لجزء كبير من القارة الإفريقية، وأثّر في قبول الأهالي له، وساعد على انتشاره سريعاً، هو كونه يحمل عقيدة الإيمان بالله الواحد، القادر والمهيمن على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء. ولكن تصور الأديان الإفريقية التقليدية للإله العظيم بأنه يتجلى في أشكال عديدة من المظاهر الطبيعية، وبأنه يلهم أرواح الآباء والأجداد، فقد كان يلقي بظلاله على عظمته وجلاله.

ونحن بإمكاننا أن نُخَمِّن بأن هذه الأديان المحلية هي نتيجة وخلاصة تحريف وقع على رسائل سماوية نزلت على تلك المجتمعات قديماً. وذلك أن القرآن الكريم قد أشار إلى هذا في عدة مواضع، منها قول الله تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[١٦]

وقوله سبحانه:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[١٧]

وقوله سبحانه:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[١٨]

وقد وضعنا هذه الأديان تحت عنوان «الأديان الإفريقية القديمة» نظراً إلى أنه لم يُعثَر في القرآن الكريم ولا في أحاديث رسول الله ﷺ ذكر لأي رسالة إلهية أو دين سماويِّ الأصل في هذه المناطق.

٢. الأديان التقليدية الشرقية:

الأديان الشرقية التي تعرف باسم البوذية، والهندوسية، والمجوسية، والشنتوية، والكونفوشيوسية، والصابئية، والداوية، والسيخية، وما شابهها من أديان، أكثرَ ما ظهرت للوجود ظهرت في إيران، واليابان، والصين، والهند، وما شابهها من مناطق الشرق والشرق الأقصى.

١٦ فاطر، ٢٤.

١٧ النحل، ٣٦.

١٨ الإسراء، ١٥.

البوذية: دين أسّسه بوذا الفيلسوف الذي عاش في الهند (٥٦٣-٤٨٣ ق.م). ولم يترك بوذا وراءه نصّاً مكتوباً، ولكن الكتب التي ألفها أتباعه من بعده اعتبرت نصوصاً مقدسة. وتعظيم هياكل بوذا، وزيارة المواضع التي عاش فيها يُعَدّ من العبادات المهمة في البوذية.

الهندوسية: ليس للهندوسية نبي معين، وإنما الموجود كتب يُعتقَد أنها كتبت في العهود القديمة. وللهندوس آلهة متعددة كثيرة يتعبدون بين يدي هياكلها. ويعتقدون بأن الإنسان إذا مات رجع إلى الدنيا مرة أخرى في جسم إنسان آخر. ويتكوّن مجتمعهم من خمسة أصناف من الطوائف، ويحرم عليهم الانتقال من صنف إلى آخر تحريماً باتاً.

المجوسية (الزرادشتية) Zoroastrianism: نظامُ اعتقادٍ أُسِّس ـ على ما يقال ـ من طرف زرادشت، وانتشر في إيران القديمة. واعتقد المجوس في قدسية النار فعبدوها. وحين فتحت إيران من طرف المسلمين انقرضت المجوسية من مسرح التاريخ.

الشِنتُوية Shintoism: ديانة تقليدية خاصة باليابانيين. من أبرز خصائصها عبادة أرواح الموتى. ويسعى أتباع هذه الديانة لنيل رضا الموتى بالذهاب إلى مقابرهم وتقديم الطعام والشراب لهم.

الكونفوشيوسية Confucianism: إحدى ديانات الصين التقليدية. مؤسسها كونفوشيوس الذي عاش فيما بين سنتي (٥٥١-٤٧٩) قبل الميلاد. وخلو مبادئها من الإيمان بوجود إله جعلها أقرب إلى فكر فلسفي منها إلى معتقد ديني. وفي الصين، إلى جانب هذه الديانة، ديانة أخرى يقال لها «الطاوية» Taoism.
الصابئية (دين الصابئة) Sabianism: عقيدة قديمة ورد ذكرها في القرآن الكريم (البقرة ٢/ ٦٢؛ الحج ٢٢/ ١٧). وهم مجتمع صغير عاش فيما بين نهري دجلة والفرات. وفي عقيدة الصابئة ما يضاد التوحيد إذ يعتقدون بوجود إلهين اثنين، أحدهما إله النور، والآخر إله الظلام.

السيخية (دين السيخ) Sikhism: تصورٌ دينيٌ أسس من طرف شخص يقال له "غورو ناناك» Guru Nanak. وهو تصورٌ أو دين مزيف يحاول التلفيق ما بين الهندوسية والإسلام وُضِع محاولةً من مؤسسه لإفساد الإسلام. وليس فيه عقيدة الإيمان بالإله، بل أخذت معتقداته من الهندوسية كما هي، ثم نقلت إليه.

الأديان الباطلة في العقيدة الإسلامية:

قد تبين أن القاسم المشترك للأديان الباطلة اعتمادُها على عقيدة الإيمان بآلهة متعددة أكثر من إيمانها بخالق عظيم واحد. ورغم وجود عقيدة الإيمان بإله واحد في بداية الأمر في بعض الأديان كالمجوسية/ الزرادشتية، إلا أن هذا المعتقد قد تعرض للإفساد عبر الزمان.

وبعض الأديان كالهندوسية والبوذية قد غَلَت في الزهد، إذ توصي أتباعها بترك الدنيا كلها والبعد عن ملذاتها، وتطالبهم بما يخالف الفطرة البشرية. والإسلام لا يرضى بأن يُلتفَت إلى الجانب الروحي للإنسان، ويُهمَل فيه تماماً الجانب المادي الذي ينتظر أن تلبى له حاجياته. بل يدعو الإسلام المسلمين أولاً إلى أن يكون أكبر همهم الآخرة التي إليها سيرحلون بعد الموت، ثم أن يسلكوا طريقاً وسطاً بين الطريقين مناسباً لحقائق ومتطلبات الحياة الدنيا. والإسلام إذ يدعوهم إلى ذلك لا يكتفي بأن يزوّدهم بمجموعة من المواعظ والنصائح الخُلُقية، ولكن يذهب إلى أن يقدم لهم أحكاماً توجيهية تتمثل في أوامر ونواهٍ تتعلق بالمشاكل التي يواجهونها في حياتهم اليومية. قال الله تعالى في هذا الشأن:

﴿... وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ.. ﴾ [١٩]

وقد جعلت بعض الديانات كالشنتوية، عبادة أرواح الأجداد ديناً معمولاً به بين أتباعها. ولكن ليس في هذا النوع من الأديان تصور واضح عن الإله، كما أن معارضة هذا النوع من هذه الأديان للعقل الصريح، ومعاندتها للفطرة الإنسانية، وإعراضها عن تلبية الاحتياجات الطبيعية للبشر، جعل من الصعب عليها، أكثرَ فأكثرَ، أن تجد لنفسها قبولاً في العالم.

وصارت بعض الأديان المحرفة ديناً قومياً، فاليهودية لا ترى إلا جنس أتباعها، وتقصي الأجناس الأخرى؛ والشنتوية خصصت عقيدتها لليابانيين؛ وما كان معروفاً بأنه خاص بجنس الهنود صار في الهندوسية ديناً تصطبغ به. ومن ثمَّ آمر الأمر بهذه الأديان، عبر الزمان، إلى أن تخرج عن أن تكون دينا عالميا يحمل خصائص رسالة إلهية شاملة تُبلَّغ للإنسانية جمعاء، فدخلت في بوتَقَةِ ديانة محلية ضيقة.

والحقيقة أن الإسلام الذي هو آخر دين أو رسالة إلهية أرسلت إلى البشرية، يتخذ من توحيد الله تعالى أساساً عقدياً. وهو لا يرضى أَلْبَتَّة بالتصور الموجود في بعض الأديان من تشبيه الإله بمخلوقات متنوعة، أو بكونه يتشكل بأنواع عديدة منها. ذلك أن الله تعالى في عقيدة الإسلام إله قوته سبحانه مطلقة، لا شبيه له، ولا ندّ له، وأنه هو خالق جميع الكائنات، الحية منها والجامدة، وأنه هو مالكها، وأن كل الكائنات تعيش في الكون خاضعةً لقانون إلهي يعرَف في القرآن الكريم بأنه سنة الله، وممتثلةً لأوامر إلهية مثبّتة في فطرتها.

كما أن الإسلام لا يرضى ألبتة بالمعتقد الموجود في بعض الأديان من أن روح الإنسان تدخل بعد موته في جسم غيره، ثم تعود إلى الحياة الدنيا مرة أخرى. ذلك بأن حياة الإنسان في عقيدة الإسلام تنتهي بموته، وأنْ ليس أحد يرجع إلى الحياة الدنيا بعد ذلك مطلقاً. فالحياة الدنيا امتحان يمر عليه الإنسان مرة واحدة، فلا يتكرر. قال الله تعالى عن هذه الحقيقة التي لا مفرّ منها:

---

١٩ القصص، ٧٧.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٢٠]

إذن قد تبين بهذا القدر الموجز بأن هذه الأديان الباطلة عاجزة في الواقع عن تحديد مسؤولية الإنسان وماهية وظائفه تحديداً تاماً؛ كما أنها عاجزة عن أن تلبّي على الوجه الصحيح كل حاجياته. وأما من الناحية الاعتقادية، فهي خالية من المبادئ الأساسية التي يجب توفرها في الدين كالإيمان بإله خالق واحد، وبكتاب مقدّس، وبنبيّ يرسله الله تعالى ليبلغ الدين للناس ويكون لهم قدوة في العمل به؛ لهذا كانت بمعزلٍ عن أن تستحق أن تكون الدين الصحيح.



٢٠ المؤمنون، ٩٩-١٠٠.

قصة للمطالعة



الدرس الذي لَقَّنَه إبراهيمُ عليه السلام لعَبَدَة الأصنام



لم يستطع الطفل الصغير إبراهيم أن ينام طوال الليل، فخرج من البيت وتوجه إلى الجبل حتى وصل أمام مدخلِ كهفٍ كان فيه. فجلس مسنداً ظهره إلى الجدار، ملقياً ببصره إلى السماء. وما أن رأى القمر والنجوم تلمع في عَنان السماء، حتى تذكّر الناسَ الذين يعبدونها من دون الله، فداخَلَ قلبَه حزنٌ أليم عميق.

وكان مجتمع الناس الذين عايشوا إبراهيم عليه السلام مجتمعاً يعبد بعضه آلهة في الأرض، ويعبد بعضه الآخر آلهة في السماء. فكان إبراهيم عليه السلام يحاول أن يجد أدلة مقنعة تبين لهم الصراط المستقيم وتهديهم إليه. ففكر كيف يثبت للناس بأن نجوم السماء التي يعبدونها ليست آلهة تستحق العبادة؟ وفي الأخير اهتدى إلى قرار تَمَثَّل في أن يظهر نفسه وكأنه واحد منهم يعارض فكرهم ويحاول أن يبين لهم خطأ ما هم عليه من معتقد. فباشر عمله رأساً دون تردد. فرأى نجماً براقاً متلألأً في السماء، فقال في نفسه:

- أيمكن أن يكون هذا النجم إلهاً؟

فراقبه إبراهيم عليه السلام إلى أن غرب، ثم قال:

- لقد غرب النجم واختفى تماماً. إن قلبي لا يحب الأشياء التي تغرب وتختفي عن الأنظار. إن الإله إذا ظهر لا يختفي بعد ذلك. إذن، لا يمكن أن يكون هذا النجم المتلألئ إلهاً.

لقد أثرت هذه الأقوال في نفوس عُبّاد النجوم، فوقعت على قلوبهم كالصاعقة من السماء. واستمر إبراهيم عليه السلام في تنفيذ مخططه.

وفي هذه المرة وُلِد القمر الذي كان يسير في منازل السماء ويرسل نوراً وضّاءً على الجبال، والوديان، والقرى. فتساءل إبراهيم عليه السلام في نفسه قائلاً:

- فالقمر إذن، أيمكن أن يكون إلهاً؟

فراقبه إلى أن غرب هو الآخر، ثم اختفى عن الأنظار. هو أيضاً لا يمكن أن يكون إلهاً؛ لأن الإله لا ينبغي أن يغيب أو يزول أبداً. لقد كان حال إبراهيم عليه السلام مع عبدة الكواكب وكأنه يسْخَر من عقولهم. وفي الصباح ظهر قرص الشمس عظيماً يبعث ضوءَه من الأفق، فقال إبراهيم عليه السلام:

- إن هذه الشمس أعظم وأكبر من القمر الذي رأيته في الليل، فهل يعقل أن تكون إلهاً؟

وقرر إبراهيم عليه السلام أن يؤجل هذه الأفكار فيتركها حبيسة في نفسه قليلا من الوقت. وبعد أنْ مر وقت الظهر، ثم العصر، وما أن مالت الشمس إلى الغروب حتى اصفرت، وزال عنها بريقها، ثم غابت وراء ظلمة الأفق، مثلها مثل القمر، ومثل النجوم. فالشمس إذن فانية مثل غيرها من الكائنات، وكلُّ فانٍ ـ لا محالة ـ ذائق للموت. في حين أن الإله الحق حي لا يموت، ولا يفنى.. لا نهاية له..

ما أعظم الدرس الذي لقنه إبراهيم عليه السلام قومه!

ثم آتى الله تعالى بعد ذلك إبراهيم النبوة؛ فكلمه الله سبحانه وتعالى وناداه:

- يا إبراهيم،
- لبيك رباه،
- إليّ أسلم وأطع.

فخرّ إبراهيم عليه السلام ساجداً، وسقى الثرى من تحته بدموع عينيه، وقال:

- أسلمت لرب العالمين..

لقد امتلأ قلب إبراهيم بالسعادة، وغمرته الطمأنينة والراحة، فبقي هناك في ذلك الموضع ساجداً إلى أنِ انتصف الليل، ثم قَفَل راجعاً إلى بيته. هناك انتهت مرحلةُ كلِّ ما مضى مِن بحثٍ عن الحقيقة وعن الإله الحق. لقد أعطاه ربه النبوة، وأعطاه مرحلة جديدة بدأت في حياته. إنه سيهدي الناس الذين يعبدون الآلهة التي يرونها في السماء والأرض إلى الصراط المستقيم، وإلى طريق العقيدة الصحيحة.

إن أول من سيبلغه إبراهيم الدينَ الحق هو أبوه آزر الذي كان يعبد الأصنام. وقد قصّ علينا القرآن الكريم قصة إبراهيم عليه السلام، وما خاطب به أباه آزر في أسلوب نبيٍّ ناصحٍ، فكان أنْ قال عليه السلام:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم، ٤٢ ـ ٤٥)

فغضب آزر وقال:

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (مريم، ٤٦)

فقابل إبراهيم عليه السلام جواب أبيه آزر بلسان مشفقٍ، فقال:

﴿...قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم، ٤٧)

أسئلة الوحدة الأولى

أ. أجب عن الأسئلة التالية أجوبة صحيحة:

١. كيف عرَّف علماء الإسلام الدينَ بصفة عامة؟
٢. ما هو مصدر الشعور الديني في الإسلام؟ اِشرح ذلك بآيات وأحاديث.
٣. ما سبب كون الدين مهماً في حياة الإنسان؟ ناقش الموضوع بأمثلة واقعية من الحياة اليومية.
٤. إلى كم صنفٍ صنَّفَ علماءُ الإسلام الديانات؟ وما هي هذه الأصناف؟
٥. ما هي الخصائص الموجودة في الإسلام والديانات القديمة التي أثرت في سكان إفريقيا المحليّين من أجل قبول الإسلام؟

ب. اختر الإجابة الصحيحة.

١. ما هي المعاني التي تحملها لفظة الدين؟
أ. المحبة، والاحترام.
ب. التكبر، والتعالي.
ج. الطريق، وطريقة الحياة، والقانون.
د. الموت، والبعث

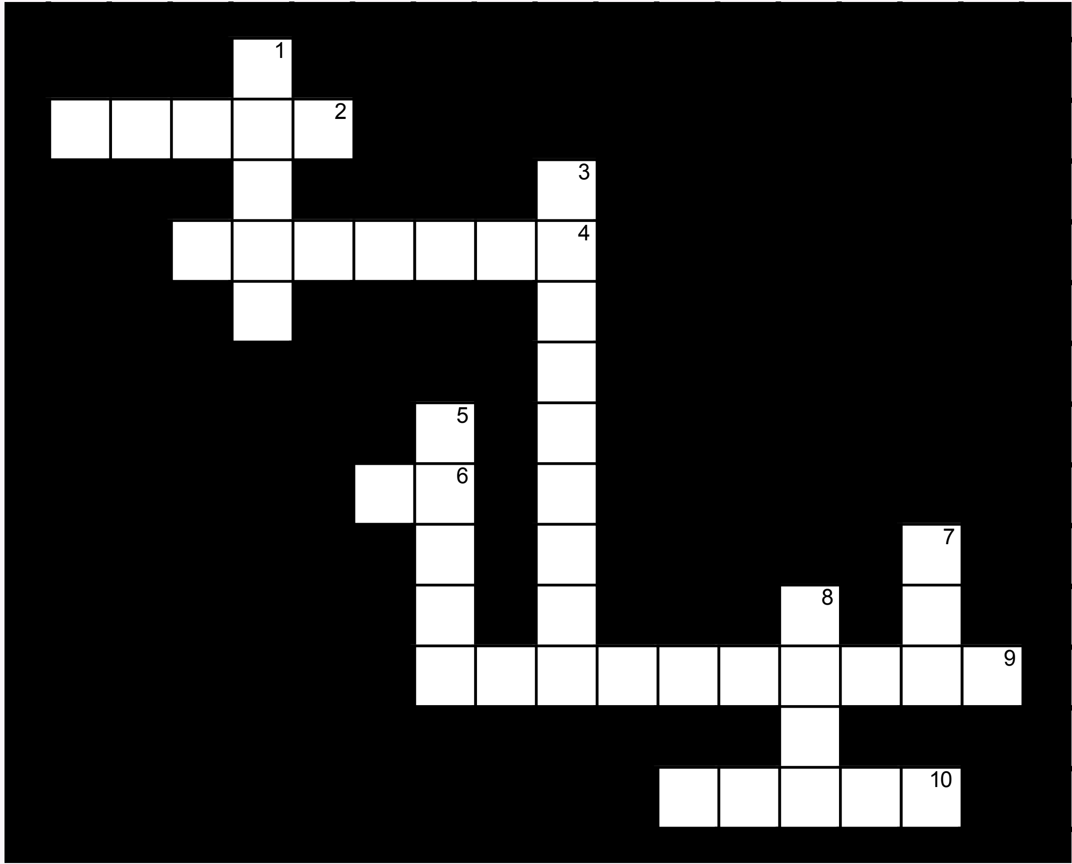
٢. ما هي الصفة التي لا يمكن أن تكون من خصائص الدين فيما يلي؟
أ. القانون الإلهي.
ب. الأمر بالعنف والظلم.
ج. مخاطبة العقل البشري.
د. الاعتماد على الوحي

٣. ما هو أصل أول دين في العقيدة الإسلامية؟ وعلامَ كان يعتمد؟
أ. وثنياً، يعتمد على تعدد الآلهة.
ب. دينَ شركٍ، يعتمد على تصور إلهين اثنين.
ج. دين تثليث، يعتمد على تصور ثلاثة آلهة
د. توحيداً، يعتمد على الوحي.

٤. أيٌّ من الخيارات التالية هو التصنيف الصحيح الذي ذكره علماء الإسلام عن الأديان؟
أ. الحق- المحرفة- الباطلة.
ب. التوحيد- التثليث- الشرك.
ج. الحق- المبايِنة للحق- المحرفة.
د. الباطلة- الصحيحة- الخاطئة

٥. أيٌّ مما يلي ليس معدوداً في الأديان الشرقية؟
أ. الهندوسية.
ب. الأديان الإفريقة التقليدية.
ج. البوذية.
د. الشنتوية.

ج. الكلمات المتقاطعة



١. عقيدة دينية باطلة ظهرت في الشرق الأقصى منذ نحو ٥٠٠ سنة قبل الميلاد، تُولي أهميةً مفرِطة للزهد.

٣. مصطلح وارد في القرآن الكريم، يُطلق بالدرجة الأولى على اليهود والنصارى الذين اعتمد دينهم في أصله على الوحي، ثم لحقه التحريف لاحقاً.

٥. التي أصابها الفساد، والتغيير، ولم يَحفظ لها أهلُها أصلَها القديم.

٧. جميع ما أنزله الله تعالى إلى عباده من أوامر ونواه.

٨. الخطأ، وما خالف الحق والصواب.

٢. الإيمان بوحدانية الله تعالى، أي بكونه خالقاً وإلهاً واحداً، ليس له في ذلك شريك.

٤. تصور ديني باطل نشأ في الهند منذ نحو ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد.

٦. هو الصحيح، والصواب الذي لم يخالطه غيره من البطلان والفساد.

٩. عقيدة ورد ذكرها في القرآن كان أهلها يعبدون النجوم، ويؤمنون بثنائية الإله، أي وجود إلهين اثنين.

١٠. الإيمان بالأب، والابن، وروح القدس في العقيدة النصرانية.



الوحدة الثانية

٢

معلومات عامة عن الرسائل السماوية

الموضوعـــــــــــات

 اليهودية ونُبذة تاريخيه عنها.

 النصرانية ونبذة تاريخية عنها.

 الإسلام ونبذة تاريخية عنه.



معلومات عامة عن الرسائل السماوية

الرسائل السماوية هي الرسائل التي أرسلها الله تعالى إلى عباده ليخرجهم من الضلال إلى الهدى عن طريق الأنبياء. وعلى هذا كان أول نبي هو آدم عليه السلام الذي كان هو نفسه الإنسانَ الأول، وكان هو أبانا الأول. ويقال إن الله تعالى أنزل عليه عشر صحف. ثم أرسل الله سبحانه من بعده في أزمان مختلفة أنبياء كثيرين ـ كما هي سنته سبحانه في خلقه ـ إلى مختلف الأقوام.

وقد ورد اسم ثمانية وعشرين نبياً في القرآن الكريم. وما عداهم من الأنبياء فقد ورد اسم بعضهم في أحاديث نبوية، بل ورد في روايةٍ أن عددهم بلغ نحو مئة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي.[٢١]

ومن الأنبياء المذكورة أسماؤهم في القرآن الكريم داوود الذي أنزل عليه الزبور، وموسى الذي أنزلت عليه التوراة، وعيسى بن مريم الذي أنزل عليه الإنجيل، ومحمد بن عبد الله الذي أنزل عليه القرآن الكريم عليهم السلام أجمعين.

ويقال لهذه الكتب المنزلة الكتب الكبرى، في حين أن ما عداها مما أنزل فهو صحف. ويقال إن عشر صحف أنزلت على آدم عليه السلام، وإن خمسين أنزلت على شيث عليه السلام، وثلاثين أنزلت على إدريس عليه السلام، وعشر صحف أخرى أنزلت على إبراهيم عليه السلام.

وكل ما جاء من عند الله تعالى منذ آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليهم وسلم من رسائل سماوية فيجمعها اسم دين واحد هو الإسلام. ورغم وجود تحريفات في النصوص المقدسة لكل من اليهودية والنصرانية وفي مبادئها الأساسية، فإن كليهما من حيث المصدر رسالتان سماويتان. ولم يبق من الرسائل السماويةِ الأصل اليوم إلا اليهودية، والنصرانية، والإسلام. إلا أن الإسلام هو الرسالة الوحيدة التي تستحق أن توصف بأنها الدين الحق الذي حافظ على أصله كما أنزل من عند الله تعالى، ولم يمسّه أي نوع من التحريف النصّي حتى وصل إلى يومنا هذا.

٢١ أحمد، مسند، جـ ٥، ص ٢٢٦.

١ . اليهودية وموجَز تاريخها

اسم الدين	اليهودية
مكان النشأة	فلسطين
التاريخ	القرن الثالث عشر قبل الميلاد
الكتلة البشرية المعنية بالدين	دين قومي موجه إلى الجنس المعني
طريقه الخاص	إطاعة الإله يهوه، وموسى عليه السلام
اسم الإله	يهوه
الكتاب	العهد القديم
عدد المنتسبين	١٣ مليونا (٠٢, ٠٪)
أماكن الانتشار	إسرائيل، وأمريكا، وأوروبا، وروسيا، وما شابهها

ورغم كون اليهودية أقدم رسالة، بل أقدم دين، إلا أنه الأقل من حيث عدد الأتباع في العالم الذين يعرفون باليهود، والموسويين، كما يعرفون أيضاً بأنهم بنو إسرائيل. ويهودية بني إسرائيل قد امتزج فيها الدين بالقومية كامتزاج اللحم بالعظم بحيث صار التمييز بينهما أمراً صعباً.

ومن أهم خصائص اليهودية أن أتباعها اليهود يؤمنون بمعاهدة أُبرمت، عن طريق موسى عليه السلام في طور سيناء، بين الأمة اليهودية وبين إلههم يهوه. ومُفاد هذه المعاهدة أن الإله يهوه أخذ منهم عهداً أن يسمعوا له، ويطيعوا أمره، وأنزل على موسى عليه السلام التوراة (الأجزاء الخمسة الأولى من العهد القديم). ولكن بني إسرائيل لم يُوفُوا بهذه المعاهدة، فكان جزاؤهم أن يذيقهم الله تعالى أصناف العذاب والأحزان عبر التاريخ.

ويمتدّ نسب اليهود إلى أن يصل إلى إبراهيم عليه السلام عن طريق ابنه إسحاق عليه السلام، ثم حفيدِ إبراهيم يعقوب عليهما السلام. وسكن بنو إسرائيل مصر في عهد النبي يوسف عليه السلام الذي هو أحد الأبناء الاثني عشر للنبي يعقوب عليه السلام. إلا أنهم مع مرور الزمان، بدأ فرعونُ مصر والسكان المحليون فيها من الأقباط يعاملونهم معاملة الأسرى، وألحقوا بهم شتى المظالم والأذى. فأرسل الله تعالى في تلك الفترة عبده موسى عليه السلام نبياً إلى بني إسرائيل، ومعه أخاه هارون عليه السلام وزيراً معيناً. فأخرج موسى عليه السلام بني إسرائيل ليُبَلِّغهم مأمنهم بعيداً عن أسر فرعون وظلمه، فعبر بهم البحر الأحمر حتى وصل شبه جزيرة سيناء؛ إلا أن فرعون الذي تبعهم بجنوده غرقوا جميعاً في البحر الأحمر معجزةً من الله للناس وعبرة لمن يعتبر.

وأوحى الله تعالى بالتوراة إلى موسى عليه السلام في طور سيناء. وبقي بنو إسرائيل أربعين سنة مع موسى عليه السلام في التِيه في صحراء سيناء. وحين توفي موسى عليه السلام خَلَفه من بعده نبي الله يوشع بن نون عليه السلام، فدخل بنو إسرائيل، وهم تحت إمرته، الأرضَ التي كانت قد وُعدت لهم من قبلُ من بلاد فلسطينَ، وسكنوها. وصار دخول بني إسرائيل الأرضَ الموعودة من أهم القضايا في الدين اليهودي عبر التاريخ. بل قد ورد في العهد القديم بأن ديار « كنعان» كلها موعودة من طرف الإله يهوه لإبراهيم ونسله من بعده. (سفر التكوين ١٢/ ٧). وتضم حدود هذه الأرض اليوم من حيث العموم سوريا ولبنان وجنوبي تركيا. وهذه الأرض هي التي يحلم اليهود منذ تاريخ قديم إلى يومنا هذا بأن يكونوا ساكنيها.

وبلغ اليهود أو بنو إسرائيل أوج قوتهم حين عاشوا تحت حكم نبي الله داود عليه السلام (٩٧٥-١٠١٥ ق.م)، وابنه النبي سليمان عليه السلام (٩٣٠-٩٧٠ ق.م). ففي عهديهما بلغوا عصرهم الذهبي؛ إذ أخذ داوود عليه السلام القدس وجعل منها مركزاً لهم، وبنى سليمان عليه السلام في القدس المسجدَ الأقصى، معبداً مقدساً للناس، وامتدت البلاد في ظل حكمه إلى أبعد حدودها. وقد ورد في الكتاب المقدس لليهود أن سليمان عليه السلام حين توفي انقسمت البلاد بعده إلى اثنتين؛ إلى مملكة يهودا، وإلى مملكة إسرائيل. ثم خربت مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ ق.م، وخرّبت مملكة يهودا سنة ٥٨٦ ق.م، مثلما خرّب المعبد المقدس أو الهيكل أيضاً، وسِيق أكثر اليهود وهم أسارى إلى منفاهم.

وبعد وقوع اليهود في هذا الأسر ساعدهم الإيرانيون القدامى على الخلاص منه، فعادو إلى القدس مرة أخرى، وبنوا هناك معبدهم المقدس من جديد. إلا أنهم بسبب ثورتهم على الدولة الرومانية سنة ٧٠م، أخذهم القائد الروماني « تيتوس» أسارى مرة ثانية إلى منفاهم الجديد، وخرّب المعبد المقدس الذي لم يجدِّدوه. ونتيجةً لهذا لم يستطيعوا أن يقيموا شعائرهم التعبدية التي تستدعي وجود الهيكل، كإقامة القرابين، فتعطلت تلك العبادات. وبدأت بِيَع/ كُنُس صغيرة تَخلُف المعبد القديم في مكانه؛ كما بدأ اليهود بعد السبي الثاني، حياة منفى جديدة استمرت عشرات القرون، منتشرين في مختلف مناطق ودول العالم. وحيثما انتشروا كانوا خاضعين لسيادة الدولة التي تحكمهم؛ وبقُوا مشتتين من غير دولة تجمعهم ما يقارب ألفي سنة، إلى أن تأسست في زماننا هذا دولة اليهود الحالية.

وكان اليهود مطرودين من كل البلدان التي فرّوا إليها من قبلُ، فكانت كل من دولة إنجلترا، وفرنسا، وإسبانيا قد طردتهم من أقطارها؛ ولم يعرف اليهود بلاداً أحسن وآمن على أنفسهم من بلاد المسلمين، وخاصة في الأراضي التي كانت خاضعة لسيادة الدولة العثمانية. ثم جاءت قوات العالم الغربي التي كانت تطاردهم من أقطارها في الزمان السابق، لتمنحهم هذه المنطقة التي كانت في



فترة من التاريخ جزءاً من تراب الدولة العثمانية، ليسكنها المسلمون الفلسطينيون، وليساهموا في تأسيس الدولة اليهودية المعروفة اليوم فيها، والتي أُعلن رسمياً في سنة ١٩٤٨ عن تأسيسها. ويعيش أكثر اليهود المعاصرون اليوم في إسرائيل، وأمريكا.

٢. النصرانية وموجز تاريخها

اسم الدين	النصرانية
مكان النشأة	فلسطين
التاريخ	القرن الأول الميلادي
اسم النبي	عيسى عليه السلام
طبيعة البِنية العَقَدية	التثليث (الله الأب/ الأب، والابن عيسى، وروح القدس)
اسم الإله	الأب/ الأب، والابن، وروح القدس
الكتاب	الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)
عدد المنتسبين	ملياران (٣٠٪)
أماكن الانتشار	أمريكا، وأوروبا، وإفريقيا، وأستراليا، وروسيا، وما شابهها

النصرانية، وباسم آخر المسيحية، وهي في أصلها الرسالة السماوية التي بلغها النبي عيسى بن مريم عليه السلام للناس؛ إلا أن اسم النصرانية والمسيحية هذا لم يلحقها إلا لاحقاً، فاستعمل لأول مرة في أنطاكية من أجل المؤمنين بعيسى بن مريم عليه السلام مقصوداً به معنى «المُوَقِّرون لعيسى بن مريم» عليه السلام؛ مثلما أطلق عليهم اسم «النصارى»، جمعِ نصراني، نسبةً للناصرةِ، اسمِ البلدة التي ولد فيها المسيح عليه السلام.

وكتاب النصارى المقدس هو الإنجيل الذي يطلق عليه اسم العهد الجديد أيضاً، وإلى جانبه فهم يؤمنون بكتاب اليهود المقدس المعروف باسم العهد القديم. ولكنّ هذين الكتابين لم يُدَوَّنا ـ للأسف ـ مباشرة بعد إنزالهما على النبيين الكريمين موسى وعيسى عليهما السلام في صحف؛ فكانت النتيجة أن أهلهما لم يحافظوا على نَصَّيْهما الأصليين اللذَينِ لحقهما مختلف التبديلات والتحريفات عبر التاريخ. وما هو موجود بين أيدينا اليوم من هذين الكتابين إنما هو نصوص لحقها تحريفات كثيرة ومتنوعة شيئاً فشيئاً، زيادة ونقصاناً، من طرف الأتباع، نصارى ويهوداً، حتى تراكمت ونتج عنها هذه النصوص المشبوهة المعروفة وإن كانت قد عرفت باسم العهد القديم والعهد الجديد.

وموضع عيسى بن مريم ﷺ من دين النصارى أنه ابن الله تعالى، كما أنه إله. في حين أنه في عقيدة الإسلام عبد ولدته أمه مريم رحمها الله من غير أب، معجزةً من عند الله تعالى؛ كما أنه نبي أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل ليُبَلِّغهم الإنجيل الذي أوحاه الله سبحانه إليه، إلا أن المؤمنين به كانوا قليلين جداً في حياته. بل لقد حاول الكثيرون ممن ردّوا دعوته وعارضوها أن يقتلوه، فرفعه الله سبحانه إليه رفعاً معجزاً، إلى السماء، وأنجاه منهم. ثم إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً شبيهاً بعيسى بن مريم ﷺ وصلبوه، ثم ادّعوا أنهم إنما قتلوا وصلبوا المسيح عيسى بن مريم نفسَه ﷺ.

والمؤمنون الأوائل بنبي الله عيسى ﷺ إنما كانوا يؤمنون بالحقائق الثابتة في التوراة والإنجيل التي كان يخبرهم بها، وعاشوا بها يعملون، وظلوا كذلك إلى أن ظهر فيهم باولوس المتوفى سنة ٤٩ من الميلاد، باولوس الذي كان عدواً للمسيح ﷺ أثناء حياته على وجه الأرض، ثم بعد أن رفع المسيح ﷺ إلى السماء ادعى أنه قد آمن به، وبدأ يوجه المسيحيين الأوائل بما يفسد عليهم دينهم. فـ «باولوس» هذا هو الذي أدخل النصرانية في عهد جديد، وأحدث داخلها عقيدة التثليث، وهو الذي سعى ليبث في الناس الإيمان بأن المسيح ابن الإله، وبأنه بُعث ليفدي البشرية بنفسه، ويخلّصها من تَبِعات الخطيئة الأولى، الخطيئةِ التي ارتكبها آدم ﷺ وحواء رحمها الله.

واقتضت مفاهيم النصرانية الجديدة بأن يكون جميع الناس بعدهم مولودين خاطئين مذنبين، ولا يمكن للناس أن يتطهروا من دنس الخطيئة إلا بأن يأتيهم المسيح ﷺ ابناً للإله ويُصلَب بدلاً عنهم. وليس على الناس منذ ذلك الحين فصاعداً إلا أن يؤمنوا بذلك من أجل الخلاص.

وأما ما كان مأموراً المسيحيون بالامتثال له قبل ذلك، مما جاءت به شريعة نبي الله موسى ﷺ، من حرمة أكل لحم الخنزير، و وجوب الاختتان، وتعظيم يوم السبت، فلم يظل حينئذ أيُّ داعٍ للعمل به. هذا مع أن نبي الله عيسى بن مريم ﷺ هو نفسه عاش متّبعاً لما تأمر به وتنهى عنه الشريعة الإلهيّة المنزّلة قبله على موسى ﷺ. بل هو الذي نقل عنه النصارى أنفسهم في إنجيلهم بأنه قال لهم:

«لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض، بل لأكمل. فإني الحقَّ أقول لكم:

إلى أن تزول السماء و الأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.

فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا، يدعى أصغر في ملكوت السماوات».[٢٢]

إلا أن الرسالة المسيحية كانت منذ ذاك الوقت فصاعداً سَتَتَشَكَّل، ليس حسب التعاليم والوصايا الصادرة عن المسيح نفسِه ﷺ، ولكن حسب المبادئ المخالفة لها، والتي ابتدعها باولوس على نحوٍ ما مِن تلقاء نفسه.

---

٢٢ متى، ٥/١٧-١٩.

وظلّ النصارى لثلاثة قرون على هذه الشاكلة، ينتشرون مختفين بدينهم منافحين عنه إلى أن أنتج نضالهم الطويل قبولَ الإمبراطورية الرومانية الرسميَّ، فيما بين سنتي ٣٨٠-٣٩٢م للديانة النصرانية ديانة رسمية وحيدة.

وعدم تمكن النصرانية من المحافظة على هويتها الأصلية أوجب على كبار رجال الدين النصارى بمشاركة ملوكهم أن يعقدوا عبر التاريخ اجتماعات متعددة عرفت لاحقاً باسم المجامع؛ ليحددوا بواسطتها المبادئ الأساسية لهذا الدين الجديد.

وكان أول مَجْمَع لهم عُقِد في العهد الروماني في إزنيق İznik (نيقية Nicea سابقاً) سنة ٣٢٥م، وفيه اختاروا من بين مئات الأناجيل المختلفة أربعة أناجيل (متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنّا) جعلوها هي المعتمَدة في دينهم؛ مثلما قرّروا في هذا المجمع أيضاً أن يتبنّوا عقيدة الإيمان ببُنُوَّة المسيح ﷺ لله تعالى.

وقرّروا في المجامع اللاحقة أن تكون مريم رحمها الله أمَّ الإله عيسى ﷺ. وفي سنة ٥٣٣م أضافوا مفهوم «روح القدس» إلى مبادئ الإيمان ليكون في الأخير معتقد التثليث، أي الإيمان بالآلهة الثلاثة، أهم مبدأ في الدين النصراني.

وهكذا عاشت الكنيسة خلال العصور الوسطى أقوى فتراتها، إذ ساند الملوكُ النصرانيةَ مساندة عظمى. وفي هذه الفترات كانت الكنيسة تدَّعي لنفسها مقام مغفرة ذنوب المذنبين، فتأخذ منهم مبالغ من المال لتوزع عليهم، مقابل ذلك، ما عرف باسم «صكوك الغفران»؛ مما جعل الكنيسة تجني من خلال هذا العمل أموالا طائلة عظيمة.

بل لقد كانت «صكوك الغفران» هذه التي تشترى بالمال تمثل نوعاً من سندات الملكية بها يُستحَق امتلاك أراض عقارية في الجنة؛ لذا كانت أهميتها كبيرة لدى الشعوب النصرانية.

وعلى هذا النحو صارت الكنيسة الأوروبية في العصور الوسطى، ومع مرور الزمان، أشدَّ غنى وقوةً من الملوك أنفسهم.

وباسم عقيدة «لا خلاص/ حقّ خارج الكنيسة» بدأت الكنيسة تَزُجُّ بجميع المخالفين لعقيدتها فيما عرف بـ «محاكم التفتيش» لتحاكمهم هناك، ثم تُتْبعَ المحاكمةَ إما بحكم الإعدام، وإما بإذاقتهم أنواع وأصناف العذاب.

وكان من بين الأساليب الوحشية للتعذيب إدخال أيدي وأرجل المعذَّبين في الماء المَغلي، وضربهم بالسياط اللاذعة، وإلقاؤهم في أقفاص حديدية بين أيدي الحيوانات المفترسة، وسحقَ أعضائهم، وإقعادهم على أوتاد أو مسامير ضخمة؛ وما إلى ذلك من التعذيب بالماء، والسّواري، وما شابهها، حتى قال المؤرخون إن عدد الذين قُتلوا على هذا النحو، والذين تركوا أوطانهم فراراً من التعذيب الذي أصابهم

قد بلغ الملايين. وقال بعض الباحثين إن الكنيسة قد فاقت الرومان الوثنيين أنفسهم من حيث الوحشية واللّاتسامح الديني.[٢٣]

ثم اضطُرَّت الكنائس في الفترات التالية إلى أن تواجه قلاقل واضطرابات دينية وسياسية كانت تهددها من الداخل؛ حتى آل الأمر بالعالم النصراني إلى أنِ انقسم على نفسه سنة ١٠٥٤م إلى طائفتين اثنتين، العالم النصراني الأرثوذكسي الذي يجمع النصارى الشرقيين ممثّلاً من طرف الكنيسة الأرثوذكسية في اسطنبول، والعالم النصراني الكاثوليكي الذي يجمع النصارى الغربيين ممثلاً من طرف الكنيسة الكاثوليكية في روما. وكان هذا الانقسام بداية صراع طويل ما زال ممتداً إلى يومنا هذا.

وأثناء الحملة الصليبية الرابعة زعم النصارى الكاثوليك القادمون من روما أنهم إنما جاؤوا ليحموا القسطنطينية «اسطنبول» وليحموا المقيمين فيها الأرثوذكس من المسلمين، فتمكّنوا من دخول اسطنبول بهذه الذريعة فأحرقوا المدينة ودمروها ونهبوا ما فيها.

ولم ينس النصارى الأرثوذكس هذا الظلم الذي أوقعه بهم الكاثوليك، فقالوا حين حاصر العثمانيون اسطنبول: «لَرؤيةُ لفائف المسلمين على رؤوسهم في اسطنبول أحبّ إلينا من رؤية قبعة الكاردينال المخروطية على رأسه»، فكانوا مضطرين إلى الاعتراف بأن المسلمين أفضل عدالة وتسامحاً من إخوانهم في الدين الكاثوليك.

ولقد نظّم النصارى العديد من الحملات الصليبية ضد المسلمين ليستعيدوا وحدتهم التي تزعزعت، وليكتسبوا قوة من الناحية السياسية والاقتصادية، وليسيطروا على المناطق المقدسة لديهم كالقدس. وسميت تلك الحملات والحروب بالصليبية بسبب وضع النصارى علامة الصليب (+) على ملابسهم وأسلحتهم، إشارةً من عندهم إلى الصليب الذي ـ بزعمهم ـ صُلب عليه المسيح عليه السلام.

وفي تلك الحروب قتل الآلاف من المسلمين الأبرياء، ونُهبت واستُبيحت أراضي الإسلام. وبعد مرور مئات السنين جاء بابا الكنيسة الكاثوليكية بروما، بندكتوس Benedictus السادس عشر ليعتذر للعالم الإسلامي، أثناء تصريحات له، عن وحشية وهمجية أسلافهم المعتدين.

وكانت هذه الحروب الصليبية سبباً في انتباه الشعوب النصرانية إلى أن المسلمين الذين كانت الكنيسة تصورهم لهم بأنهم وحشيون همجيون وعديمو الحضارة لم يكونوا كذلك على الإطلاق؛ بل رأوا أن العالم الإسلامي كان أرقى حضارة منهم، وأعلى مستوى من الناحية العلمية، والتقنية.

وقد تعلم العالم النصراني الأوروبي من خلال الحملات الصليبية عدة تقنيات من المسلمين، كاستعمال الكاغد (الورق) والساعة. إلى جانب أن النصارى قد وجدوا بأيدي المسلمين كتب الفكر اليوناني القديم

---

٢٣ النصرانية والوثنية في القرنين الرابع والثامن، رامسي ماك مولن، نيو هايفن: جامعة ييل، ط ١٩٩٧.

التي كانوا قد ترجموها من اليونانية إلى العربية، فأخذوها عنهم وبدؤوا يترجمونها إلى لغاتهم الخاصة، وبذلك سمحت لهم الفرصة بأن يتعرفوا من جديد على الكتب التي كانوا قد تناسوها تحت ضغط الكنيسة في فترات سابقة، ككتب الفيلسوفين أرسطو وأفلاطون.

وفي ظلّ كل هذه الأسباب المذكورة آنفاً تزعزعت ثقة النصارى فيما بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر في الكنيسة والبابوات، وبدأت تعلو أصوات رجال العلم والفكر ضد ما كانت تحاول الكنيسة بالقوة أن تفرضه عليهم. ونتيجة لذلك اكتسبت حركات الإصلاح النصرانية سرعة، ونشأ من جرّائها مذاهب جديدة وكنائس قومية. والانقسامات التي انبثقت عنها البروتستانية، والكنيسة الإنجليكانية، والكنائس الكالفينية، وما شابهها من انقسامات شهدها التاريخ إنما شاهدها في تلك الفترة. بل إن أوروبا كانت مسرحاً لانقسامات قامت على أساس اختلافات في الفكر الديني أدت إلى حروب دموية، كتلك التي عرفت باسم «حرب الثلاثين عاماً»، أشعلتها الخلافات المذهبية والدينية.

وعلى الرغم من أن النصرانية ما زالت تعيش اليوم بأكثر من عشرين مذهباً في مختلف بقاع العالم، إلا أن أتباع الكنائس المعاصرة، وخاصة الشباب منهم، لا يقدرون على تلبية حاجياتهم الدينية. فكان من طبيعة الحال أن يُعرِض الكثير من النصارى عن النصرانية، ليلجؤوا إلى أديان أخرى على رأسها الإسلام، وفي مقابل ذلك أنَ يَقِلَّ كلَّ يوم، عدد المرتبطين بالكنيسة. وكيف يمكن للكنيسة أن تقنع العقل البشري السليم وهي تدعو الناس إلى عقيدة التثليث الناتجة عن اتّحاد ثلاثة آلهة، وإلى الإيمان بأن للقساوسة ورجال الدين سلطة العفو عن ذنوب الآخرين، وبأنهم معصومون من الخطايا والذنوب، وإلى الإيمان بأناجيل يعلم النصارى أنفسهم مدى اختلافها المتناقض فيما بينها، إلى جانب وجود المعتقدات والممارسات التي تردّها الفطرة السليمة. ومن أوضح الأمثلة التي يمكن إبرازها على ما يخالف الفطرة البشرية الصحيحة ما نتج عن تحريم الزواج وتفضيل العزوبة عليه، من اضطرار بعض الكنائس في أوروبا وأمريكا إلى دفع تعويضات بالملايير كل عام، إلى العائلات المتضررة من الاعتداء الجنسي على أطفالها من طرف المنتسبين إلى الكنائس. ولهذا كان البابا حين يخرج من حين لآخر إلى جولات خارج الوطن، يتعرض كثيراً جداً لاحتجاجات أمثال هؤلاء المتضررين.



٣. الإسلام وموجز تاريخه

اسم الدين	الإسلام
مكان النشأة	شبه الجزيرة العربية
التاريخ	القرن السابع الميلادي
اسم النبي	رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ
طبيعة البِنية العَقَدية	التوحيد (الإيمان بأنه لا إله يستحق العبادة غير الله تعالى)
اسم الخالق الوحيد	الله ﷻ
الكتاب	القرآن الكريم
عدد المنتسبين	مليار ونصف (٢٠٪)
أماكن الانتشار	آسيا، وإفريقيا، وأوروبا، وأمريكا، وأستراليا وأشباهها.

الإسلام لفظة يدل معناها اللغوي على الطاعة، والسلام، والخضوع، وتدل بمعناها الاصطلاحي الديني على إطاعة الله تعالى، والتسليم لكل الحقائق الإلهية التي بلغها إلينا رسول الله ﷺ.

والإسلام اسم جامع لكل الرسائل السماوية التي لم يختلف محتواها الديني المتمثل في التبليغات الإلهية، مبتدَأةً بالإنسان الأول والنبي الأول آدم عليه السلام، ومختتمةً بنبي آخر الزمان محمد بن عبد الله ﷺ.

وظهر دين الإسلام مختتَماً بالرسالة المحمدية في أوائل القرن السابع الميلادي في مكة، في شبه الجزيرة العربية، حين كانت البشرية تغوص في ظلمات الجهالة والضلال، بعيدة عن الهداية والحق، وقد حرفت الكتب السماوية السابقة، وأعرضت عن مفاهيم الحق والعدل والإنصاف. فكان بعض البنات الصغيرات يوأدن و هُنَّ أحياء، وكان يُسترَقّ بعض الناس وهم أحرار، وبعض النساء يُبعن ويُشترَين كالسلع، وكثيرٌ من الناس لا يَعرف للناس ما لهم من شرف وكرامة، ولا يسمع لكلامهم إلا إذا كانت لهم قوة ونفوذ في المجتمع، وأما من كان ضعيفاً ووحيداً لا قرابة له ولا ناصر فلا حقّ له في الشرف. فكان من رحمة الله تعالى ولطفه بعباده أن أرسل إليهم، وهم على تلك الحال الجاهلية، آخر النبيين محمد بن عبد الله ﷺ ليكون لهم منقذاً وهادياً.

ولد محمد بن عبد الله ﷺ في أحسن أسرة في مكة شرفاً وخلقاً. وكان تاريخ مولده على ما يقال نحو سنة ٥٧١م، في الثاني عشر من ربيع الأول الموافق لليوم العشرين من نيسان. وكان والده قد توفي قبل مولده. وحين بلغ ست سنوات من عمره فقد أمه آمنة بنت وهب، فكفله جده عبد المطلب الذي ربى حفيده إلى أن توفي هو أيضاً لاحقاً. فأخذه عمه عبد المطلب ليكفله، فبقي رسول الله ﷺ تحت كفالته،

وكان خلال ذلك قد تعاطى التجارة. وحين بلغ سنّ الخامسة والعشرين من شبابه، تزوج من إحدى أنبل وأشرف نساء مكة، خديجةَ بنتِ خويلد ﵂. وحين بلغ سيدُ وَلَدِ آدمَ ﷺ سن الأربعين جعله الله تعالى نبياً مرسلاً.

وكان رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله ﷻ محبوباً ومحترماً لدى كل الناس. وكان الناس يأتمنونه على أغلى وأثمن ما لديهم من ممتلكات؛ لعلمهم بصدقه وأمانته، وأن الأمانة لا تضيع عنده، حتى لقبوه بـ «محمد الأمين»، وبه عُرف بينهم، مثلما عُرف قبل البعثة المحمدية بأنه لم تسجد جبهته الشريفة لصنم قط، ولا سُمع منه كذب قط. وكان يعطف على الأيتام ويواسيهم، ويعرف لأهل قرابته قدرهم ويصلهم، ولا يُفَرِّط في زيارتهم.

وما أنْ تَلَقَّى ﷺ الوحي من ربه سبحانه حتى بادَئ عشيرته الأقربين بالتبليغ، إلا أن هذا التبليغ بقي سرياً طيلة ثلاث سنوات، ولم يجاوز عددُ المعتنقين لهذا الدين في هذه الفترة أربعين مؤمناً. وتلَت هذه الفترةَ السرية فترةُ العلنيةِ، إذ صدر الأمر الإلهي إلى رسول الله ﷺ بالجهر بدعوته، فلبّى أمْر ربه وبدأ يعلن الإسلام لكل أحد. وما أن علم ببداية الجهر بالدعوة أشرافُ مكة الذين يخافون على مناصبهم، ومصالحهم الشخصية أن تضيع من أيديهم، حتى عارضوا هذه الدعوة أشد المعارضة، بل بدؤوا يؤذون رسول الله ﷺ ويعذّبون المؤمنين به ويظلمونهم، ولكن الله تعالى ثبّت المؤمنين فلم يرجع أحد منهم عن دينه الذي ارتضاه. وبقي هذا الوضع على حاله لأكثر من ثلاثة عشر عاماً، فاضطر المسلمون تحت وقع الظلم والتعذيب الذي وصل حداً لا يطاق، إلى أن يهاجروا في سبيل دينهم. فهاجروا إلى الحبشة أولاً، ثم إلى المدينة ثانياً. وأما رسول الله ﷺ فقد هاجر إلى المدينةَ سنة ٦٢٢م، وهناك استمر في تبليغ الإسلام إلى الناس أجمعين.

وبعد أن هاجر المؤمنون الذين لُقِّبُوا بالمهاجرين لاحقاً، من مكة المشرفة إلى المدينة المطهرة، وبعد أن آواهم ونصرهم إخوانُهم، سكانُ المدينة الذين لُقِّبوا لاحقاً بالأنصار، أعلن رسول الله ﷺ كلّاً من المهاجرين والأنصار إخواناً في الله تعالى. ثم عَقَد مع سكان المدينة اليهود معاهدة حدّدت ما يجب أن يكون بين كلا الطرفين من الحقوق والواجبات. ومكَّن الله تعالى المؤمنين في المدينة، بعد الهجرة، من إقامة شعائر دينهم مطمئنين قادرين على تبليغ الإسلام لمن شاؤوا، مما ساعد على انتشاره سريعاً بين الناس في المدينة.

وأما المشركون في مكة الذين كانوا يرون في هذا الانتشار الإسلامي تهديداً لمصالحهم ونفوذهم؛ فلم يَتَوانَوا عن الاعتداء على المسلمن ومهاجمتهم في بدر، وأحد، والخندق، ليقفوا بذلك عقبة في وجوه الناس ليصدّوهم عن اعتناق الإسلام. ولكن الله تعالى علم ما في قلوب عباده المؤمنين الأولين من قوة إيمان، فأمدّهم بنصره الذي لا يُقهَر، وأعزّهم وهم فئة قليلة مستضعفة، بأن أظفرهم على عدوهم المشرك.

وأما يهود المدينة فقد نقضوا المعاهدة التي كانوا قد أبرموها من قبلُ مع المسلمين، ووقفوا إلى جانب المشركين ضد المسلمين خيانة منهم وغدراً، فقابلهم رسول الله ﷺ بالنفي الذي يستحقّونه من المدينة.

وفي نهاية المطاف، وبعد أن تقوّى المسلمون في المدينة بقدر ما يقدرون عليه، خرجوا منها تحت قيادة رسول الله ﷺ وهم جيش عرمرم، ليدخلوا وطنهم الأصلي مكةَ فاتحين. وذاك ما وقع حقاً، إذ لم يقدر أهل مكة المحاربون بالأمس إلا بأن يقابلوا هذا الجيش الضخم اليوم بالتسليم، دون أيّ قتال أو مقاومة تستحقّ الذكر. وهكذا قدّر الله تعالى في سابق علمه للمؤمنين الذين أخرجوا بالقوة من ديارهم فيما مضى، بأن يعيدهم إليها معزَّزين منصورين. وأصدر رسول الله ﷺ عفوه عن الذين كانوا عزموا على قتله، وطردوه من وطنه، مبرزاً لرحمة عظيمة حفظها لنا التاريخ الإسلامي إلى اليوم. وما كان من أهل مكة المشركين، أمام هذه الرحمة الفذّة، إلا أن يسلموا جميعُهم أو أكثرهم منقذين لأنفسهم من الضلال، متشرّفين بشرف الإسلام.

وبعد أن قضى رسول الله ﷺ عشر سنين في المدينة مبلّغاً لرسالة ربه، توجه إلى مكة المشرفة ليؤدي فريضة الحج، وفي الحج خطب في الناس خطبة الوداع المشهورة، وفي السنة الحادية عشرة من الهجرة (٦٣٢م) فارقت روحه الطاهرة هذه الدنيا الفانية مختارةً للرفيقِ الأعلى.

وكان القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ قد أوحي إليه كله قبل وفاته، ونقله الصحابة ﷺ، وحفظه الكثيرون منهم عن ظهر قلب. والقرآن الموجود بين أيدينا اليوم هو القرآن المكتوب في ذاك العهد بعينه، وصل إلينا كما كان عليه، دون أدنى تغيير أو تحريف. وجاء أبو بكر ليخلف رسول الله ﷺ بعد وفاته في مقام الخلافة، وتسييرِ الأمة، ثم جاء عمر، ثم عثمان، ثم علي ﷺ أجمعين، يتلو بعضهم بعضاً في الخلافة. واستمرّت خلافة الخلفاء الأربعة نحو ثلاثين سنة، واتسعت أرض المسلمين لتصل حدودها إلى سوريا، ومصر، وبلاد ما بين النهرين، وإيران، والهند.

ثم تأسست الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م)، وانتقلت عاصمة دولة الإسلام إلى دمشق في بلاد الشام، و وصلت حدود بلاد الإسلام إلى الصين، والهند شرقاً، وإلى فرنسا غرباً. وجاء بعد الأمويين العباسيون (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م) لينتزعوا الحكم من أيديهم، واستمرت دولتهم خمسة قرون في بغداد تدافع عن بَيْضَة الإسلام.

وفي هذه الفترة عرف المسلمون تقدماً عظيماً في ميدان العلم، والفكر، والفنون، ونقلوا من خلال حركة الترجمة الكبرى الكثيرَ من المصنفات من اللغات القديمة كاليونانية، والفارسية، والسريانية إلى العربية. وبالتالي انتقل ذاك الميراث العلمي القديم إلى الحضارة الإسلامية، وبذلك وضع الإسلام أمام الجميع مفهومه الخاص به عن العلم والفكر. وفي هذا الإطار أسست المدرسة النظامية، ومدرسة «بيت الحكمة» في بغداد، وهناك نَبَغَ الكثير من رجالات العلم والفكر.

وخلال الحكم الأموي تمكّن المسلمون من وضع أقدامهم على التراب الأوروبي بفتحهم بلاد الأندلس (إسبانيا اليوم)؛ وعندئذ عرفت الأندلس إحدى أكثر فترات الحضارة الإسلامية رقيّاً وازدهاراً. وفي هذا العصر، وفي مقابل هذه الحضارة المنقطعة النظير، كان النصارى المعروفون باسم الصليبيين ينظّمون العديد

من الاعتداءات على أراضي المسلمين، فاضطر المسلمون من عباسيين، وأيوبيين، وسلاجقة إلى مواجهتهم للدفاع عن حرمات المسلمين، ففشل الصليبيون في هذه الحروب.

وباعتناق الأتراك للدين الإسلامي؛ ازدادت مساحة الأراضي الإسلامية حتى تاخمت حدود الإمبراطورية البيزنطية. وجاء دور الدولة العثمانية بعد الدولة السلجوقية، لتقوم دعائمها لمدة ستة قرون، حاملةً راية الإسلام ومدافعة عن مقدساته. وفي عهدها فتحت اسطنبول، عاصمةُ الإمبراطورية الرومانية الشرقية، ومركزُ النصرانية الأرثوذكسية، على يد السلطان العثماني الفاتح محمد خان سنة ١٤٥٣م.

واتسعت دولة الإسلام بشكل مكثف في العهد العثماني لتبلغ قارة آسيا، وأوروبا، وإفريقيا. فالحكم العثماني الذي دام ٦٢٣ سنة أخضع لسيادته كثيراً من الدول التي حكمها بالعدل والمساواة، منها اليونان، وبلغاريا، والمجر، ويوغسلافيا، وألبانيا في أوروبا؛ ومنها السعودية، والعراق، وسوريا، وفلسطين، وما يعرف اليوم باسم إسرائيل من بين دول الشرق الأوسط؛ ومنها مصر، وليبيا، والجزائر، والمغرب، وتونس من بين دول إفريقيا؛ وأذربيجان، وجيورجيا، وأرمينيا من بين دول آسيا.

وأكثر هذه الدول اليوم هي مضطرة إلى الحفاظ على بقائها دولاً مسلمة مستقلة. إلا أن المسلمين الذين يعيشون فيها يتعرضون ـ للأسف الشديد ـ إلى نكدٍ مستمر من طرف الدول الغربية منذ فترات الاحتلال والاستعمار التي كانت تفرضها عليها إلى اليوم. وما يحدث في السنوات الأخيرة من مآس وآلام يتعرض لها العالم الإسلامي في مختلف أقطاره كالبوسنة والهرسك، وفلسطين، والعراق، وأفغانستان، وبعض المناطق في إفريقيا، هو من الشواهد الواقعية على أن الأمة الإسلامية جمعاء باتت كاليتيمة التي لا أهل لها ولا ناصر.

وهذا ما ينبغي أن يكون دافعاً للمسلمين، مهما كانت دولهم صغيرة ومبعثرة، إلى البعد عن كل الأسباب الموقعة في الفتن والفساد، وإلى المضي قدماً في الطريق التي حددها لهم الله تعالى ورسوله ﷺ، وإلى السعي ليكونوا أكثر قوة من كل زمان مضى وفي كل ميدان، وأن يكونوا أكثر تيقظاً لكل ما يُحاك حولهم من دسائس وكأنهم أعضاء جسد واحد يشتركون في آلامه وأفراحه، فإنه لا مفرّ لهم من الاعتصام بحبل الله تعالى لنيل سعادتي الدنيا والآخرة.



الخصائص المميزة لدين الإسلام عن غيره

١. هي أن الإسلام أفضل دين على وجه الأرض، رغم أن غير المسلمين لو قارنوا الإسلام بالنصرانية التي يرجع تاريخها إلى ألفي سنة، وباليهودية التي يرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف سنة، لوجدوه أحدث منهما. بل إن كونه ديناً جديداً يبعث على الثقة أكثر بما يتعلق به من معلومات، وبكونها سليمة صحيحة.

٢. ثم إن الإسلام كما أنه آخر الأديان فإنه أيضاً أفضلها. فإذا نظرنا إلى التاريخ العالمي لم نجد ديناً آخر جاء بعد الإسلام وأثّر في حياة البشرية كل هذا التأثير.

٣. والإسلام قبل كل شيء رسالة شاملة كاملة، ليس فيها أي نقص أو تناقض. وهو دين عالمي، أنزل لكل البشرية، وليس خاصاً بمجتمع معين أو بمنطقة محددة.

٤. وأن الإسلام دين يحيط بجميع جوانب الحياة الإنسانية؛ لأن الإسلام ليس محصوراً في مجموعة من العبادات، أو مجموعة من المبادئ الأخلاقية، كما أنه ليس ديناً يثبت نفسه ببعض المعجزات التي يتركها وراءه ثم يرجع.

وأما اليهودية فديانة خاصة باليهود وحدهم؛ هدفها الأصلي إسكان اليهود في الأرض المقدسة الموعودة لهم في هذه الدنيا. فهي من هذه الناحية ذات تصور أناني يعكس العهد القديم المعاصر أو التوراة المعاصرة التي لا تذكر الآخرة ذكراً مباشراً أولياً في أي موضع، بل هي مبنية على أساس دنيوي مفْرِط.

وأما النصرانية فليست مثل اليهودية، نظاماً دنيوياً؛ بل هي على خلافها، نظام متوجّه إلى الحياة الآخرة توجّهاً محضاً. فليس في أي من الأناجيل على الإطلاق نظام قانوني ينظّم علاقات الناس بعضهم مع بعض ومعاملاتهم فيما بينهم. بل إن العالم النصراني اليوم لا يعتمد من الناحية القانونية على الديانة النصرانية، ولكن على التشريعات الرومانية.

وقد سعت النصارى لتدارك هذا النقص الواقع في أناجيلهم عن طريق القوانين التي يصدرها البابوات، فتحوّلت النصرانية، هذه المرّة، بفعل تصرفات البابوات المتناقضة إلى ديانة دنيوية. وأبرز دليل على هذا كون الكنيسة أغنى طبقة في المجتمع بما كانت تكتسبه طيلة العصور الوسطى من أراضٍ وعقارات.

وإذا نحن نظرنا إلى اليهودية واهتمامِها المفرط بالدنيا، وإلى النصرانية وإهمالها المفرط للدنيا، وإلى الإسلام وحفاظِه على التوازن الكامل بين الدنيا والآخرة؛ شَدَّ انتباهنا ذاك الفارق العظيم بين الديانتين المفرطتين من جهة، وبين ذاك الدين الإلهي الذي لا يمكن أن يفوقه دين. وكيف لا يكون الإسلام كذلك

وهو دين ينظم للناس إيمانهم، وعبادتهم، وأخلاقهم، وتجارتهم، وعلاقاتهم العائلية، وزواجهم، وطلاقهم، وطعامهم وشرابهم.. وغير ذلك من المعاملات الأخروية والدنيوية. فالإسلام حريص على تنشئة مجتمع لا ينسى نصيبه من الدنيا، ولكن يستفيد منها قدر طاقته بشكل مشروع، وفي الوقت نفسه لا ينسى آخرته أيضاً التي إليها معاده.

٥. وأنّ الإسلام تشريع ديني يضع نصب عينيه فطرة الإنسان، وما يوافق الجوانب الروحية، والجسمانية، والاجتماعية لحياته، ويسعى ليجعله يلبي حاجاته ورغباته بالطرق المشروعة. وأنْ ليس في الإسلام، بوجه من الوجوه، معتقدٌ مُفادُه تَحَمُّل شخص لذنب غيره، ولا كون رجال الدين موكَّلين بالعفو عن ذنوب الناس، ولا فيه ما يخالف الفطرة السليمة كتحريم الزواج على الرهبان والراهبات.

٦. وأنّ في الإسلام قدراً كافياً جداً من المعلومات والمعطيات عن حياة خاتم الأنبياء محمد ﷺ، من أولها إلى آخرها. بل ليس في التاريخ البشري شخصية إنسانية أُجريت عليها أبحاث ودراسات لا تُحصى، من طرف المسلمين وغير المسلمين، وتُعرِّض لها بأدق التفاصيل، مثلُ حياة رسول الله ﷺ.

ورسول الله ﷺ وإن كان بشراً مثلنا، إلا أنه نبي كان ينزّل عليه الوحي من الله تعالى. ونُقلت إلينا حياتُه كتابة ومشافهة حتى تكون كلها مسجلة محفوظة يستطيع أن يطّلع عليها كل مؤمن، وكل من أراد أن يتثبت من أمر الإسلام، وأن يكون على بيّنة من أمره.

وهذا بخلاف الوضع في اليهودية أو النصرانية؛ إذ النقص الواقع في المعلومات المتعلقة بهما، وكون المعلومات الموجودة قد تم معرفتها لاحقاً، لهو مما يجعل بالشُّبه تَحُوْم حول حياة النبيَين الكريمين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام. وإذا ما نظرنا بعين الاعتبار في هذه الشُّبه الناتجة عن نقص المعلومات، تَبَيَّن لنا من ناحية التأريخ للأحداث، مدى الوضوح والنصاعة والدقة والأمانة المبذولة في نقل حياة نبينا ﷺ كما كانت عليه.



٧. وأنّ التاريخ الحائز على الكثير من الملعومات عن حياة النبي ﷺ، قد حاز بالتبعية، كلَّ ما يثبت كون رسالته حقاً وصدقاً. فما أن نزلت أولى الآيات القرآنية حتى أخذ يحفظها من يحفظها، ثم يدوِّنها في رقاع حفاظاً عليها، لتصل إلينا كما أنزلت من عند الله تعالى. هذا النوع من المحافظة لم يُقَدَّر لأي كتاب سماوي من قبل؛ فلا التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام بقيت على أصلها إلى اليوم، ولا الإنجيل الذي أنزل على عيسى بن مريم عليها السلام. وكتاب المسلمين المقدس الذي هو القرآن الكريم، قد تمّ تدوينه في حياة رسول الله

ﷺ، ونُقل إلينا كما كان عليه من غير زيادة ولا نقصان إلى يومنا هذا، فكان هذا إذن من أسباب بقاء الإسلام مهيمناً على الكتب الأخرى. والتوراة والإنجيل إنما دوِّنا بعد إنزالهما بفترة بعيدة، وتدوينهما نفسُه صَحِبَه أنواع من التحريف لم تترك مجالاً للمحافظة على النسخ الأصلية.

٨. كما أن الإسلام من حيث الإيمان والتوحيد أيضاً أصحُ كل الأديان؛ و أصول وأسس الإيمان فيه لا تتغير، لا حسب الزمان ولا المكان؛ وأنه ليس كالأديان الأخرى التي تتغير حسب الحاجات البشرية، بل كلها في الإسلام ثابتة قد حددها الله تعالى علام الغيوب، قبل أن يُتوفى رسول الله ﷺ. وأن ما كان يؤمن به رسول الله ﷺ والصحابة ﷿ هو الذي يؤمن به المؤمنون اليوم أيضاً.

٩. وأن الإسلام دين الرحمة والخير والمحبة. والاسم الثاني الأعظم من أسماء الله تعالى الرحمن، الرحمن الذي يرحم العباد مؤمنَهم وكافرَهم بالرزق في الدنيا والحفظ من بعض المصائب. أما في الآخرة فإنه لا يرحم سبحانه إلا من آمن به.

١٠. ومن خصائص الإسلام الأخرى التي تلفت الانتباه من بين سائر الأديان الموجودة في العالم أنه دين ذو بِنية سليمة وقادرة على مواجهة جميع الحركات الفكرية. ولهذا كان الذين يرفعون رايات الكفر والجحود بوحدانية الله تعالى ورسائله، يدعوهم الإسلام دائماً إلى الإيمان مستعملاً الحجج التي لا يسع العقل السليم إلا أن يذعن لها. وكان يردّ عليهم بحجج هي أحسن ما يدل على تهافت حُجَجِهم وتساقطها، وفي الوقت نفسه يحثّهم على استخدام ما رُزقوه من أدوات التفكير والفهم.

١١. وأن الإسلام دين العلم والحكمة والمنطق السليم المقبول في فِطَر الناس. وفي ظلّ الإسلام تعلّم المسلمون أن يطلبوا العلم من المهد إلى اللحد، وتعلم المؤمنون أن الحكمة ضالّة المؤمن، أي مُلكه الضائع منه، حيثما وجده كان أولى الناس بأخذه. وأما في الديانات، وعلى سبيل المثال النصرانية، فإن تعاليم الكنيسة وحدها هي الصواب، وما عداها فكله خطأ يحرم تعلمه، حتى كانت الكنيسة تضغط على كل من لم يكن من رجالها، وتحاول إسكاته. وهذا كان ما كان سبباً في نشوء عداوة بينها وبين العلم الحديث.

١٢. وأن الإسلام تَنْصَبُّ رسائله على الإنسان، فهو المحور الذي يريد الإسلام أن ينشئ منه مجتمعاً حقيقياً واقعياً يواجه متطلبات الحياة بكل ما فيها، لا مجتمعاً مثالياً خيالياً بعيداً عن واقع الحياة. ومثال المجتمع الذي يهدف الإسلام إلى إنشائه هو ما يسمّيه البعض بمجتمع «عصر السعادة» الذي عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون ﷺ. فهو العصر الذي طبق فيه صاحب الرسالة الإسلام بنفسه، طَبَّقَه نبياً وبشراً، عالماً بالفطرة البشرية التي تنازع الإنسان وتدعوه إلى تلبية حاجياته الطبيعية، فتزوَّج رسول الله ﷺ، وأنجب الذرية، وكان يأكل ويشرب ويصوم، ويقوم وينام، ويتاجر ويكتسب المال... وبهذه الخصائص كان أسوة حسنة ومثالاً لكل واحد، في كل مستوىً.

١٣. وأن الإسلام لا يفسد طبيعة الإنسان أبداً، وأنه لم يمسّ بأي نوع من أنواع الثقافات القديمة التي لا تتصادم مع مبادئ الإسلام، بل على العكس من ذلك حافظ عليها وطوَّرها. وفوق هذا كله قد عارض كلَّ ما مِن شأنه إفساد الطبيعة البشرية، فجاء بنظرة جديدة للثقافات المحلية، وتعايشها السلمي بعضها مع بعض، الأمر الذي لم تبدأ أوروبا باكتشافه إلا مؤخراً، في بدايات القرن الحالي؛ في حين أن اليهود والنصارى والمسلمين تعايشوا في بلدٍ واحد، بل في محلّة واحدة، في سِلْمٍ وتفاهمٍ.



قصة للمطالعة



الإسلام دين التوازن

إن ما جاء به الإسلام من أوامرَ ونواهٍ قد راعى فيه التوازنَ بين الحياة الدنيوية وبين الحياة الأخروية. ومن خير الأمثلة التي تُوجز لنا هذا المفهومَ ما رواه عبد الله بن عمرو ﷺ أنه قال: «أُخبر رسولُ الله ﷺ أني أقول: والله لَأَصُومَنَّ النهار، ولأَقُومن الليل ما عِشت. وحين سأله رسول الله ﷺ إن كان ما بلغه عنه صحيحاً، قال عبد الله:

فقلت له: قد قلتُه بأبي أنت وأمي،

قال: «**فَإِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ**» (البخاري، الصوم ٥٥-٥٧/ ١٩٧٦)

إن المسلمين اليوم لا يمكنهم أن يبلّغوا لغيرهم جمال الإسلام، فضلاً عن أن يكونوا قدوة لغيرهم إلا بأن يعيشوا طبقاً لما أمر الله تعالى ورسوله ﷺ به. وبهذه المناسبة يَجدُر ذكرُ كلمتين صدرت الأولى منهما من أستاذٍ جامعيٍّ نصرانيٍ اسمه رودريغاز Rodriguez أجرى أبحاثاً عن الإسلام في إحدى البلدان الإسلامية، سأله أستاذ جامعيٌّ مسلم عن السبب في عدم اعتناقه للإسلام وقد عرفه ودرسه، فأجابه قائلاً: «... لأن الإسلام الذي درّسوه لنا في المدارس لم أره عند المسلمين في الشوارع». وصدرت الكلمة الثانية من رجل ناصح للمسلمين بعد اعتناقه للإسلام اسمه يوسف علي إذ قال:

«يجب على المسلم أن يكون على وعيٍ بتصرفاته أمام غير المسلم؛ لأن السلوك أشدّ تأثيراً في النفس من الكلمات».

لهذا كان ضرورياً جداً أن يتعلم المسلمون دينهم الصحيح من منبعه الصافي، ثم يسعوا لتطبيقه على أحسن وجه دون إفراط أو تفريط، بعيدين عما لا يليق بروح الإسلام ويحول دون انتشاره، ليكونوا في مستوىً لائقٍ ليمثلوه أمام أعين العالم الذي لا يعرفه.

أسئلة الوحدة الثانية

أ. أجب عن الأسئلة التالية أجوبة صحيحة:

١. وفقاً للإسلام، ما هي الكتب السماوية المنزلة، وعلى أي أنبياء أنزلت؟

٢. ما هي أهمية النبي موسى عليه السلام في التاريخ اليهودي؟ حلّل وناقش.

٣. ما هي التغييرات التي أحدثها اليهودي القديم «باولوس» بعد عيسى عليه السلام حين جاء على رأس النصارى الجدد؟ أجْرِ بحثاً عن مكانته في النصرانية اليوم.

٤. ناقشوا فيما بينكم المصاعب التي واجهت رسول الله ﷺ أثناء أدائه لرسالته.

٥. أذكر على الأقل خمساً من الخصائص المميزة للإسلام عن غيره.



ب. اختر الإجابة الصحيحة

١. فيما يلي بعض الصحف التي جاء في الدرس أنها نزلت على بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أيٌّ منها عددُه خطأ؟

أ. آدم عليه السلام: ١٠ صحف.

ب. شيث عليه السلام: ٥٠ صحيفة.

ج. إدريس عليه السلام: ٣٠ صحيفة.

د. إبراهيم عليه السلام: ٥ صحف.

٢. ما هو الاسم الذي لا يطلق على اليهود فيما يلي؟

أ. بنو إسرائيل.

ب. العبرانيون.

ج. الفلسطينيون.

د. الموسويون.

٣. ما هو الشقّ الصحيح الذي ورد فيه ذكر المذاهب الكبرى للنصارى؟

أ. الفريسيون- الصديقيون- الأسينيون.

ب. الكاثوليك- الأرثوذكس- البروتستانت.

ج. المحافظون- العصرانيون- التحرّريّون.

د. الشيعة- السنة- الوهابية.

٤. ما هو الشقّ الصحيح الذي ذكر فيه تاريخ هجرة رسول الله ﷺ ومولدِه ووفاتِه؟

أ. ٥٧١-٦١٠-٦٣٢ .

ب. ٥٧١-٦٢٢-٦٣٢ .

ج. ٥٧١ -٦٣٢-٦٢٢ .

د. ٦٣٢-٦٢٢-٥٧١.

٥. عند نظرنا في تاريخ الإسلام، أي مناطق العالم شهدت انتشاراً قليلاً له؟

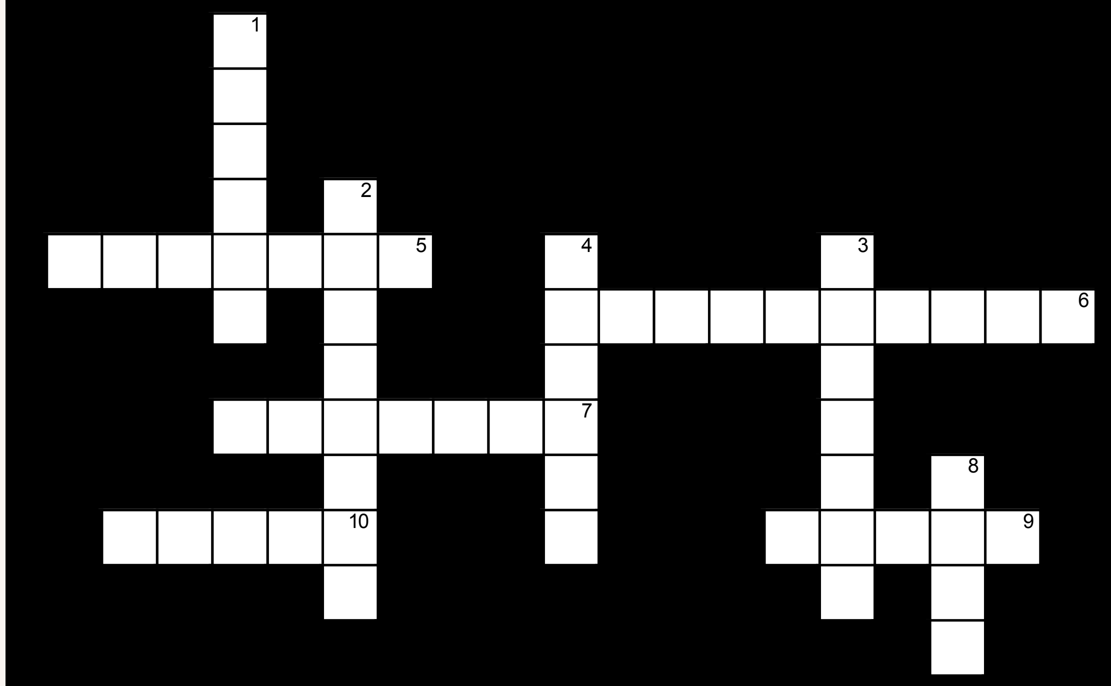
أ. إفريقيا- آسيا .

ب. الأناضول- البلقان.

ج. أمريكا- شمالي أوروبا .

د. بلاد القفقاز- شمالي إفريقيا

ج. الكلمات المتقاطعة





١. المقصود بها هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة سنة ٦٢٢ هـ.

٢. جبل عظيم تلقّى فيه موسى عليه السلام الوحي لأول مرة من الله تعالى.

٣. نسبةً إلى المسيح عليه السلام، وتعني الذين آمنوا به واتبعوه. وهم المعروفون بالنصارى أيضاً.

٤. اللقّب الصادق الذي أطلقه المشركون على رسول الله ﷺ قبل البعثة.

٨. المرأة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم بأنها مِثال العفّة والطهارة، والمباركة التي ولد لها ابنها عيسى عليه السلام من غير أبٍ معجزةً من الله تعالى.



٥. اسم يعني التلاميذ، ويطلق على المؤمنين الأوائل الذين صحبوا عيسى عليه السلام.

٦. اسم آخر يطلق على اليهود لكونهم ذرية النبي يعقوب عليه السلام. وإسرائيل عند اليهود، حسب ما كتبوه في توراتهم (سفر التكوين ٢٥/ ٣٢)، يعني «الذي غلب الله».

٧. اسم يطلقه البعض على اليهود لكونهم مؤمنين بموسى عليه السلام.

٩. لقبٌ كان يطلق بصفة عامة على كل حكّام مصر القديمة. ولكنها تطلق في القرآن الكريم بصفة خاصة على فرعون الذي كان عدوّ موسى عليه السلام.

١٠. المدينة المقدسة عند أتباع الأديان الثلاثة الكبرى، وهي الآن واقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي.


بسم الله الرحمن الرحيم
ادخلوها بسلام آمنين



الأديان في إفريقيا منذ القديم إلى يومنا هذا

الموضوعـــــــــــــات

 الأديان التقليدية الإفريقية.

 اليهودية في إفريقيا.

 النصرانية ونشاطات التنصير في إفريقيا.

 الإسلام في إفريقيا.

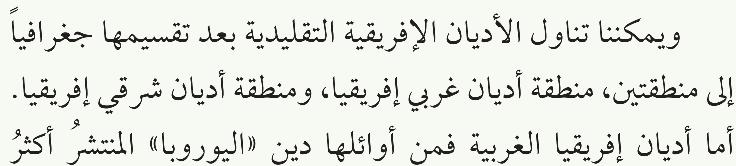


الديانات الإفريقية عبر التاريخ إلى يومنا هذا

إفريقيا واحدة من أقدَم وأعرَق القارات في العالم. تعيش فيها مجتمعات بشرية تتكلم العدد العديد من اللغات، كما أن فيها مثل ذلك العدد من الأجناس والثقافات المختلفة. أما شمالي إفريقيا فقد احتضنت حضارة مصر القديمة كما احتضنت حضارة الإسلام التي اصطبغت بالصبغة البربرية. وأما إفريقيا الغربية فقد تقاسمت كلاً من الإسلام الممثلَ بشعار الهلال، والنصرانية الممثلة بشعار الصليب. وإذا اتّجهنا نحو الجنوب صادفنا بنية عجيبة من الديانات المختلطة. وسنتناول في هذا الفصل شيئاً عن الديانات القديمة، ثم عن انتشار الأَديان الثلاثة اليهودية، والنصرانية والإسلام التي دخلت هذه القارة لاحقاً.

١. الأديان التقليدية الإفريقية

كنا قد تحدثنا في الفقرات السابقة تحت عنوان «الأديان الباطلة» بشكل موجز عن الأديان الإفريقية المحلية، وعن خصائصها المشتركة. وقد تبين لنا هناك أن هذه الأديان تضمّ، قبل كلِّ شيء، معتقداً مهيمناً عليها يتصور كائناً عظيماً، ومَلِكاً حاكماً فوق جميع الملوك. إلا أنه لا يمكن التقرب إليه إلا بواسطة مجموعة من الأرواح تتمثل في زعماء القبائل، والكهنة، وأرواح الآباء والأجداد؛ إلى جانب مجموعة من الأشياء والحيوانات المقدسة.[٢٤] ولديهم عادات في طقوسهم الدينية المتمثلة في تقريب القرابين المصطحَبة بالموسيقى والرقص، كما يولُون أهمية في أديانهم لممارسة السحر والشعوذة. وأما نصوصٌ مكتوبة يُرجع إليها لمعرفة عقائد وعبادات أديانهم فغير موجودة، إذ تُتَلَقى أديانهم عندهم عن طريق المشافهة والتطبيق العملي عبر الأجيال.



ويمكننا تناول الأديان الإفريقية التقليدية بعد تقسيمها جغرافياً إلى منطقتين، منطقة أديان غربي إفريقيا، ومنطقة أديان شرقي إفريقيا. أما أديان إفريقيا الغربية فمن أوائلها دين «اليوروبا» المنتشرُ أكثرُ

٢٤ ويمكننا القول بأن الإيمان بوجود خالق عظيم لهذا الكون لدى هذه الأديان قريب من الإيمان بالله الخالق المقتدر في العقيدة الإسلامية، وهو مما يساعد على انتشار الدين الإسلامي سريعاً في القارة الإفريقية.

أتباعه في نيجريا، وساحل العاج، وغانا، وما حواليها من الدول المجاورة. وهم يعتقدون بأن الملوك الذين يحكمونهم معيَّنون من طرف، ليس الإله، ولكن من طرف الآلهة، إذ دينهم مبنيٌّ على الاعتقاد في آلهة متعددة. وفي غربي إفريقيا دين تقليدي آخر يعرف بدين «الآكان» الذي تعيش طوائفه تحت ظل مملكة «آشانتي»، وهم يعتقدون بآلهة متعددة، لعل أهمها الإله السماوي «نيامي» الذي يُخَصَّص من أجله مكانٌ في كل بيت لتقديم القرابين إليه.

وأما أديان شرقي إفريقيا التقليدية فهي كذلك تولي أهمية لطقوس استحضار الأرواح ولممارسة الشعوذة. ولكن الاعتقاد في الإله الخالق فاعتقادٌ لم يتطور عندهم.

وأما عن جنوبي إفريقيا فعاداتهم الدينية تقتضي ختن الأطفال الذكور، وتشبه احتفالاتُ الختان شيئاً ما الطقوس الدينية. ومما يشدّ الانتباه فيها مراسمُ تقديم القرابين الدموية، وكذا الرقصاتُ التي تؤول بأصحابها إلى حالة الغيبوبة، إذ الرقص عندهم نوعٌ من إقامة اتصال بالإله. والسحر أيضاً واحدٍ من الخصائص التي تميّز هذه الأديان.

٢. اليهودية في إفريقيا

لا يسمح اليهود بصفة عامة لمن لم يكن من عرقهم أن ينتسب إلى اليهودية. كما أن اليهود لا يكونون يهوداً حقيقيين إلا إذا انحدروا من أمٍّ يهودية. لكن اليهود اليوم يتبعون سياسة مغايرة جداً في إفريقيا، إذ يزعمون أن بعض القبائل اليهودية الغائبة توجد اليوم في إفريقيا، ويتحدثون عن وجود يهودٍ أفارقة في القارة الإفريقية، في غانا، وأوغندا، ومالي، والمغرب، وتونس، وزيمبابوي.

وهذا كما يزعم أفراد قبيلة «لَمبا» القاطنون في منطقة زيمبابوي، وجنوبي إفريقيا، وزامبا، ومالاوي من جنوبي القارة الإفريقية من أنهم ينحدرون من نَسْل سيدنا سليمان عليه السلام، وهم لا يأكلون لحم الخنزير، ويختنون أبناءهم. ومما يستدل به أفراد هذه القبيلة على زعمهم هذا أنّ الآثار القائمة في «أوفير» بزيمبابوي إنما هي بقايا قلعة أنشأها سليمان عليه السلام من أجل «بلقيس» ملكةِ «سبأٍ» حين جاء باحثاً عن الذهب.

ووطن أكثر اليهود في إفريقيا هو جمهورية جنوبي إفريقيا. وأكثر هؤلاء اليهود قدموا إليها من الدول الأوروبية، ويشتغل أكثرهم بتجارة الذهب والماس. ويُخمَّن أن عدد اليهود في مجموع إفريقيا كلها يقارب خمسمائة ألف يهودي.

٣. النصرانية والتنصير في إفريقيا

أ- دخول النصرانية إفريقيا:

دخلت النصرانية إفريقيا من بوابة إثيوبيا/ الحبشة في القرن الثاني الميلادي عن طريق أعمال التنصير. ثم بدأت تتراجع في القرن السابع الميلادي لحساب الإسلام الذي كان يزداد انتشاراً في إفريقيا، ولم تستطع الحفاظ على وجودها إلا في إثيوبيا. وفي ظرف الألف سنة الماضية اعتنق الإسلامَ جميعُ مجتمعات إفريقيا الشمالية إلى أن دخل المحتلّون الأوروبيون القارةَ الإفريقية. فبدأ البرتغاليون والهولنديون، فيما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، يُسرِّبون النصرانية إلى إفريقيا من خلال نشاطات التنصير. وبعد اقتسام الدول الغربية لمستعمراتها فيما بينها سنة ١٨٨٤ بموجَب مؤتمر برلين، ازدادت مظاهر الديانة النصرانية في هذه المنطقة عن طريق نشاطات الاستعمار والتنصير. ورغم هذه الجهود المبذولة لم تتمكن النصرانية من جلب عددٍ كبير من سكان المناطق التي حكمها الإسلام منذ فترات طويلة حتى تحوّلهم عن دينهم.

ويقارب عدد المسلمين اليوم النصف (٥٠ ٪) من مجموع السكان في القارة الإفريقية. إلا أن سكان الدول الممتدة على طول الشواطئ الشمالية من مضيق غينيا يفوق عددهم الـ ٨٠ ٪. وسكان دول شمالي إفريقيا والصومال في الشرق كلهم مسلمون. ويعيش أكثر مسلمي كينيا وتانزانيا في المناطق الساحلية، في حين أنهم في دول غربي إفريقيا يتجمّعون أكثر في مناطق الشمال. أما المسلمون في جمهورية الكونغو الشعبية، وفي زامبيا فعددهم قليل.

ب- نشاطات التنصير في إفريقيا:

إفريقيا قارة غنية بمواردها الطبيعية الباطنية، مما أسال لعاب الغرب المتوحش الذي استعمل مختلف الأساليب للاستيلاء عليها واستغلالها لصالحه. وبالموازاة لهذا سعوا أيضاً لتحويل الأفارقة عن أديانهم عن طريق أعمال التنصير، ونشْر النصرانية بين السكان. ولم يكتفوا بذلك حتى أخذوا معهم من إفريقيا الآلاف من البشر الإفريقيين إلى أوطانهم ليستعملوهم في أعمالهم المزرعية بمزارعهم الكائنة بأوروبا وأمريكا. ومات أكثر هؤلاء تحت الأمواج المتلاطمة للمحيط الهادئ وهم في طريقهم إلى تلك المزارع. هؤلاء الأفارقة الذين جُلِبوا من طرف الأوروبيين إلى أمريكا بَقُوا مئات السنين مستعبَدين، يعملون تحت قهر المعاملات الوحشية. بل كان السكان المحليون ما يزالون إلى غاية بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، يُعلِّقون على أبواب بعض الأماكن لافتاتٍ مكتوباً عليها: «لا يدخل هنا الكلاب والزنوج»، قاصدين إلى معاملتهم معاملةَ بشرٍ من الدرجة الثانية.

ونشعر هنا لبالغ الأهمية، بضرورة التوسع قليلاً في تناول أعمال التنصير في القارة الإفريقية؛ ذلك أن القارة الإفريقية التي جُعلت مسرحاً للأعمال التنصيرية منذ الماضي إلى الحاضر، تصلح لتكون مثالاً بارزاً

يدل إلى أبعد الحدود على أهداف وأغراض التنصير؛ إذ من المعلوم أن الدول النصرانية الغربية اتخذت كلاً من الدين والتنصير آلةً تستعملها لبلوغ آمالها في الهيمنة والسيطرة. فالهدف منها ليس الدينَ وحده، لهذا ربطوا ربطاً قوياً بينه وبين المصالح السياسية والاقتصادية أيضاً. هدَفُ النصارى هذا أوجزه «جومو كينياتا» أول رئيس حكومة كينية في كلمةٍ له فقال:

«عندما دخل المنصّرون تراب وطننا كان الإنجيل في أيديهم، وكان وطننا في أيدينا. فعلّمونا أن ندعو وأعيننا مغمّضة. ولكننا حين فتحنا أعيننا وجدنا الإنجيل في أيدينا، ووطننا في أيديهم».

إن الفترة التي ازدادت فيها نشاطات التنصير في قارة إفريقيا كانت بدايات القرن التاسع عشر. هذه الفترة نفسها كانت نقطة تحوّل بالنسبة للاحتلال العالمي لينتشر على وجه الأرض، يدفعه المنصّرون البروتستانت والكاثوليك، الأوروبيون والأمريكيون.

والواقع أن هؤلاء المنصّرين لم يقدروا في السابق على تنصير الأقطار الواقعة تحت حكم السلاطين المسلمين، هذه الأقطار المتمثلة في شمالي إفريقيا بكاملها، وفي الدول المعروفة اليوم باسم السّنغال، وغينيا، ونيجيريا، والتشاد، والسودان، والصومال، وما شابهها، والتي تشكل ما يقارب ثلثي القارة الإفريقية.

لقد تكثّفت نشاطات التنصير أكثر في قارة إفريقيا عقيب حصول الدول الإفريقية على استقلالها مباشرة، وصار المسلمون الهدفَ الأول المركَّز عليه أكثر من غيره من طرف المنصّرين. وبدأت أفواج المنصّرين تتوجه نحو كل دول المسلمين، وفي كل وحداتهم السكنية تقريباً لتنشئ لهم الكنائس متسترّة باسم المساعدات الإنسانية المختلفة، كالتعليم، والصحة، ومحاربة الجفاف، وحفر الآبار. ومن ثَمَّ بدأت تتغير أرقام النسب السكانية التي كانت قائمة في القارة بين عدد السكان النصارى وبين عدد السكان المسلمين.

ومن الأمثلة على هذا أن نسبة السكان المسلمين في الموزمبيق كانت تفوق نسبة الـ ٦٠ ٪ سابقاً، حتى تغيرت فباتت اليوم بنسبة نحو الـ ٢٠ ٪؛ وبينما كانت نسبة السكان المسلمين في مالاوي تجاوز الـ٧٠ ٪ فيما مضى، ها هي قد تخلّفت لتصير اليوم، حسب الأرقام غير الرسمية، نحو الـ ٤٠ ٪.

وهذا كله من فِعل المنصرين الذين تساندهم حكومة الفاتيكان مساندة كبيرة؛ إذ يقال إن نسبة الكاثوليك قد ارتفعت بنسبة ٤٠ ٪ منذ السبعينات بصفة خاصة إلى يومنا هذا، حتى قيل إن تحوّل إفريقيا إلى النصرانية يجري بنسبة ٣,٥ ٪ كل سنة. وللاستمرار في تحقيق هذا الغرض تنفق الولايات المتحدة الأمريكية والفاتيكان الملايير من الدولارات كل سنة.

ومن الأساليب المتَّبَعة لدى المنصّرين أثناء عمليات تنصير المسلمين في إفريقيا أسلوبُ ما يعرف بمصطلح الأقلمة (الثقافية أو الدينية) المتمثّل أساساً في محاولة المنصّرين أثناء أعمالهم التنصيرية، لأقلمة

خطاباتهم وتعاليمهم النصرانية مع ما يتلاءم بالدين والقيم الوطنية للمجتمعات ذات وجهات نظر أو أفكار سلبية عن النصرانية، وبما يتلاءم مع الأفراد المنتسبين إلى أديان وثقافات مختلفة عن النصرانية، وهذا من أجل تلطيف الأجواء معهم وجلبِهم نحو النصرانية وتفادي نفورهم منها. ومن الأمثلة على هذا السلوك الذي يعدّ نفاقاً من وجهة نظرٍ أخرى، أنه رغم كون تعدد الزوجات غير مقبول لدى الكاثوليكيين، فإن تعدد الزوجات مرضي هناك عند القبائل فيبيحه لهم المنصّرون الكاثوليك، بل إن زواج رجل الدين هناك بأكثر من امرأة لا يُحدث أي مشكل عند الجميع.

ومن الأمثلة على هذا أيضاً إنشاؤهم لمعابد تضمّ الصور النصرانية والرموز الإسلامية بهدف إظهار النصرانية بمظهر الديانة اللطيفة الجذابة، وبأنها قريبة من الإسلام. فيعمدون إلى وضع الهلال والصليب جنباً إلى جنب على أبواب الكنائس، وأثناء إقامتهم لطقوسهم الدينية داخل الكنائس يستعملون مكبّرات الصوت ويتمتمون كلاماً يشبه الأذان. ويقصدون إلى التشبّه بالمسلمين الذي يخلعون أحذيتهم قبل دخول المساجد، فيخلع المنصّرون أيضاً أحذيتهم قبل دخولهم الكنائس، وهو في الحقيقة أمرٌ لا يُعرف في العالم النصراني.

هذه الممارسات التي يتبعها هؤلاء المنصّرون زاعمين بأنها إذ تقدّمهم للناس بالمظهر الإسلامي تكون أكثر سهولة وتأثيراً في جذبهم إلى النصرانية، إنما هي في الحقيقة محاولةٌ منهم لتقويض الإسلام باستعمال بعض المفاهيم الإسلامية، كما أنها استعمالٌ للمشاعر الدينية للسكان المحليين، واستغلالٍ لسذاجتهم وبراءتهم.

وهؤلاء المنصّرون في سعيٍ حثيثٍ لتحديث أساليب التنصير القائمة اليوم في القارة الإفريقية من أجل جعلها أكثر فعالية وتأثيراً. ففي مؤتمر «لامبيث Lambeth» الرابع عشر الذي عقدته الكنيسة الأنغليكانية في ١٨ من تموز من عام ١٩٩٨، تقدّم الأساقفة الأفارقة المنصّرون للمؤتمر باقتراحٍ مُفاده:

بما أن السياسات الاستعمارية للمؤسسات العالمية المالية والمصرِفية تسببت في بلوغ الديون الخارجية للدول الإفريقية مستوىً بحيث لا يمكنهم تسديدها، إذن وجب إحداث مخطط جديد للتنصير يتمثّل في تصفية ديون هذه الدول؛ لأنه ـ بناءً على ما ذكروه ـ فإن المؤسسات المالية النصرانية تُقرِض الدول الإفريقية الفقيرة أموالاً بفوائد ربوية عالية ثم تستغلّها، في حين أن الإسلام حرّم الربا وأمر بالزكاة والصدقة وما شابهها من مؤسساتٍ تقوم على سدّ حاجيات الفقراء والمساكين، وهذا ما يجعل الأفارقة ينجذبون نحو الإسلام وليس النصرانية.

هؤلاء الأساقفة إذ يعترفون بهذا التخطيط المتمثّل في إيلاء الأولوية لتصفية الديون، إنما يهدفون من جهةٍ إلى صدّ الناس عن اعتناق الإسلام، ومن جهةٍ أخرى إلى كسب عواطفهم نحو النصرانية.

٤. الإسلام في إفريقيا

إذا قارنّا قارة إفريقيا بسائر القارات وجدناها أكبرها من حيث نسبة عدد السكان المسلمين فيها. ودخول الإسلام القارةَ الإفريقية لم يكن سبباً في تغيير العقائد فحسب، ولكن ساهم في الوقت نفسه في تطور القارة من الناحية الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية أيضاً. وبقاء الإسلام قوةً سياسية لعصور متعاقبة في شمالي إفريقيا من أبرز النماذج على هذه الحقيقة.

أ- الإسلام في شمالي إفريقيا:

كانت شمالي إفريقيا بوابة لدخول الإسلام القارّةَ الإفريقية. وذلك أن عمرو بن العاص ﵁ بفتحه لمصر في عهد الخليفة الراشد عمر ﵁ سنة ٢١هـ/ ٦٤١م؛ كان المسلمون قد وضعوا أقدامهم على التراب الإفريقي، واستمر قدومهم في عهد الخليفة الراشد عثمان ﵁ أيضاً حتى أنتج ذلك فتوحات متعددة في شمالي إفريقيا على يد عقبة بن نافع رحمه الله، واعتناق الإسلام من طرف الكثير من القبائل التي كانت هي نفسها السبب في انتشار الإسلام في تلك المناطق.

وبقي الإسلام قوة مهمّة قائمة في القارة في العهدين الأموي والعباسي. وبعد تكوين الدولة الأموية المستقلة بالأندلس سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٦م نشأت بعض الدويلات الإسلامية المستقلة في شمالي إفريقيا، كان أهمها دولة الأدارسة (١٧٢-٣٧٥هـ/ ٧٨٨-٩٨٥م)، والأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م)، والفاطميين (٢٩٧-٥٦٧هـ/ ٩٠٩-١١٧١م)، والمرابطين (٤٤٨-٥٤١هـ/ ١٠٥٦-١١٤٧م)، والموحّدين (٥٢٤-٦٦٨هـ/ ١١٣٠-١٢٦٩م).

وبعد أواسط القرن السادس عشر دخل العثمانيون شماليَّ إفريقيا ليكونوا هم الحاكمين فيها. وبذلك عَرَفت المنطقة في ذاك العهد صراعات طويلة وقعت بين النصارى الغربيين الاستغلاليين وبين المسلمين العثمانيين. وبعد ضِعف الدولة العثمانية وانكسارها تحوّل الحكم في شمالي إفريقيا إلى المحتلّين الغربيين، وبقي الوضع على ذلك إلى غاية الخمسينات حيث بدأت تلك الدول الإفريقية تعرف طريقها نحو الاستقلال.

ب- الإسلام في غربي و وسط إفريقيا:

يمكن اعتبار انتشار الإسلام في شمالي إفريقيا بعد فتحه من طرف المسلمين العرب مرحلةً أولى، كما يمكن اعتبار توجّه التجار المسلمين نحو بلاد الأفارقة السّود، وبالتالي نشرهم للإسلام في تلك المنطقة مرحلةً ثانية. وقد أدت طرق التجارة في تلك المنطقة وظيفة خاصة ومهمة في انتشار الإسلام في غربي إفريقيا؛ إذ ازدادت أعداد المسلمين الساكنين في المدن المهمة الواقعة على تلك الطرق التجارية في فترات قصيرة، إلى أن تحوّلت تلك المدن إلى مراكز علمية وثقافية مهمة. واعتناق سكان هذه المدن للإسلام أثّر

إيجاباً في الشعوب والسكان المجاورين في المناطق المحيطة ومهّد أمامهم السبيل ليكونوا هم أيضاً، مع مرور الزمان، مسلمين.

وبعد قدوم التجار المسلمين سَعَتْ دولة المرابطين القوية في القرن الحادي عشر في غربي إفريقيا، إلى جانب المنتسبين إلى مختلف الطرق الصوفية في المنطقة إلى ترسيخ الإسلام هناك. كما سعى طلاب العلم المتخرجون من المدارس والزوايا القائمة بالمدن، وكذا المنتسبون إلى الطرق، إلى حمل الإسلام إلى المدن والقرى النائية مساهمةً في نشره.

ونتيجةً لهذا بدأت تتأسّس بعض الدول المسلمة في المنطقة ابتداءً من القرن الثاني عشر؛ فكانت منها غانا، ومالي، وسونغاي، وسلطنة كانم. ثم جاءت، بعد الدولة المرابطية، دولةُ « فولان» الإسلامية التي بدأت حركة جهادية ساهمت في نشر الإسلام على مساحة واسعة، مضافاً إليها نشاطات قدمتها الطريقة القادرية، والتيجانية، والسنوسية. وإلى جانب مقاومتهم للدول الغربية الاحتلالية الاستغلالية من جهة، فقد كان لهم دورٌ مؤثّر في نشر وترسيخ الثقافة الإسلامية عبر مؤسساتهم التعليمية والتربوية المختلفة.

ج- الحضارة الإسلامية النامية في إفريقيا:

إذا ذُكِر المسلمون الأفارقةُ السود عند المسلمين الآخرين خطَر ببالهم بلال الحبشي الأسود ﵁، مؤذن رسول الله ﷺ وهو يؤذن فوق الكعبة، جاهراً بكلمة التوحيد بصوته الشجي. بل لقد تأثر المسلمون السود بشخصيته حتى كتبوا على المواضع المخصصة للمؤذنين في المساجد، والمسمّاة بالمحافل، عبارة « يا حضرة بلال الحبشي».

إن العنصر المهم في قبول الإسلام هو لون القلب، وليس لون البشرة، والصبغة الحقيقية هي صبغة الله تعالى. ذلك أن الإنسان المؤمن بالله تعالى يكون قد اصطبغ بصبغة الله ﷻ، وأن صبغة المسلم أسود البشرة الحامل للون التوحيد هي صبغة الله سبحانه التي لا صبغة أحسن منها.

قال الله تعالى في هذا الشأن:

﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [٢٥]

وقال أيضاً سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [٢٦]



٢٥ البقرة، ١٣٨.
٢٦ الحجرات، ١٣.

ونقل الصحابة ﷺ عن النبي ﷺ خطبته التي قال فيها:

«...أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ».[٢٧]

إن من أكبر الأسباب التي أثرت في سكان إفريقيا السوداء، فحملتهم على اعتناق الإسلام هو نظرة الإسلام هذه إلى الناس جميعهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم.

لقد أدى انتشار الإسلام في السكان المحليين لإفريقيا إلى تطورات مهمة في حياتهم الاجتماعية. منها أنهم تركوا مع مرور الزمان طابعَ العائلة الضيقة والارتباطَ بالقبيلة إلى روابط اجتماعية وسياسية أقوى، فاتحدت تبعا لذلك القبائل وكونت دولا كبيرة. فارتفع مستوى التعليم والثقافة، وتأسست مراكز علمية وثقافية كبيرة، وعُرفت تطورات كبيرة أيضا في ميدان التجارة، والصناعة، والزراعة.

ومما ساعد على قبول السكان المحليين في إفريقيا للإسلام، والخضوع لتعاليمه، هو أنهم، إلى جانب إيمانهم بإله واحد عظيم، وجدوا أن في الإسلام شعائر تشبه من حيث الأصل ما كان عندهم في حياتهم اليومية من طقوس دينية يقيمونها بمناسبة الولادة، والزواج، والختان، والموت، والمطر، والحصاد، وما شابه هذا؛ ومن وجود الدعاء والتقرب إلى الله بذبح القرابين؛ وما إلى ذلك من شعائر تعبدية. كما لفت انتباههم الصلاة جماعةً، والجُمَع والأعياد، والقرابين، والختان، والأعراس، والجنائز. وبتأثير من دين الإسلام حدثت في تلك المجتمعات تغيرات كثيرة جعلتهم يتخَلَّون عن معتقدات وعادات باطلة، ويستبدلونها بعبادات إسلامية كالوضوء، والنظافة، والتستّر، ليصيروا أفرادَ مجتمعاتٍ أكثر تحضراً ومدنية. إلا أن الإسلام رغم دخوله بعض المناطق الريفية فما زالت تتحكم فيهم بعض المعتقدات التقليدية، والعادات الباطلة النابعة من طبيعة الحياة التي يعيشونها، والتي تتعلق بالولادة، وإقامة الأعراس، وأحكام الجنائز، والأعياد، وما شابهها؛ وكذا التستر الذي لا يراعونه كما يجب. لكن نشاطات تبليغ الإسلام التي تقوم بها حركات الإصلاح وبعض الطوائف في شمالي وغربي إفريقيا قد أدت إلى وعي كبير لدى السكان المحليين، وصحّحت لهم كثيراً من معتقداتهم وممارساتهم الباطلة.

ومن الأسباب المهمة التي سهلت انتشار الإسلام في ظرف قصير في القارة الإفريقية الخصائصُ التي ترجع إلى بِنية الدين الإسلامي. فالإسلام أكسب هؤلاء الناس وجهات نظر جديدة، وأكسبهم الشعور بضرورة البعد عن العصبية القبلية والانتماء إلى أمة إسلامية واحدة، وعلمهم بأن اعتناق الإسلام سهل يسير، لا يحتاج إلى رسميّات، وبأن الإنسان المؤمن أشرف المخلوقات، وبأن على الناس أن يلبوا حاجياتهم

---

٢٧ أحمد، مسند، جـ ٥، ص ٤١١ /٢٣٥٣٦ /٢٣٤٨٩.

الدنيوية مثلما يسعون إلى تلبية حاجياتهم الأخروية، وإلى جانب هذا كله قد أثر فيهم، كثيراً جداً، ألا يكون الإسلام يميز بين الناس بحسب لغاتهم وألوانهم، أو يصنفهم إلى سادة وعبيد؛ وأغنياء وفقراء.

ومن ضمن الأسباب التي سهّلت انتشار الإسلام في إفريقيا نشوءُ ردِّ فعلٍ ضد الدول الغربية والنصرانية بسبب حركاتها الاستعمارية، وهذا ما يكون لصالح الإسلام لينتشر ويتقوى أكثر. وفي عهد الحكم الاستعماري حين بدأت تتقهر الثقافات التقليدية والتركيبات الاعتقادية، ويقل احترام وتوقير كبار السن، وتنهار الأخلاق الاجتماعية، صار الإسلام بالنسبة إلى الأفارقة ملجأً يحتمون به في مقابل هذا التدهور.

وبهذا الصدد ينبغي جلب الانتباه إلى أن السكان غير المسلمين في بعض المناطق هناك يتأثرون ببعض الشعائر الإسلامية، بل يصلون أحياناً مثل المسلمين، ويشاركون المسلمين في جنائزهم وأعيادهم. ومن المعتاد رؤيته هناك أيضاً أن هؤلاء الناس غير المسلمين يتخذون معلمي المسلمين ومرشديهم وسطاء في الدعاء، ويسلمون إليهم أولادهم ليتلّقوا منهم التربية.

وبالموازاة لنشاطات هؤلاء المسلمين نشاطاتٌ أخرى هدامة معادية للإسلام في بعض المناطق من القارة، تسعى للجمع بين الإسلام والنصرانية، منها الحركة القاديانية الهنديةُ المنبعِ التي تشوِّه سمعة الإسلام بأعمالها وبما تلقنه الجهال الذين يظنونه من الإسلام، وما هو من الإسلام.



نصٌ للقراءة:



نشاطات التنصير كما يراها زعيمٌ ديني إفريقي



قال الدكتور خالد صانا أحد زعماء المسلمين في «بوركينا فاسو» فيما يخص نشاطات التنصير في إفريقيا، أثناء حوارٍ صحفي طويلٍ أجري معه:

«إن إهمال الشعوب الإفريقية المسلمة قد اتخذ أبعاداً كبيرة. إنهم محرومون من التعليم الذي يؤهّل أجيالهم المستقبلة ليكونوا جزءً من صانعي القرار في سيادة أوطانهم. لا مستشفيات لهم تمكّنهم من العلاج، ولا مساجد لهم في كثير من مناطق بوركينا فاسو يؤدون فيها صلواتهم. وبناء المدارس من أجل الأجيال القادمة ذو أهمية كبرى. وحرمان المسلمين من مدارس خاصة لهم جعلهم مضطرين لتسليم أبنائهم إلى المدارس النصرانية. ومن الطبيعي أن يكون لهذا الاضطرار نتائج مؤسفة أشد الأسف، على رأسها التدهور الأخلاقي، إذ يضيع أبناؤنا ويذوبون وسطهم لعدم تزويدهم بأيّ قيم دينية وأخلاقية. ومن أجل إنقاذ أبنائنا وأجيالنا القادمين يجب على المسلمين أن يمدّوا لنا يد المساعدة لفتح مدارس حرة نحن نسعى الآن من أجلها. وإلى جانب هذا فإن بناء المتستشفيات وغرف الولادة مهم إلى أبعد الحدود. ونساؤنا مضطرات، لقلة الإمكانات، إلى الذهاب إلى المراكز النصرانية من أجل الولادة، وإلا فلا حيلة أخرى لهنّ إلا في المستشفيات النصرانية التي يرون فيها معاملات قد تتسبب في نتائج خطيرة جداً في مثل هذه الحالات الصحية.

وفي هذه المستشفيات المدعومة من طرف الدول الغربية يقدمون للمسلمين صورتين، إحداهما تظهر المسيح، والأخرى محمداً عليهما الصلاة والسلام. ثم يقال للمريض: إذا استمررت في الإيمان بمحمد فلن تجد الشفاء من مرضك، وفي الوقت نفسه لا يباشرون إجراءات العلاج؛ (أو أنهم يباشرونها في الظاهر ويقدمون له قرصاً أُفرغ من محتواه). إلى غاية أن يصرّح بأنه بدأ الإيمان بأن المسيح نبي حق، وبأنه هو الذي سيشفيه من مرضه، فعندئذ يباشرون إجراءات العلاج الضرورية. (أي أن القرص الذي كان قد قُدِّم له مُفرَغاً من محتواه يُقَدَّم له الآن دواءً حقيقياً مملوءاً بمحتواه). وحين يشفى المريض من مرضه يقولون له: لم يستطع محمد أن يقدم لك الشفاء، ولكن المسيح أمدك بالشفاء. وبهذه الأساليب التي لا يتصوّرها العقل يسعون لتنصير شعبنا. إن النشاطات التنصيرية اليوم تأتي على رأس أكبر المشاكل التي تهدّد شعوب إفريقيا. والمدينة التي أعيش فيها قَدِم إليها وحدها من أوروبا وأمريكا أكثرُ من ستين



مؤسسة تقوم بنشاطات التنصير، ويعمل فيها المنصّرون ليلاً ونهاراً. ويسعون عن طريق تقديم الكثير من الخدمات لأفراد شعبنا، إلى استلاب عقولهم ودينهم. فيوصلون الخدمات الصحية إلى أبعد الأماكن، ويبنون المستشفيات، وينشؤون المراكز الثقافية. وما يملكونه من إمكانات إعلامية كالصحف، والمجلات يستعملونه في الدعاية إلى النصرانية.

ونحن نعلم أن الصحافة وسيلةٌ مؤثرة للسيطرة على أذهان الناس. ويفتحون المدارس، ويقدمون مساعدات غذائية إلى حدٍّ لا يصدَّق. بل أقول لكم:

ليس في بوركينا فاسو قرية إلا وفيها عدد من مؤسسات المنصرين. لقد أحاطوا بنا من كل جهة. إنهم يسعون بكل قوتهم ليغيّروا هويّة إفريقيا. ولكن الحمد لله تعالى إذ أنهم رغم كل هذه الجهود التي يبذلونها لم يبلغوا مبتغاهم المنتظر، ولن يبلغوها بإذن الله ﷻ.

جاءت امرأة منصّرة من الغرب إلى بوركينا فاسو، وذهبتْ إلى إحدى القرى لتقيم فيها لمدة ١٧ عاماً كاملاً حيث جدَّت واجتهدت هناك، وبذلت كل طاقاتها لتستلب عقول السكان، فلم تبلغ هدفها. ورغم كل جهودها المضاعفة لم تتمكن من تنصير أي واحد من سكان القرية، إلى أن أصيبت القرية بجرثوم مرضي، وحين توسّع المرض أنشؤوا مركزاً صحياً عن طريق دولة غربيةٍ لهم معها علاقات قائمة، لا أحبّ أن أذكر اسمها في هذا المقام، وفي هذا المركز يقدّمون العلاج لهذا المرض بالمجّان.

وحينئذ تغيرت الحسابات، إذ أصيب طفل بهذا المرض ويئِست عائلته من شفائه، فعالجه المركز حتى استعاد صحته، وما أن سمع أهالي القرية بهذا الخبر حتى تحوّلت القرية كلها في ليلة واحدة إلى قرية نصرانية. والأصل أن شعبنا وشعوب إفريقيا عامّةً تحمل في نفسها بنية ميّالة إلى الإسلام. وإذا كانت النصرانية قد دخلت إفريقيا، فصدقوني أن الشعب الإفريقي لم يستجب لها إلا لاضطراره إليها، كما فعل أهل القرية المذكورة في المثال آنفاً، استجابوا للنصرانية ليبقوا على قيد الحياة، وليلبّوا حاجاتهم الضرورية، وليس عن إيمان منهم بها...».[٢٨]

٢٨ سفر التثنية، الإصحاح السابع.



أ. أجب عن الأسئلة التالية أجوبةً صحيحة:

١. ما هي الديانات التي عرفتها إفريقيا قبل دخول الإسلام؟ أذكرها بإيجاز.

٢. ما هي الأساليب التي اتبعها المنصّرون المناضلون من أجل نشر النصرانية في إفريقيا؟ تناقشوا فيما بينكم إن كانت أخلاقية أم لا.

٣. ماذا قصد الزعيم الإفريقي بقوله: «عندما دخل المنصّرون تراب وطننا كان الإنجيل في أيديهم، وكان وطننا في أيدينا. فعلمونا أن ندعو وأعيننا مغمضة. ولكننا حين فتحنا أعيينا وجدنا الإنجيل في أيدينا، ووطننا في أيديهم» ؟ ناقشوا الموضوع فيما بينكم.

٤. متى دخل الإسلام إفريقيا أول مرة، وكيف بدأ دخوله؟

٥. ما هو نوع التغيير الذي أدخله الإسلام في حياة الإفريقيين؟ وما الذي سَهَّل انتشارَه في القارة الإفريقية؟

ب. اختر الإجابة الصحيحة.

١. في أي شقٍّ ذُكرت الأديان الأكثر انتشاراً في إفريقيا ذكراً صحيحاً؟
أ. اليهودية – الإسلام.
ب. النصرانية – اليهودية.
ج. الإسلام – النصرانية.
د. الأديان الإفريقية – دين الصابئة.

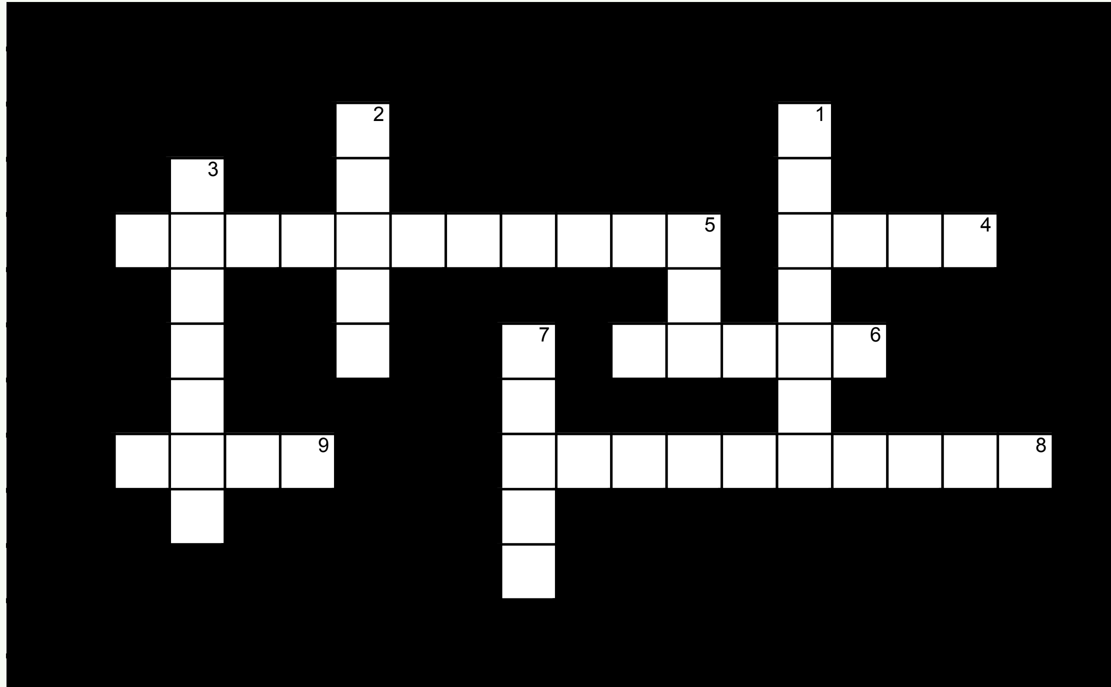
٢. ما هو التاريخ المهمّ المذكور فيما يلي، والذي اقتُسمت فيه إفريقيا عشيةَ احتلالها على أيدي المنصرين؟
أ. ١٨٧١ الثورة الفرنسية.
ب. ١٩١٤ الحرب العالمية الأولى.
ج. ١٩٤٨ تأسيس دولة إسرائيل.
د. ١٨٨٤ مؤتمر برلين.

٣. ما هي أكثر الوظائف التي يتستّر بها المنصّرون للقيام بنشاطاتهم التنصيرية؟
أ. رجال أعمال – عمال.
ب. مزارعين – موظفين.
ج. أطباء – ممرضين – معلمين
د. رجال دين – فنانين

٤. ما هي الدول الإسلامية التي لم تؤسّس في إفريقيا؟
أ. المرابطين والموحّدين.
ب. الأغالبة والأدارسة.
ج. الفاطميين والمماليك.
د. السلاجقة والعثمانيين.

٥. ما هو السبب الأهمّ في انتشار دين الإسلام سريعاً بين مختلف الشعوب والأجناس؟
أ. اعتماده على السلام والمحبة.
ب. مبدأ العدل.
ج. كونه ضدّ التمييز العنصري لوناً ولغةً وجنساً.
د. مبدأ التعاون.

ج. الكلمات المتقاطعة



↓

١. واحدة من أقدم وأكبر القارات في العالم.

٢. جمع صحابي، لفظ مشتق من الصحبة، وهو اصطلاح يطلق على الذين رأوا رسول الله ﷺ بأعينهم وهم مسلمون.

٣. أصغر دولة دينية وأشدها تأثيراً في العالم، وهي تقع في إيطاليا، ورئيسها هو البابا الذي هو في الوقت نفسه الممثل الروحي للمذهب الكاثوليكيِّ، أكبرِ المذاهب النصرانية.

٥. اسم يطلق على غير العرب بصفة عامة.

٧. من ينوب عن غيره. تطلق في التاريخ الإسلامي بصفة خاصة على الخلفاء الأربعة الراشدين الذين حكموا المسلمين بعد رسول الله ﷺ. ويطلق بصفة عامة على الحاكم الذي يخضع له كل المسلمين، ويمثّلهم دينياً.

←

٤. اسم يطلق على العاملين على نشر النصرانية في العالم.

٥. صحابي كبير، وقائد جيش الإسلام الذي فتح مصر سنة ٦٤١هـ، وكان صاحب السّبق في نشر الإسلام في إفريقيا لاحقاً.

٦. أسلوب يستعمله التنصير للتأقلم مع ثقافات الشعوب أثناء ممارسته لنشاطاته التنصيرية.

٨. صحابي كبير، أصله من إفريقيا السوداء، وأول مؤذن لرسول الله ﷺ.

٩. كل نوعٍ من المناضلة يؤديها المسلم باسم الإسلام، داخلياً ضد نفسه الأمّارة بالسوء، أو خارجياً بقصد نشر الإسلام بين الناس أو لحمايته من أعدائه.

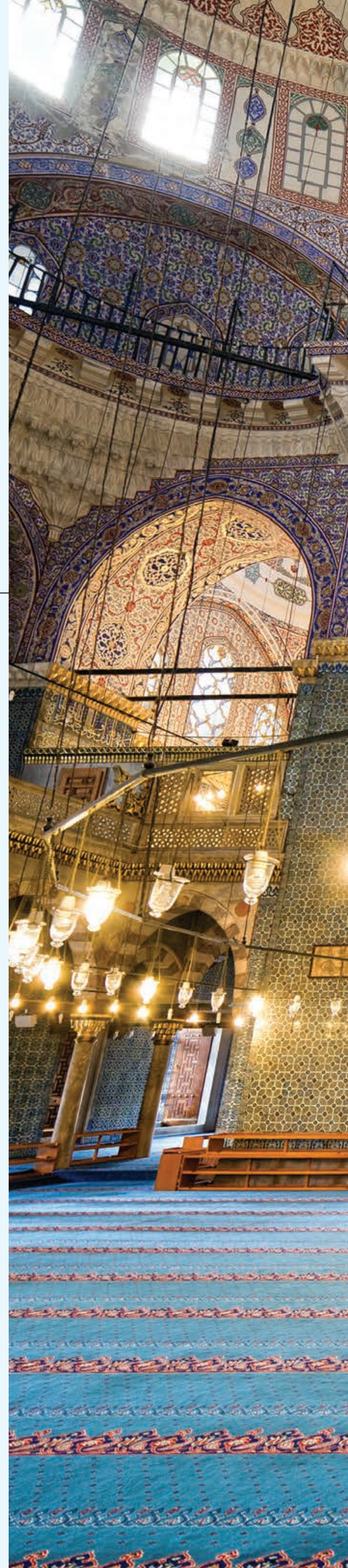




الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ
في اليهودية والنصرانية والإسلام

الموضوعـــــــــــات

- الإيمان بالإله وخصائصُه عند اليهود .
- الإيمان بالإله عند النصارى وعقيدة التثليث .
- الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ في الإسلام وعقيدة التوحيد.



١ . الإيمان بالإله عند اليهود وخصائصه

اليهودية دينٌ سماويٌ مرسلٌ في القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى بني إسرائيل عن طريق موسى عليه السلام، إلا أنه وبعد أن بلَّغ موسى رسالته إلى بني إسرائيل، راح ملوك اليهود بعد وفاته يحرّفون التوراة بأيديهم، ويزيدون إلى عقيدتهم ويُنقصون منها ما يجعلها غير العقيدة التي جاءت من عند الله تعالى. وزاد الطينَ بَلَّةً أنه مع مرور الزمان قلّ عددُ الذين يعرفون التوراة والأوامر التي تحويها. كما أنّ الشعب اليهودي عاش لمئات السنين في شكل قبائلَ مُشَتَّتة في حياة المنفى.

وفي النهاية نتجَ عن كل هذا أنّ كُتب اليهود وأُسُسُ العقيدة عندهم إنما تم تحديدها لاحقاً بعد زمانٍ طويل. بل إن موسى بن ميمون الذي عاش نحو سنوات ١١٨٠م، أي بعد موسى بما يقارب ألفي سنة، هو الذي حدّد أسس الإيمان عند اليهود في شكل قواعد تشبه قواعد الإسلام، جعلها ثلاث عشرة مادة هي:

١. الإله خالق كل شيء.
٢. الإله «يهوه» واحد، ولا إله غيره.
٣. الإله أولُ وآخرُ خالق.
٤. لا تؤدى العبادة إلا من أجل الإله «يهوه»، ولا تؤدّى إلى أي شيء غيره.
٥. كل أقوال الأنبياء حق.
٦. النبي موسى أعظم الأنبياء.
٧. التوراة التي بين أيدينا منحها الإله «يهوه» إلى موسى.
٨. لم تتعرّض التوراة للتحريف، ولم يتم إرسالها إلا من طرف الإله.
٩. الإله يعلَم أفعال وخواطر البشر.
١٠. يثيب الإله مطيعي أوامره، ويعاقب عُصاتها.
١١. سيرسل الإله المسيحَ. وإذا تأخّر فإنه يجب انتظاره.
١٢. سيُحيي الإله «يهوه» الموتى في تاريخٍ يريده.
١٣. ليس للإله «يهوه» بدن. وهو لا يشبهه شيء. ولا يُدعى غيرُه.

إنّ أساس الرسالة والدين الذي أوحاه الله تعالى إلى نبيه موسى عليه السلام هو التوحيد، شأنه شأن الرسائل الأخرى. ولكننا إذا نظرنا إلى بعض الأجزاء من التوراة المحرّفة وجدنا أن بعض الخصائص البشرية قد أُسندت إلى الله تعالى. وتشبيه الله تعالى ببعض الصفات البشرية يتصادم مع رسالة التوحيد التي أرسل الله تعالى بها جميع الرسل والأنبياء.

أ- كون الإله «يهوه» إلهاً قومياً:

يُطلَق على الله تعالى عند اليهود أسماءُ مثل يهواه، ويهوه، وإيلوهيم، وأدوناي. والإله عند اليهود قد اختار الشعبَ اليهودي من بين سائر الشعوب، وفضّله عليها جميعاً، وجعل غير الشعب اليهودي أقل قدراً منها. فاليهود سادة الشعوب، وكل من وقف في وجههم استحقّ الفناء.[29]

والإله «يهوه» الذي يجاهد الشعوب الأجنبية يقف دائماً إلى جانب بني إسرائيل. بل إنه ـ كما يزعم اليهود ـ أمرَ بني إسرائيل أثناء خروجهم من مصر بالسرقة. فقد جاء ذلك في توراتهم، بأنه قال لهم:

«وأعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين، فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين. بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضّة وأمتعة ذهب وثياباً، وتضعونها على بنيكم وبناتكم؛ فتسلبون المصريين».[30]

وكذلك يقدم الإله «يهوه» وعداً لبني إسرائيل حين يوصيهم بأنه من أجل وصولهم إلى الأرض الموعودة يسحقون كلَّ من يتصدى لهم أثناء سيرهم:

«هكذا يقول رب الجنود، إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرموا كل ما لَهُ ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً».[31]

إذن ها هو الإله «يهوه»، إله اليهود، يُلغي مجموعة من الأسس الدينية والأخلاقية لصالح اليهود، ويقف إلى جانبهم، ويخصّهم ببعض الامتيازات، بل يُعادي بعض الشعوب من أجلهم. كل هذه المظاهر تدلّ على أن اليهودية دينٌ خاصٌ بالعِرق اليهودي، وأنه من هذه الزاوية لا يمكن أن يفتح ذراعيه للإنسانية جمعاء لتعتنقه.

ب- اتّصاف الإله «يهوه» ببعض الصفات البشرية:

وإلى جانب خصائص اليهودية السابقة ثمّة خصيصةٌ أخرى تتمثّل في كون الإله يحمل بعض الصفات البشرية، هذه الصفات التي يتأوّلها علماء اليهود بأنها مجازية، استعملها الإله مع البشر ليخاطبهم بلغةٍ يمكنهم فهمها. ولكن توراتهم التي تضمّ كلاماً عن إلهٍ عادي ذي صفات بشرية لَمّا يُبطل وجوه تلك التأويلات. منها أن توراتهم تفيد بأن الإله خلق الكائنات في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع.[32]

---

٢٩ سفر الخروج ٣/ ٢١-٢٢.

٣٠ سفر صموئيل الأول، ١٥/ ٢-٣؛ ٣٢-٣٣.

٣١ سفر التكوين ٢/ ٣؛ سفر الخروج ٣١/ ١٧.

٣٢ سفر التكوين، ٣٢/ ٢٢-٣٢.

ويزعمون أن نبي الله يعقوب ﷺ صارع الله تعالى، وأنه غلبه؛ فلهذا لقبه الله تعالى بـ «إسرائيل» التي تحمل ـ بزعمهم ـ معنى «غالب الإله».[٣٣]

كما يصفون الربّ بصفاتٍ يتصوّرونها مثل صفات البشر تماماً، كأن يقولوا عنه إنه غيور، ومنتقم، ومملوءٌ بالغضب، وبأنه حقودٌ على أعدائه، ويقطع مسافاتٍ راكباً على حمارٍ.[٣٤]

حتى جعلوا له صفاتاً لا يمكن تأويلها فيما يصفونه به كقولهم إنه ينوح، ويولول، ويمشي حافياً وعرياناً، وينحب كبنات آوى ورعال النعام.[٣٥]

ج- نسبة الولد إلى الله تعالى:

وعلاوة على ما مضى فقد عظّم اليهود عزيراً (المسمّى عزرا بالعبرية) فوق ما يستحقه فجعلوه ابناً لله تعالى وذلك أن الله تعالى أمره بأن يجمع التوراة التي ضاعت في منفاهم ويعيد كتابتها من جديد، ففعل ذلك. وهم الذين عَنَاهم الله تعالى بعبارةٍ صريحةٍ في القرآن الكريم،[٣٦] وإن كانت التوراة المحرّفة لا تصرّح تصريحاً بأن عزيراً (عزرا) ابن الله، فهو عند اليهود إنسان قام بأمر عظيم من أجله رفعوا قدره، حتى أن بعضهم جعل «عزرا أعظم البشر»، وجعله بعضهم «موسى الثاني»، بل «أعلى قدرا من موسى».[٣٧] بل عظّمه البعض الآخر حتى جعله فوق البشر، بل ابناً لله تعالى. وقد لفت القرآن الكريم الانتباه إلى هذه الحادثة. والتوراة الحالية، وإن كانت لا تنسب عزرا ولداً لله تعالى نسبة مباشرة، فهي تنسب له أولاداً آخرين سبحانه في كثير من المواضع.[٣٨]

وإذا أردنا أن نوجز المفهوم العَقَدي لليهود عن الإله، فالإله «يهوه» إنما هو إلهٌ لليهود خاصة. وهو إله ينزل إلى الدنيا، ويلتقي بالناس، ويأكل الطعام، ويشرب الماء، ويتعب، ويستريح، ويشمّ الروائح، ويغسل قدميه، حتى إنه ليتصارع مع بعض البشر فيغلبونه.

٢. الإيمان بالإله عند النصارى وعقيدة التثليث

مثلما أن اليهود حدّدوا قواعد الإيمان عندهم بعد مدةٍ طويلة من وفاة موسى ﷺ، فالنصارى أيضاً حددوا قواعد الإيمان عندهم بعد رحيل عيسى ﷺ عنهم بثلاثة قرون، أي في القرنين الرابع والخامس

٣٣ سفر ناحوم، ١/ ١-٥؛ زكرياء، ٩/ ٩.
٣٤ سفر ميخا، ١/ ٨؛ سفر العداد، ٢٤/ ٩.
٣٥ سورة التوبة، ٣٠.
٣٦ أنظر: أكرم ساركجي أوغلو، تاريخ الأديان من البداية إلى يومنا ص ٢٢٥، إسبرطة، ١٩٩٩م.
٣٧ أنظر: سفر التكوين، ٤/ ٢-٤؛ والخروج، ٤/ ٢٢-٢٣؛ والتثنية، ١٤؛ وصموئيل الثاني، ٧/ ١٤؛ وسفر أيوب، ١،٦.
٣٨ إنجيل متى ٢٨/ ١٩.

الميلاديين. وذلك أن رجال الدين النصارى كانوا يجتمعون في المجامع بمشاركة ملوكهم، ويحدّدون مبادئ الإيمان لتُقبَل في النهاية رسمياً من طرف الكنيسة. وتتمثل هذه المبادئ أو القواعد أو الأسس في الإيمان بـ:

١. الأبِ/ الأب الإلهِ العظيم.
٢. والربِّ عيسى ابنِ الإله.
٣. وميلاد الرب عيسى بن مريم مِن مريم ومن روح القدس.
٤. وكونِ عيسى صُلِب في عهد الوالي الروماني بلاطس صَلباً، وبكونه دُفن.
٥. وكون عيسى قام حياً من بين الأموات بعد ثلاثة أيام.
٦. وكونِ عيسى قد رُفع إلى السماء بعد قيامه من بين الأموات.
٧. وكونِه جلس على يمين الأب.
٨. وكونِ عيسى سينزل مرة أخرى ليحاسِب/ يدين الناس.
٩. وبروحِ القدس.
١٠. والكنيسةِ المقدسة.
١١. وغفران الذنوب.
١٢. وإحياء الأموات من جديد من أجل حياة أبدية.

ومن الصعب جداً فهْم قواعد الإيمان أو العقيدة النصرانية بسبب اختلافها الكبير عن اليهودية والإسلام. فالتوراة في اليهودية، والقرآن في الإسلام، يشكّل كل منهما الوحي الذي هو محور الدين؛ والأنبياء مبلّغون وشارحون للوحي، وليسوا وحياً في نفسه. وأما في النصرانية فإن الوحي تحوّل إلى عيسى ﵇ لحماً وعظماً، وهو نفسه الوحي والكلام بعينه. لهذا ليس عند النصارى وحيٌ جاء به عيسى كما جيء قبله وبعده بوحيَي التوراة والقرآن. وأناجيل النصارى أيضاً ليست كتباً جاء بها عيسى ﵇، ولكنها كتب تقصّ حياته، كَتبهَا تلامذته بعد وفاته.

ومن أجل هذا كان أعظم وأهم الإيمان عند النصارى الإيمان بأن عيسى وُلِد إلهاً ابن إله، وأنه عاش كذلك، وأنه صلب، ثم قام من بين الأموات ورجع إلى الحياة الدنيا، ثم صعد عند الإله وجلس على يمينه. وتأويلات النصارى هذه التي يتداولونها فيما بينهم هي أهمّ من مواعظ عيسى نفسه، وهي التي تشكّل قواعد الإيمان عندهم. ومن هنا يظهر فارق عظيم بينهم وبين المسلمين من حيث النظر إلى عيسى ﵇ ورسالته من جهة، وإلى رسالة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ من جهة أخرى. ففي حين أن أساس الإسلام عقيدة التوحيد، من إيمان بوجود الله تعالى، ووحدانيته، وبأنه لا ندّ له ولا شبيه، وأنه لم يلد ولم يولد، وهو الخالق الوحيد سبحانه؛ نجد أن النصرانية تعتمد على عقيدة التثليث المتمثّلة في الإيمان بالإله الأب، والابن

عيسى، وروح القدس. وفي هذه العقيدة ما يخالف الرسائل السماوية التي بعث أنبياؤها بالتوحيد، من نسبة صفات بشرية إلى الإله الحقِّ، اللهِ تعالى، ونسبة صفات إلهيةٍ إلى بشري هو عيسى عليه السلام.

ورغم أن قواعد الإيمان في النصرانية قد تم تحديدها في القرنين الرابع والخامس الميلاديين فإنه قد نوقش بإسهاب، طولاً وعرضاً، العلاقةُ بين روح القدس، والأب، والابن؛ وموقفُ كل واحد منهم من الآخر؛ وموقفُ مريم رحمها الله؛ وقضيةُ تعدد الأناجيل؛ وعلاقة المذاهب النصرانية فيما بينها عبر التاريخ وفي يومنا الحاضر. ونتيجةً لهذه المناقشات التي يناقض بعضها بعضاً نشأت في النصرانية مذاهب كثيرة مختلفة فيما بينها.

أ– دخول التثليث النصرانية:

عقيدة تعدد الآلهة عقيدة كانت منتشرة في مصر القديمة، وعند اليونان، وفي الشرق الأقصى. ونشأ هذا المعتقد عن تعظيم الناس المفرط لكبار رجال أديانهم وملوكهم. والنصرانية التي بقيت وحيدة بعد رحيل عيسى عليه السلام عنها بقيت معرَّضة للمعتقدات والثقافات المحيطة بها، وبقي أهلها فريسة لأنواع التعذيب والمحن. والنصارى الجدد الذين كانوا يحملون معهم معتقداتِهم القديمةَ القائمةَ على عبادة الأصنام جاؤوا ليدخلوا النصرانية وفيهم ميلٌ كبيرٌ إلى قبول عقيدة التثليث.

وعلى رأس هؤلاء باولس الذي ظهر بعد عيسى، والذي كان متمكّناً من الرسالة المسيحية والفلسفة اليونانية، فألقى في الدين بذور التثليث ليزيل لاحقاً عقيدة التوحيد. وهذا ما صادف بصفة عامة، هوًى في نفوس الناس الذين كانوا لا يميلون لا إلى اليهودية بسبب تعصّبهم ضدها، ولا إلى الوثنية التي كانوا يزدرونها بسبب نظرتهم إليها على أنها عقيدة ابتدائية. فكان الطريق الوسط عندهم إذن أن يمزجوا بين عقيدة تعدد الآلهة التي ورثوها عن آبائهم من جهة، وبين العقيدة الجديدة التي لا تتصادم أيضاً مع قبول الآلهة المتعددة، وذلك ليتمكّنوا من تلبية أهوائهم ورغباتهم.

وبواسطة الإصلاحات الدينية التي أحدثها باولس استطاع أن يوفّق بين العقائد القديمة وبين النصرانية ويصوغها في بوتقةٍ دينيةٍ ثقافيةٍ نهائيةٍ. والكثير من المختصّين اليوم يشهد بأن التثليث ناتج إلى حدٍ كبير، عن الثقافات القديمة عامة، وعن الفلسفة اليونانية خاصة.



والحقيقة أن مصطلح «التثليث» لا وجود له في أي من الإناجيل. بل استعمل لأول مرة في تاريخ النصرانية من طرف بطريك أنطاكيا ثيوفيلوس Theophilus سنة ١٨٠م. وذلك أنه مفهومٌ قد استخرج بعد عيسى عليه السلام من إنجيل متّى، من عبارة:

«فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الأب والابن وروح القدس»

ومن الصعب بمكانٍ فهم عقيدة «التثليث» هذه الموجودة في النصرانية. ورجال الدين النصارى أنفسهم يصرّحون بالصعوبة الشديدة في فهمها، وبأنها سرّ، ويؤكّدون بأنه من الناحية الإيمانية يجب قبولها على ما هي عليه. وليس هذا المعتقد إلا تهويناً من شأن توحيد الرب، وعظمته، وقدرته خالقاً سبحانه، وبالتالي هي إفسادٌ للدين كله. بل إنهم حين ينسبون الولد إلى الله تعالى خالقِ كل شيء، والمنزّهِ عن مشابهة المخلوقات، يكونون قد أنزلوه إلى رتبة المخلوقين، وصيّروه ضعيفاً عاجزاً ذا صفاتٍ بشرية.

ب- عناصر التثليث:

لعقيدة التثليث النصرانية عناصر ثلاثة تكوّنها هي الأب، والابن، وروح القدس. وإن كان هذا التثليث غير موجود في أصل الديانة النصرانية، إلا أن رجال الكنيسة ألحقوه بها بعد رحيل عيسى ﵇، عن طريق القرارات التي كانوا يتّخذونها في المجامع.

1. **الإله الأب:**

الإله الأب عند النصارى هو خالق كل شيء. وهو أبدي، ويعلم كل شيء، وقوي، وفي الوقت نفسه رحيم. إلا أن الإله الأب قد أحال وظيفة الخلق إلى ابنه عيسى، فبواسطة عيسى يتمّ خلق الكائنات. ويوم الحساب يكون الأب الإله هو الحاكم، ولكنه يفوّض أمر محاسبة/ دينونة الناس إلى عيسى، وعندئذ سينزل عيسى يوم القيامة إلى جانب أبيه لمحاسبة الناس. وعيسى إلهٌ ولد من إله، فالإله هو بالتالي الأب الحقيقي لعيسى.

2. **عيسى الإله الابن:**

ينسب النصارى العديد من الصفات إلى عيسى ﵇. فهو لكونه عندهم ابناً للإله؛ هو أيضاً إله، وفي آن واحد إنسان لكونه يمشي على وجه الأرض مثل سائر الناس. ويطلقون عليه لقب الرب، والمسيح، وكلام الرب. وإنما اتفق النصارى على كون المسيح ابن الإله في مجمع إزنيق المنعقد سنة ٣٢٥م. كما أن كونه ابن الإله عندهم يقتضي أن يكون أزلياً غير مخلوق. إلا أنه بفضل الإله ولد إنساناً من مريم البتول. وكونه يمشي إنساناً على وجه الأرض لا يمنع من أن يكون ابناً للإله.

والواقع أن بعض رجال الدين كانوا يعلنون في السنوات الأولى من تاريخ النصرانية بأن عيسى ﵇ هو في الحقيقة نبي فقط، وليس ابناً للإله على الحقيقة. وكان كاهن الكنيسة الإسكندرية آريوس (٢٥٠-٣٣٦م) على رأس الذين طرحوا فكرة «الإله الواحد» إلى الوجود في العهود الأولى للنصرانية. فأعلنت الكنيسة رسمياً بأنه هو وأتباعه أهلُ هرطقة/ ضلالة، فقُتل البعض منهم، ونُفي البعض الآخر. واستمرت هذه المناقشات التي بدأت في العهود الأولى للنصرانية إلى أزمنة متلاحقة.

وإلى جانب كل الصفات الإلهية المنسوبة إلى عيسى، فقد نسب إليه النصارى صفة ابن الإنسان أيضاً. فهو عندهم ابن إله، وإنسان كامل ولد من مريم العذراء بريئاً من كل ذنب. وقد لاقى من الناحية الجسمانية

والروحانية آلاماً كبيرة؛ إذ أنه ضرب بالسياط إلى أن صلب ومات على الحقيقة. وبعد ذلك قام من بين الأموات وجلس على يمين الأب في السماء. وزيادة على إطلاقهم اسم المسيح على عيسى عليه السلام من طرف النصارى، فهم يسمّونه باسم الرب الدالّ على صفة الربوبية؛ لأنهم يعتقدون أن الإله هو الذي منحها له بعد إقامته حياً من بين الأموات. ويشير هذا المقام إلى كون عيسى الواسطةَ الوحيدة بين الإله وبين الناس. كما يعتقد النصارى بأن عيسى يجلس يوم القيامة رباً على يمين الرب، ويحاكم الناس قاضياً.

ومن الأسماء أو الصفات التي يطلقونها على عيسى عبارة «كلام الإله»؛ لأنهم يعتقدون أن الكلام الإلهي استحال إلى لحم وعظم في شخص عيسى، فظهر في صورةٍ إنسانية. فعيسى هو نفسه يمثل الوحيَ بواسطة صفة الكلام الّتي فيه وعلى هذا فلا وحي في النصرانية سوى عيسى.

والنصرانية إذ تطلق على عيسى أنه «كلام الإله» لا تجعل لهذه العبارة أيّ معنىً تدل عليه، في حين أن القرآن إذ يذكر أن عيسى كلمة الله،[٣٩] يقصد أن عيسى مخلوقٌ بأمر صادرٍ من الله سبحانه بكلمة «كن»، على وجه معجز، من غير أن يكون لعيسى أب. وذلك أن الله تعالى أرسل جبريل عليه السلام إلى مريم البتول يخبرها بأنها ستلد ولداً بإذن الله، فولد عيسى عليه السلام أمراً من عند الله تعالى لأمه مريم العذراء. وهذا الخبر هو الكلمة التي ألقاها الله تعالى إلى مريم البتول. فعيسى عليه السلام ليس إلا بشراً أُرسِل إلى الناس مصطفىً من بينهم؛ وليس لا إلهاً، ولا رباً، ولا ابن إله، وليس له من الصفات الإلهية شيء.

٣. روح القدس:

روح القدس ـ الذي يسميه النصارى العرب الحاليون الروح القدس ـ هو العنصر الثالث المشكّل لمفهوم «التثليث» عند النصارى. وهو في عقيدتهم كائنٌ إلهيٌ أيضاً. إلا أنه منبثق عند البعض منهم من الأب الإله وحده، وهو عند البعض الآخر من الأب الإله ومن الابن عيسى معاً.

واتخذ رجال الدين النصارى المجتمعون في مجمع اسطنبول سنة ٣٨١م قراراً بجعل روح القدس إلهاً، متمّمين بذلك عناصر التثليث الثلاثة. وتجعل العقيدةُ النصرانية اللهَ تعالى وروحَ القدس متماثلَين من حيث أن كلاً منهما في كل مكان. ولا يحلّ روح القدس في الإنسان ولا يمجّده إلا بالتعميد. ولا يعمل الأب شيئاً إلا عمله معه، ولا يتجلى بقدرته إلا معه. وروح القدس عند رجال الدين النصارى مبلّغ لإلهام الإله. كما أنه يحمي الكنيسة من الخطأ، فهو من زاويةِ نظرٍ كأنه وزير للإله.

وتنصّ العقيدة النصرانية على أن الأب، والابن، وروح القدس متحدّون في جوهر واحد، وأنهم ثلاثة أقانيم كلها أبدية. إلا أن النصارى لا يتمكنون من توضيح كيف أن روح القدس انبثق عن الأب والابن، وكيف أنهم رغم انبثاقهم، من حيث الأصل، عن جوهرٍ واحد فقد تجلّوا في ثلاثة أقانيم مختلفة، وكيف أن

٣٩ من أجل التوسّع في الشرح انظر: ألماليلي محمد حمدي يازر، دين الحق ولسان القرآن ٤/ ٣١٧،

ثلاثتهم أبديون؟ وما أبدَوه من توضيحات لا يصلح ليشكّل أدنى قناعة لدى الإنسان. وكل ما استطاعوا ذكره من كلامٍ حاسمٍ في الموضوع هو قولهم: «آمنْ أولاً قبل أي استفسار، ثم ستعرف الحقيقة عن طريق روح القدس».

والعقيدة المتعلقة بروح القدس في النصرانية مختلفة تماماً عن العقيدة المتعلقة به في الإسلام. فروح القدس في الإسلام هو الاسم الآخر لجبريلَ مبلّغ الوحي إلى الأنبياء. ومبشّر مريم البتول بولادة المسيح اسمه عند النصارى روح القدس، وإن كانوا ينطقونَه على شكل: «الروح القدس»، وهو في الإسلام جبريل نفسه، أحد أكبر الملائكة. ويؤمن النصارى بأن روح القدس غير مخلوق، وبأنه أحد عناصر التثليث الثلاثة. وهو عند المسلمين جبريل، أحد الملائكة المقرَّبين، وهو مخلوق لله تعالى، وكلّفه ربه بتبليغ الوحي إلى الأنبياء.

إذن قد تبين لنا أن أساس العقيدة النصرانية هو التثليث الذي حدّده رجال النصارى بعد عيسى بن مريم بنحو ثلاثة قرون. وهذا حقيقة ثابتة عبر التاريخ؛ فالكنيسة قد قررت في مجمعها سنة ٣٢٥م أن يكون عيسى ابن الإله، وفي مجمعها سنة ٣٨١م أتمّت التثليث بإضافة روح القدس عنصراً ثالثاً. وفي النهاية آمن النصارى بأن الأب الإله خالق، وبأن عيسى الابن مخلّص، وبأن روح القدس مقدِّس (يقدّس الناس ويمجّدهم ويباركهم، ويلهمهم الأفكار الصالحة).

وقد اتضح لنا مما سبق أنه رغم كل هذا التاريخ الطويل الذي صاحب نشأة التثليث، كيف أن العقيدة الصحيحة للرسالة المسيحية قد أُفسدت عبر الزمان، وكيف أن التثليث قد ابتدع وألحق بها فيما بعد. كما اتضح لنا أنه بعد هذه الفترات الزمنية قامت بين النصارى مناقشات عقدية عديدة، واتخذ خلالها رجال الدين النصارى قرارات جديدة تتعلق بالعقيدة، وكانوا يؤمنون بكونها قرارات صحيحة؛ لأنها اتخذت بإعانةٍ من روح القدس؛ ولهذا ادعوا بأنهم عن معزِل عن كل خطأ في هذه المواضيع.

٣. الإيمان بالله في الإسلام وعقيدة التوحيد

١. مقارنة الإيمان بالله في الإسلام بالإيمان بالإله في الأديان الأخرى:

إن أساس العقيدة الإسلامية هو الإيمان بالله ذي القدرة المطلقة، والربِّ والإله الوحيد للعوالم كلها. وهو الله الذي خلق السماوات، والأرض، والحياة، والموت، وهو الأول والآخر، الأزلي الأبدي. وهو الذي يرزق الكائنات، وهو الذي يعلَم الأشياء كلها كبيرها وصغيرها، بكل أحوالها وتفاصيلها. وهو لم يلد ولم يولد. إله واحدٌ، لا ندّ له ولا نظير له. لا تكفي الإنسانَ بنيتُه الضعيفة، وحواسه الخمس ليعرف الله تعالى مباشرة، إذ أن موسى ﷺ حين أصرّ على أن يرى الله تعالى بعينيه المجرّدتين، تجلّى الله تعالى في لحظة إلى الجبل المقابل، فلم يتمالك موسى نفسه حتى صعق، وعجز عن رؤية الله تعالى بعينيه.

وترفض العقيدة الإسلامية رفضاً باتاً كل المعتقدات الزاعمة بتحوّل الله تعالى إلى مخلوقات. فكما هو معلوم في النصرانية، فإن الإله تجلّى في عيسى المخلوق في شكل كلام، فصار شريكاً للرب. وبالتالي تكون النصرانية قد أنزلت الإله إلى درجة بشريةٍ من جهة، ورفعت الإنسان إلى مقام الإله من جهة أخرى.

واليهودية تشبِّه صفات الله تعالى بصفات البشر فتجعله مثلهم يجلس، ويقوم، ويغضب، ويلتقي بهم، ويأخذ بالثأر، إلى غير ذلك من الصفات التي تتصادم مع عقيدة المسلمين عن الله تعالى، إذ أن العقيدة الإسلامية تنصّ على أن الله تعالى لا يشبهه شيءٌ من البشر وسائر المخلوقات، وأن صفاتهم ليست كصفاته سبحانه بحالٍ من الأحوال. ومما ترفضه العقيدة الإسلامية أن تكون الملائكة، أو الجنّ، أو غيرهم من الكائنات يظاهرون الله، أي يساعدون الله تعالى في الخلق، أو في التقدير، أو أنهم يتدخلون في أي فعلٍ آخر من أفعال الله تعالى. قال الله تعالى في هذا الشأن:

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [٤٠]

وقال أيضاً:

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [٤١]

وكذلك يردّ الإسلام رداً قاطعاً ما يزعمه الذين يؤمنون بتعدد الآلهة بأن لله تعالى زوجاً أو زوجات كثيرات، وأنه اتخذ منهن بنين وبنات.

وكذا ما يزعمه المشركون من أن الإله لا يسمع مخلوقاته إلا إذا اتخذ وسائط هو محتاج إليهم يتمثلون في كائنات إلهية أو شخصيات مقدسة. والحقيقة في الإسلام أن الله تعالى يعلم ويسمع كل شيء، ولا يحتاج إلى شيء، بل هو أقرب إلى الإنسان من نفسه التي بين جنبيه، قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [٤٢]

ولا ما يزعمه النصارى من أن رجال الدين معصومون عن الخطأ، وأنهم يُصدرون أحكاماً بالنيابة عن الله تعالى، وأن قراراتهم وحيٌ إلهي؛ إذ هذا كله معدود من الإشراك بالله بقوله سبحانه:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ...﴾ [٤٣]

---

٤٠ سبأ، ٢٢.

٤١ الكهف، ٥١.

٤٢ ق، ١٦.

٤٣ التوبة، ٣١.

وقد سمع هذه الآية عدي بن حاتم فتعجّب منها لظنّه أن ذلك ليس من الشرك، فأجابه رسول الله ﷺ بقوله:

«أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، ويُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ»؟

فلما قال عدي: بلى، قال له رسول الله: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**».[44]

ولا يعلم العباد عن الله تعالى إلا ما أخبر به عن نفسه، وما لم يخبر به فيبقى غير معلوم لا يبلغه علم البشر؛ لأن للعقل حدوداً لا يتعداها، ويبقى عاجزاً أمامها، منها أنه لا تستطيع قوته الإدراكية أن تحيط بذات الله تعالى وصفاته التي لا يحيط بها أي شيء آخر أيضاً.

وسنحاول هنا أن نتحدث عن الصفات الإلهية ونشرحها من الناحية الاعتقادية على ما شرحه شيوخ الماتريدية من أجل إدراك مفهوم الألوهية في الإسلام. وخلال ذلك سنلفت الانتباه إلى الأخطاء المتعلقة بمفاهيم الألوهية الموجودة في الأديان الأخرى.

تُصنَّف صفات الله تعالى بصفة عامة، كما شرحها علماء الماتريدية، إلى صنفين، صفات ذاتية، وصفات ثبوتية. فالصفات الذاتية متعلقة بذات الله تعالى، ولا تليق بأي كائنٍ بشري أو غيره من سائر الكائنات. والصفات الثبوتية، وإن كانت لا تشبه صفات المخلوقين بحالٍ من الأحوال، فهي أقرب إلى فهم البشر، وتيسّر لهم معرفة الله تعالى؛ إذ بدون معرفتها لا يمكنهم أن يعرفوا الله تعالى.

ومن هذه الصفات صفة البصر، فالله تعالى بصير، والإنسان أيضاً بصير، ولكن بصر الإنسان محدود لا يرى كل شيء، كما أنه يحتاج فيه إلى حاسّة البصر التي هي العين المخلوقة من شحم ولحم ودمٍ وأعصابٍ؛ في حين أن الله ليس كمثله شيء، وليس لبصره حدّ، ولا يحتاج من أجل البصر إلى حاسّة البصر.

٢. **الصفات الذاتية لله ﷻ:**

أ- الوجود (كون وجوده ضرورة لا بد منها):

وتعني أن الله موجود، ولا يحتاج في وجوده إلى أي شيء، ولا يمكن أن يُتَصَوَّر عدمه. قال الله تعالى:

﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ... ﴾[45]

ب- القِدَم (كونه أزلياً):

وتعني أن الله تعالى ليس له بداية؛ فالبداية والنهاية مفهومان يعبّران عن الزمان، والله تعالى هو الذي خلق الموت والحياة، وهو أجَلُّ من أن ينحصر في زمان أو مكان. قال الله تعالى:

---

٤٤ الطبراني، المعجم الكبير، جـ ١٧، ص٩٢/ ٢١٨.

٤٥ البقرة، ٢٥٥.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[٤٦]

وكلمتا الأول والآخر هنا لا تحصران الله تعالى في زمان معين، ولكن يفهم منهما أن الله تعالى ليست له بداية، وأنه كان موجوداً قبل خلق جميع المخلوقات، وبأنه يبقى موجوداً بعد فناء جميع المخلوقات التي سيُفنيها. ولكن النصارى، كما رأينا من قبل، يتناقضون فيما بينهم؛ إذ يزعمون من جهةٍ أن عيسى ابن الله تعالى، مما يستلزم على هذا أن يكون عيسى مخلوقاً لله، ويزعمون من جهة أخرى أن عيسى كلام الله الأزلي، مما يستلزم أن يكون عيسى أزلياً غير مخلوق. إن هذين الحالين المتناقضين، أي كون عيسى ابناً مخلوقاً من طرف الأب، وكونه كلام الأب الأزلي الأبدي، لَشاهدٌ واضح على مدى التضادّ الواقع عند النصارى فيما يتعلق بعقيدتهم عن الإله.

ج- البقاء (كونه أبدياً):

وتعني أن الله تعالى أبدي، لا نهاية لوجوده، على خلاف جميع الكائنات الحية وغير الحية التي تنتهي حياتها حين تأتي ساعة فنائها. قال الله تعالى:

﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٤٧]

وقال أيضاً:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٤٨]

د- الوحدانية (كونه واحداً منفرداً):

وتعني في العقيدة الإسلامية أن الله تعالى واحدٌ أحدٌ، وأنه لا خالق إلا هو، ولا تكون العبادة إلا له وحده. وأما عقائد التثليث والشرك التي تتعارض مع مبدأ الوحدانية فيردّها الله تعالى جملةً وتفصيلاً. والكثير من الآيات القرآنية تتحدث عن وحدانيته سبحانه، وعن كونه لا نظير له ولا شبيه. منها قوله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. اللهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٤٩]

﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٥٠]



٤٦ الحديد، ٣.
٤٧ القصص، ٨٨.
٤٨ الرحمن، ٢٦-٢٧.
٤٩ الإخلاص، ١-٤.
٥٠ المؤمنون، ٩١.

والتناسق والانتظام القائم في الكون، وسير الطبيعة على قوانين تمنع عنها أدنى انحراف، لَمِن أكبر الأدلة على تفرّد الخالق بالخلق وكونه إلهاً واحداً. قال تعالى:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [٥١]

فعدم وجود خلل أو فساد أو نقص في السماوات والأرض دليل على كون الخالق إلهاً واحداً، لا ندّ له ولا شبيه.

وقد مضى آنفاً أن اليهود كانوا قد أفرطوا في تعظيم عزير (بالعبرانية عزرا) الذي جمع التوراة من جديد بعد فقدها أثناء وجود بني إسرائيل في المنفى، حتى جعلوه ابناً لله تعالى. حكى الله تعالى عنهم هذا السلوك المخالف للتوحيد فقال:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٥٢]

وقد ردّ القرآن الكريم على النصارى في مواضع كثيرة عقيدتَهم بأن المسيح ابن الله، فمنها:

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [٥٣]

ولقد نصّ القرآن في أربع آيات متتابعات على بطلان التثليث بقوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [٥٤]

---

٥١ الأنبياء، ٢٢.

٥٢ التوبة، ٣٠-٣١.

٥٣ يونس، ٦٨-٦٩.

٥٤ المائدة، ٧٢-٧٥.

هذه الآية وما شابهها من الآيات الأُخَر تدل صراحةً على أنْ ليس عيسى إلا نبياً سبقه أنبياء، وأنه كان يدعو الناس إلى التوحيد. وفي آيات أخر بيّن الله تعالى أن الله إله واحد، لا نظير له ولا ندّ، وردّ رداً قاطعاً كل اعتقادٍ مخالفٍ للتوحيد، تثليثاً كان أو غيره.[٥٥]

والأناجيل التي بين أيدي النصارى تتحدث عن عيسى المصلوب بعد أنْ قِيد مكرَهاً إلى الصليب، معرَّضاً للشتم، والبصق عليه، والسخرية منه. وزيادة على هذا تتحدث عن أنه طَلب العون من الأب الإله بصوتٍ عالٍ فقال: «إلهي إلهي، لِمَ شبقتني» ؟[٥٦] أي لِمَ تركتني؟

لو كان في عيسى صفات إلهية كما زعمه النصارى، لَمَا بقي ضعيفاً عاجزاً في أيدي اليهود الضعفاء هم أنفسهم أيّما ضعفٍ في ذلك الزمان، ولَمَا استغاث بأي أحد لنجدته.

وهم حين زعموا ألوهية عيسى، قد زعموا موته مقتولاً على الصليب أيضاً. فكيف ساغ أن تساس الكائنات دون إلهٍ بعد أن مات إلهها؟ أو كيف سيس الناس وسائر الكائنات قبل أن يولد إلهها الذي كان سيسوسها؟ . إذن يظهر من هذه الكلمات أن إله النصارى إلهٌ ضعيف، وعاجز عن الدفاع عن نفسه. أما الإسلام فقد أمر أتباعه بأن يكونوا على حذرٍ شديدٍ مما من شأنه أن ينقض التوحيد، أو يتعارض معه أدنى تعارض، ولم يتسامح معه ألبتة. وقد ورد في التاريخ الإسلامي أن أعيان نصارى نجران قدموا على رسول الله ﷺ، وكانوا يزعمون ما يعلمون أنه ليس بحقّ من قولهم إن عيسى بن مريم إله وابن إله، وادّعوا أن ولادته من غير أب دليل على كونه إلهاً، فنزلت فيهم آية تردّ عليهم باطلهم، هي قوله تعالى:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٥٧]

فبعد نزول الآية ذهب رسول الله ليباهل نصارى نجران، فتباعدوا وخافوا أن يباهلوه. فتبين من تصرفهم هذا أنهم يستيقنون بأن عيسى ليس ابناً لله ولا إلهاً، وأن نسبة الألوهية له إنما هو من صنع رجال الدين النصارى. يتبين من كل ما سبق من شروحٍ آنفةٍ أن التوحيد أساس الدين الإسلامي. فالإسلام يردّ ردّاً لا هوادة فيه كل المعتقدات المخالفة للتوحيد من أي نوع كانت من أنواع الشرك، كالقول بإلهين، أو بالتثليث أو غيرهما. قال تعالى:

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[٥٨]

---

٥٥ إنجيل متى، ٢٧/ ٣٠، ٤٦.
٥٦ سفر التكوين، ٣٢/ ٢٤-٣٢.
٥٧ آل عمران، ٦١.
٥٨ البقرة، ١٦٣.

و- مخالفته للحوادث (كونه لا يشبه المخلوقات):

وتعني أن الله تعالى لا يشبه شيئاً من مخلوقاته، وأنه لا ندّ له ولا نظير، وألّا شيء من الصفات البشرية يشبه صفاته الإلهية سبحانه. وهو متعالٍ عما يزعمه اليهود من أن الإله يصارع البشر، ويأكل، ويشرب الماء، ويتعب، ويستريح، ويغسل قدميه. كما أنه متعالٍ عمّا يزعمه النصارى عن الإله من أنه اتخذ ولداً كما يتخذ البشر أولاداً، وأنه لا يشبه البشر بأيّ وجه من الوجوه.

والبشر الذين تنسج عقولهم آلهةً في عالم الخيال، ثم تذهب لتعبدها يجيبهم الله تعالى بقوله:

﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ﴾ [59]

ز- قيامه بنفسه (عدم احتياجه لأي شيء):

وتعني أن الله تعالى لا يحتاج إلى شيء من مخلوقاته، ولا يحتاج إلى أن يُحصَر في زمانٍ ما ولا في مكان ما، وأنه قيوم السموات والأرض، وأن جميع مخلوقاته في حاجة إليه، سواء في وجودها أو في فنائها. قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. اللهُ الصَّمَدُ﴾ [60]

وقال أيضاً: ﴿يَاْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَىْ اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيْدُ﴾ [61]

٣. الصفات الثبوتية:

مصطلح الصفات الثبوتية مصطلحٌ يسعى إلى تقريب المفاهيم إلى الناس بشكل أسهل، ولكنه ينبّه في الوقت نفسه بأن الله ليس كمثله شيء، وأن صفاته لا تشبه على الإطلاق صفات البشر، وأنه ليس بينها تشابهٌ إلا من حيث الاسم.

الحياة: وتعني أن الله تعالى حيّ. وهو الذي يزرق الحياة لكل شيء، وللتراب اليابس الخالي عن الحياة. قال تعالى:

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [62]

العلم: ومن صفات الكمال لله تعالى صفة العلم، فهو يعلم كل شيء كان، وكائن، وما سيكون؛ ماضيَه ومستقبلَه؛ وسرّه، وعلنه. ولا يشبه علمه علم المخلوقين، وهو علم لا يزيد ولا ينقص، وهو يعلم كل شيء

٥٩ الشورى، ١١.

٦٠ الإخلاص، ١-٢.

٦١ فاطر، ١٥.

٦٢ المؤمن(غافر)، ٦٥.

منذ الأزل. ويستحيل في حقه سبحانه الجهل الذي هو ضد العلم، كما يستحيل في حقّه النسيان. قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٦٣]

وقال أيضاً: ﴿...وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا...﴾ [٦٤]

السمع: وتعني أن الله تعالى سميع، يسمع كل شيء، خفياً كان، أو مجهوراً به، أو مناجاة بصوت منخفض أو مرتفع، فهو يسمع كل شيء مهما كان. ولا حاجة له سبحانه إلى حاسّة سمعٍ كما يحتاج إليها البشر قال تعالى:

﴿...فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...﴾ [٦٥]

البصر: وتعني أن الله تعالى بصير، يرى كل شيء خفيَ وعلنَ، ويرى كل ما في النهار والظلمة. وبما أن العمى الذي هو ضدّ البصر يعد نقصاً، فإنه لا يمكن تصوّره في حق الله تعالى. قال سبحانه في هذا الشأن:

﴿...إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [٦٦]

إن المؤمنين بحق هم الذين يكونون في وعي بوجود الصفات الإلهية في كل زمان ومكان، فهم على إدراك بأنهم تحت مراقبة الله تعالى دائماً أينما كانوا.

الإرادة: وتعني المشيئة. وليس من شيء إلا وهو قائم بإرادة الله أو بمشيئته سبحانه. قال تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٦٧]

وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٦٨]

القدرة: وتعني أن لله تعالى صفةَ القدرة التي لا حدّ لها، يتصرّف بها في كونه كيفما يشاء. وهو قادر على أن يخلق ما يشاء، ويفني ما يشاء. وسيْرُ الكون على نظام هو غاية في الإحكام، ولا نظير له في اتّزانه، لَمِن أعظم الشواهد على قدرته اللامتناهية. قال الله تعالى:

---

٦٣ آل عمران، ٢٩.

٦٤ الأنعام، ٥٩.

٦٥ البقرة، ١٨٦.

٦٦ المؤمن(غافر)، ٢٠.

٦٧ آل عمران، ٢٦.

٦٨ يس، ٨٢.

﴿...إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَه...﴾ [69]

وقال سبحانه:

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [70]

وقال أيضاً:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [71]

وهذه الآية تشير من جهة إلى معتقد اليهود والنصارى الذي يدَّعي أن الله تعالى بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام، استراح في اليوم السابع؛ وفي الوقت نفسه تردّ عليهم ادّعاءهم الباطل هذا.

الكلام: وتعني هذه الصفة أن الله تعالى متكلّم، و وحيه الذي أرسله إلى رسله هو كلامه سبحانه، وهو كلامه الذي سمعه موسى عليه السلام بغير واسطة من جبريل. وصفة الكلام لله تعالى هي مثل سائر الصفات لا تشبهها صفات الكائنات الأخرى بحالٍ من الأحوال؛ إذ أن الله ليس كمثله شيء، ولكن جبريل وموسى كانا يسمعان كلام الله تعالى. وبكلامه سبحانه كان يأمر عباده وينهاهم ويخبرهم بواسطة عباده المرسلين. قال الله جل جلاله:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾ [72]

التكوين: وتعني أن الله تعالى له صفة التكوين، أي الخلق. وهو سبحانه بعلمه الأزلي وبقدرته التي لا حدّ لها يخلق ما يشاء من مخلوقاته. وكل رزق، وإحياء، وموت، وتعذيب، ومرحمة لا يأتي إلا بعد التكوين. قال تعالى:

﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [73]

---

٦٩ الحج، ٧٣.

٧٠ الملك، ٣-٤.

٧١ الأحقاف، ٣٣.

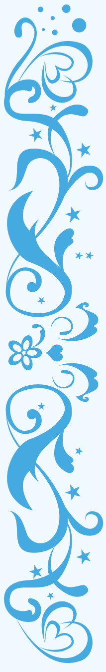
٧٢ لقمان، ٢٧.

٧٣ الحشر، ٢٤.

نصٌّ للقراءة:



إله اليهود الذي يتصارع مع الناس



إن التوراة الحالية الموجودة بأيدي اليهود تنصّ على أن الإله يهوه تَصارَع مع يعقوب، وأن يعقوب غلبه؛ وأنه نتيجة لتلك المصارعة لَقَّبَ اللهُ يعقوبَ بلقب « إسرائيل» الذي يعني ـ بزعم اليهود ـ مصارع الإله، وغالب الإله. ولهذا عُرف اليهود بعدُ ببني إسرائيل.

يحكي كتابهم المقدّس هذه القصة في العهد القديم فيقول:

... فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقّ فخذه. فانخلع حقّ فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال: أطلقني؛ لأنه قد طلع الفجر. فقال: لا أطلقك إن لم تباركني. فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب. فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمك. فقال: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فنوئيل، قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجّيت نفسي. وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه. لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النّسا الذي على حقّ الفخذ إلى هذا اليوم؛ لأنه ضرب حقّ فخذ يعقوب على عرق النّسا.

أسئلة الوحدة الرابعة

أ. أجب عن الأسئلة التالية أجوبة صحيحة:

١. ما هي المميزات الأساسية لمفهوم الإله عند اليهود؟

٢. ما هي وجوه الاختلاف المتعلقة بمفهوم الوحي بين النصرانية وبين الإسلام؟ تناقشوا فيما بينكم.

٣. متى تم تقرير كون المسيح وروح القدس إلهين؟ ومن طرف من؟

٤. ما هي المعتقدات الباطلة عند اليهود والنصارى التي انتقدها عليهم الإسلام؟ أذكر أمثلة على هذا بآيات قرآنية؟.

٥. إقرؤوا من مختلف كتب التفسير المفصلة تفسير الآيات التالية: البقرة ٢٥٥، والإخلاص ١-٤، والمؤمن ٩١.

ب. اختر الإجابة الصحيحة.

١. **أيٌّ مما يلي ليس من خصائص إله اليهود؟**

أ. إله خاص باليهود فقط.

ب. يحمل خصائص بشرية.

ج. اِسمه « يهوه».

د. رحيم بكل الشعوب.

٢. **أيٌّ مما يلي ليس من عناصر التثليث في النصرانية؟**

أ. الأب الإله. ب. الابن الإله

ج. روح القدس. د. مريم العذراء.

٣. **متى تم تقرير عيسى إلهاً في النصرانية؟**

أ. ٣٨١ مجمع إسطنبول.

ب. ٣٢٥ مجمع إزنيق.

ج. ٤٥١ مجمع قاضيكُوي.

د. ٤٣١ مجمع أفسس.

٤. **أيٌّ من الصفات التالية لا يمكن أن تكون من صفات الله تعالى في الإسلام؟**

أ. أزليٌّ أبدي. ب. واحدٌ أحد.

ج. أن له ابناً وبنتاً. د. أنه لا يشبه مخلوقاته.

٥. **أيٌّ من الصفات التالية ليست من الصفات الذاتية لله تعالى؟**

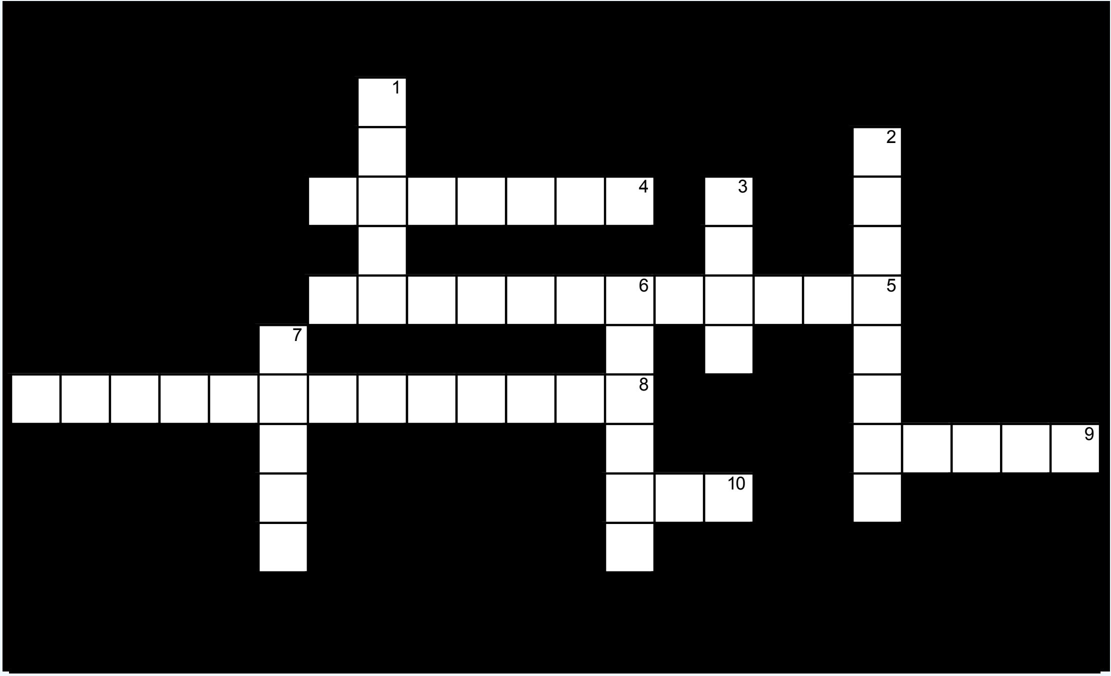
أ. الوجود - القدم.

ب. البقاء - الوحدانية.

ج. قيامه بنفسه - مخالفته للحوادث.

د. الكلام - التكوين.

ج. الكلمات المتقاطعة



١. راهب كنيسة الإسكندرية، عاش ما بين سنتي ٢٥٠ ـ٣٣٦م. طردته الكنيسة؛ لأنه عارض العقيدة النصرانية المتضمنة لبُنُوّة المسيح.

٢. في الإسلام هو ملك الوحي جبريل عليه السلام. وهو مختلف كل الاختلاف عن روحِ القدسِ الإلهِ الذي يؤمن به النصارى.

٣. اسم إله اليهود.

٦. اجتماع ديني يعقده كبار رجال الدين النصارى لاتخاذ قرارات دينية. وتم تقرير أكثر المعتقدات النصرانية في هذه المجامع.

٧. وهي إحدى الصفات التي يقال لها ثبوتية، وتعني علم الله تعالى المطلق بكل شيء خفي، وعلن، وكل ما كان وسيكون.

٤. إحدى الصفات الذاتية لله تعالى. وتعني أن الله إله واحد أحد.

٥. عند النصارى العرب اليوم الأقنوم والإله الثالث المنبثق هو والابن من الأب في العقيدة النصرانية. ويمارس الأب كل أفعاله بواسطته، فهو نوعُ مساعدٍ للأب.

٨. أنه لا يشبه المخلوقين، وأنه لا نظير له ولا ندّ.

٩. إحدى صفات الله التي ذكرت في سورة الإخلاص. وهي أن كل شيء محتاج إلى الله تعالى، وأنه سبحانه على عكس ذلك، لا يحتاج إلى أي شيء.

١٠. أن الله تعالى لا بداية له ولا نهاية، ولم يخلق، وأنه أزلي.





الوحدة الخامسة

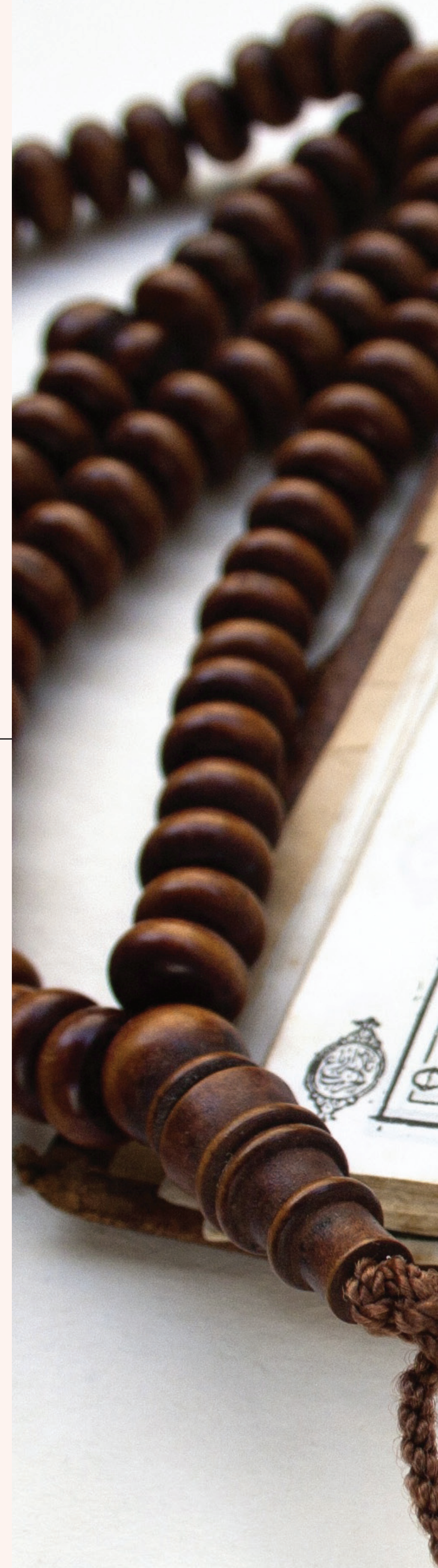
الإيمان بالكتب عند اليهود والنصارى وفي الإسلام

الموضوعــــــــــــات

 الإيمان بالكتب عند اليهود.

 الإيمان بالكتب عند النصارى.

 الإيمان بالكتب السماوية في الإسلام.



١ . الإيمان بالكتب عند اليهود

يطلِق اليهود على كتابهم المقدس اسم «التناخ» الذي يتكون من ثلاثة أقسام هي «التوراة»، و«الأنبياء»، و «الكتب»؛ كما يطلِق النصارى والمسلمون اسم «التناخ» على «العهد القديم».

وأما التوراة فهي عند اليهود أيضاً كتاب أرسل إلى موسى عليه السلام، وتحتوي على أخبار الخليقة من بدايتها إلى وفاة موسى عليه السلام، كما تحتوي على الأوامر التي تلقّاها موسى. وهي تتكون من خمسة أسفار، أي أجزاء ضخمة هي: سفر التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية.

ويُطلَق قسم الأنبياء (بالعبرية نبيئيم) على أنبياء بني إسرائيل الذين أنزلت عليهم كتب، من لدن موسى عليه السلام إلى ملاخي (القرن الخامس قبل الميلاد) آخرِ نبي لهم فيما يعتقدون.

ويطلَق قسم الكتب (بالعبرية كتوبيم) الذي يحمل معنى الكتابات، على الكتب التي تضمّ معلومات تاريخية عن بني إسرائيل، كما تضمّ أحكاماً وأشعاراً.

وإلى جانب الكتب المذكورة آنفاً ضمن ما يسمى بالتناخ، فإن لليهود كتاباً يُعَد تفسيراً لها يقال له «التلمود». وهو كتاب يتكوّن من تعليقات رجالات الدين اليهود، وهو عند اليهود من الأهمية بحيث أن من لا يؤمن به لا يعتبر يهودياً حقيقياً.

والنسخ الخطية الأولى للكتاب المقدس اليهودي غائبة اليوم، وإنما أقدم ما وجد منه نسخة خطية عبرية ترجع إلى ما بين القرنين السابع والعاشر، وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن موسى عاش في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، تبين لنا أن هذه النسخة الموجودة اليوم والتي تعدّ أقدم نسخة للتوراة، قد كتبت بعد موسى بنحو ألفي سنة.

والتوارة التي أوحيت إلى موسى عليه السلام هي أهم كتاب ضمن الكتب المذكورة آنفاً. ويعتقد اليهود بأنه لا يمكن تحريفها، وبأن الله تعالى لا يرسل كتاباً آخر غيرها؛ فلا يؤمنون لا بالأناجيل ولا بالقرآن. وبمقابل ذلك يؤمن النصارى بالتناخ الحالية، ويقرؤونها في كنائسهم، إلا أنهم يعتقدون بأنه بمجيء عيسى قد ارتفعت أوامرها وأحكامها، وإن كان قد بقي نصّها على حاله.

أ- التوراة وقضية تحريفها:

يذكر القرآن الكريم اليهود على أنهم أهل كتاب، وعلى أنهم ورثوا التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام. ويذكر القرآن أيضاً أنه أنزل على داوود عليه السلام الزبورُ، إلا أنه لا يذكر شيئاً عن الكتب الأخرى المذكورة ضمن العهد القديم. والإسلام يقبل بالمعلومات التي يذكرها العهد القديم إذا كانت لا تتناقض مع الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة؛ وفي مقابل هذا يعلِمنا بأن ما خالف القرآن والحديث الصحيح فهو محرَّفٌ ومردودٌ. كما يخبرنا القرآن الكريم بأنه ورد في التوراة غير المحرّفة ذكر مبعث محمد ﷺ رسولا إلى الناس. ولكن اليهود بدّلوا التوراةَ كلامَ الله تعالى، وبالتالي بدّلوا العلم الذي جاءهم عن نبي آخر الزمان.[٧٤]

ويتحدث القرآن عن تحريف التوراة بأنه وقع على أربعة أشكال:

١. **التبديل**: وهو تبديل الألفاظ بألفاظٍ غيرها.

٢. **الكتمان**: وهو إخفاء بعض المواضع منها.

٣. **اللّيّ**: وهو جعل اللسان يلتوي أثناء الكلام.

٤. **النسيان**: وهو تحريف يقع عن طريق الترك والابتعاد عن الكتاب.

وترد الآيات التي تدل على تحريف اليهود لكلام الله تعالى على النحو التالي:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٧٥]

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾[٧٦]

واستناداً إلى ما يذكره اليهود فإن النسخة الأولى للتوراة التي كتبت لموسى عليه السلام على ألواح سلّمها إلى علماء بني إسرائيل، وأمرهم بأن يحتفظوا بها في صندوق مقدّس عرف باسم «التابوت»، أو تابوت العهد. وحين ملكَ اليهود القدس، وبنوا معبد «هيكل» سليمان، خبؤوه في غرفة من المعبد حفاظاً عليه. وسليمان عليه السلام مبتني المعبد، والذي عاش بعد موسى بنحو ثلاث مئة سنة، حين افتتح التابوت لم يجد فيه إلا لوحتين تحويان الوصايا العشر، وكانت نصوص التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام غائبة غير موجودة فيه.

---

٧٤ سفر إرميا، ٨/ ٨-٩.

٧٥ المائدة، ١٣.

٧٦ المائدة، ٤١.

وبنو إسرائيل قد تعوَّدوا على الخروج من الدين، وعبادة الأصنام، وإهمال التوراة. فمن ذلك أن مملكة يهوذا الواقعة في الجنوب رجعت بعد فترة قصيرة من وفاة سليمان عليه السلام إلى عبادة الأصنام؛ بل إن الملك «أَخَزْيا» قد أخذ نصوص العهد القديم الموجودة حالياً ليحرّفها، كما أسلفنا عن غيره، فنزع من التوراة أسماء الله تعالى و وضع بدلها أسماءَ لأصنام.

والملك «آحاز» منع من قراءة التوراة، وأمر بالختم عليها. والملك «آمون» أمر بحرقها. والملك « منسى» أيضاً نزع اسم الله تعالى منها، ووضع بدله أسماء أصنام. حتى أنهم اتّهموا نبي بني إسرائيل «إرمياء» بإهمال التوراة، وعدم مراعاتها.[77] وبعد أن أهمل بنو إسرائيل التوراة في السنين المتعاقبة كان من الطبيعي أن يضيّعوا نصوصها.[78]

والحقيقة أن التوراة كانت في البداية نسخة واحدة، حُفِظَت ونُسِخ منها العديد. وكان موسى قد أوصى بني إسرائيل بفتحها مرة كل ثلاث أو سبع سنوات وبقراءتها على الشعب. وبعد عهود مضت، وفي سنة ٥٨٦ ق.م، أُسِر بنو إسرائيل ونُفُوا إلى بابل، وخُرِّب معبد سليمان، وبقيت التوراة مفقودة إلى عهد عزير «عزرا». ويعتقد علماء الدين اليهود والنصارى أن التوراة قد أعيدت كتابتها من جديد في تلك الفترة «بعد موسى بنحو ٧٠٠ سنة» من طرف عزير «عزرا»، بإلهام من الله تعالى.

ولكن معبد سليمان خرِّب مرة أخرى سنة ٧٠م من طرف الرومان، وتفرّقت نصوص التوراة التي كان قد جمعها عزير. وبسبب كل هذه الأحداث لم تتمكن نصوص الكتاب المقدس اليهودي من الوصول إلى يومنا هذا سليمة صحيحة كما كانت عليه أول مرة. وأقدم النسخ الخطية العبرية للتوراة يرجع تاريخها إلى ما بين القرنين السابع والعاشر الميلاديين.

بل إن التوراة الحالية تتعرّض اليوم إلى انتقاداتٍ بسبب أخطاء ارتكبت حين كتابة نصوصها. ففي السنوات الأخيرة صادف بعض رجال الدين اليهود في دولة إسرائيل بعض الأخطاء المرتكبة في النسخ الخطية للتوراة، فأخبروا بذلك مؤسسةً في العاصمة الإسرائيلية تل أبيب، وبعد إجراء أبحاثٍ اتضح أن التوراة المكتوبة بعد الحرب العالمية الثانية قد وقعت فيها أخطاء بنسبة ٨٤ ٪ من مجموع نصوصها.[79]

ب- مظاهر تحريف النصوص المقدسة عند اليهود وتناقضاتها:

١. يتحدّث الإصحاح الأخير من سفر التثنية (تثنية، إصحاح ٣٤) عن وفاة موسى عليه السلام وعن دفنه. وما دام أن الإنسان لا يستطيع أن يتناول قلمه ليكتب عن موته ومراسم دفنه وما يتبع ذلك من أحداث،

---

٧٧ التوراة في المصادر اليهودية، باقي آدم، ص ١٠٥-١١١، نشر «بينار»، اسطنبول ٢٠١١.
٧٨ المصدر نفسه، ص ٢١، الهامش، ٩٦.
٧٩ سفر التكوين، ٧/ ١٢، ٢٤.

فإنه من الطبيعي أن يتطرّق الشكّ إلى عقل الإنسان، وهو أن هذه النصوص التي تتحدث عن موت موسى ودفنه كيف تكون وحياً تلقّاه موسى حقاً من عند الله تعالى؟!

٢. وذُكِرت الحيوانات التي يحملها نوحٌ في السفينة قبل الطوفان بأنها تكون من كل جنس زوجين، وذكرت في موضع آخر بأنها سبعة أزواج من كل جنس.

٣. وينسِب العهد القديم عند اليهود صفاتٍ بشريةً إلى الرّب؛ فهو قد خلق الكائنات في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع، وتصارع مع يعقوب، فغلبه يعقوب؛ فلقبه الإله من أجل ذلك بـ «إسرائيل». كما يذكر بأن الربّ جاء ضيفاً إلى إبراهيم عليه السلام، وأنه أكل عنده، وأن إبراهيم قد ساوم الرب في قضية إهلاك قوم لوطٍ عليه السلام.[٨٠]

٤. وفي التوراة الحالية التي يرضاها اليهود والنصارى اليوم أن بناتيّ لوط عليه السلام قدمتا خمراً لأبيهما، فأسكرتاه، ثم اضطجعتا معه؛ فحبلتا، فولدت كل منهما ابناً.[٨١] وفيها أيضاً افتراء على نبي الله داوود عليه السلام الذي هو في الوقت نفسه ملك بني إسرائيل، إذ يكتبون عنه أنه زنى بامرأة «أوريا» قائد جيشه.[٨٢]

٥. وفي العهد القديم عندهم أيضاً أن الربّ أوصى بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر بأن يجرّدوا المصريين من ممتلكاتهم، أي أن يسرقوهم وينهبوهم.[٨٣]

٦. وفي التوراة التي بين أيديهم أيضاً أن الإله يعرِض على موسى النبوة، وأن موسى يرفضها، وبعد أخذٍ و رَدٍّ، ومساومةٍ مع الإله « يهوه»، وتدلّلٍ عليه، يوافق موسى في نهاية الأمر. وأثناء وجوده بصحراء التِيه بقي يعاتب الله تعالى على الأذى الذي يلقاه من بني إسرائيل؛[٨٤] فلم ينس الإله «يهوه» تصرفات موسى هذه، ولم يُرِه الأرض الموعودة لبني إسرائيل، وقبض روحه هناك في الطريق قبل أن يصل إليها.[٨٥]

٧. وفي العهد القديم أن إبراهيم وإسحاق عليهما السلام قد خافا من الملوك، فأخبر كل واحد منهما زوجته بأن تتظاهر للناس وكأنها أخته، فراراً من أن يلحقهما من الناس ظلمٌ أو أذى.[٨٦]

---

٨٠ التكوين، ١٩/ ٣١-٣٨.

٨١ صموئيل الثاني، الإصحاح الحادي عشر.

٨٢ الخروج، ٣/ ٢١-٢٢.

٨٣ سفر العدد، ١١/ ٤-١٥.

٨٤ سفر التثنية، الإصحاح الرابع والثلاثون.

٨٥ سفر التكوين، ١٢/ ١٦-٢٠.

٨٦ سفر التكوين، الإصحاح السابع والعشرون.

٨. وفي هذه التوراة أيضاً أن أم يعقوب تسعى مع ابنها يعقوب لأخذ حقّ عيسو في الميراث، بمخادعة زوجها إسحاق الذي كفّ بصره.. وفي الحادثة ما فيها ممّا يدبرانه من حيلٍ ودسائس.[٨٧]

٩. وفي هذه التوراة أيضاً أن يعقوب يخادع حموَه ـ أبا زوجته ـ أثناء رعيه لغنم كلٍّ واحد منهما، ولكنه يُنَمِّي غنمه وينقص غنم حموه، فيتشاجران بسبب ذلك، فلا يقف الإله مع المظلوم، ولكن يقف مع يعقوب، ثم يعد هذا كله في التوراة، على لسان يعقوب، لطفاً من الله وبركة ليعقوب.[٨٨]

١٠. وفي كثير من مواضع التوراة هذه أيضاً أن أنبياء اليهود من نوح، ولوط، وداوود، وأيوب، ويعقوب عليهم السلام يشربون الخمور ويسكرون.[٨٩]

كل هذه التناقضات وما شابهها في هذه التوراة جعلت رجال العلم يرفضون أن يكون هذا الكتاب المقدس وحياً من عند الله، كما أنه ليس نِتاج قلم واحد. وأثبتت الدراسات التي أجريت عما يسمى بالكتاب المقدس في العالم الغربي منذ القرن السابع عشرً بأن التوراة تحمل أدوار عدة أشخاص شاركوا في إخراجها. هذه الدراسات والتحليلات المتعلقة بنصوص التوراة آلت في النهاية بالباحثين إلى يقتنعوا بأن التوراة الحالية صدرت نتيجة نصوص مختلفة ضُمَّ بعضُها إلى بعض.

وكل ما مضى يثبت أن العهد القديم الحالي المحرَّف قد انبثق، في نهاية المطاف، عن تأليفات بشرية كانت تظهر في فترات متقطعة، إلى أن صارت خلاصة غَفَل فيها جامِعُوها عن التناقضات والتباينات التي تملؤها.



إذن قد بان لكل ذي لبٍّ بأن التوراة التي أرسلها الله تعالى، قد تعرّضت لاحقاً إلى التحريف من طرف الناس، ثم أرسل تعالى الإنجيل، فتعرّض هو أيضاً إلى تحريفات الناس، حتى فقَدَ كل واحد منهما وظيفة هداية الناس إلى الحق وإلى الصراط المستقيم. فكان الوضع يستلزم من رحمة الله بعباده أن يرسل إليهم كتاباً يبين لهم ما لَحِق الكتابين السابقين من أباطيل حادَت بهم عن الحق الذي أراده الله لهم، فكان هذا الكتاب هو القرآن الكريم.

ولهذا كان من الخصائص القرآنية أنه مهيمنٌ على الكتب الأخرى، وأنّه ناسخ للرسائل السماوية السابقة.

---

٨٧ سفر التكوين، ٣٠/ ٣٢-٤٢، ٣١/ ٧-١٦.

٨٨ سفر التكوين، ٢٧/ ٢٥، ٣٧؛ صموئيل الثاني، ١١/ ١٣؛ أيوب ١/ ١٣.

٨٩ موسوعة المعيشة اليومية، مادة «إنجيل»، عمر فاروق خارمان؛ النصرانية في المصادر الموجودة، سؤات يلدرم ص ١٦٠-١٦٤.

٢. الإيمان بالكتب عند النصارى

يطلِق النصارى اسم الكتاب المقدس على كلٍّ من العهد القديم (التّناخ)، والعهد الجديد (الأناجيل). فالعهد القديم، وإن كان كتابَ اليهود في الأصل، فهو كتاب النصارى أيضاً. وهذا على خلاف العهد الجديد، فهو كتابٌ مقبولٌ من طرف النصارى وحدهم دون اليهود.

ويعتقد النصارى أنّ العهد الأول، أي العهد القديم قد أُبرِم بين الربّ وبين موسى. ثم جاء العهد الثاني، أي العهد الجديد الذي أبرِم بين الرّب وبين عيسى. وبالتالي سَمُّوا المجموعة المكتوبة لوثائق العهد القديم باسم «العهد الجديد». وهي تتكوّن من سبعة وعشرين جزءاً؛ أربعة منها هي إنجيل مرقس، ومتّى، ولوقا، ويوحنّا؛ والباقي كتاباتٌ مختلفة صَدَرت في مجموعها عن الحواريّين، عددها ثلاثٌ وعشرون رسالة.

و رغم وجود مجموعة من الاختلافات بين الأناجيل الأربعة، فإن التّشابه الواقع بين الأناجيل الثلاثة الأولى جعلها تُصنَّف على حِدَةٍ، وتسمى بالأناجيل الإزائية أو المتشابهة (السينوبتية Synoptic). وأُلِّفت هذه الأناجيل الثلاثة ـ على ما يعتقد ـ فيما بين عامي ٦٠ـ٨٥ م، بينما ألّف الإنجيل الرابع، إنجيل يوحنّا، في القرن الأول الميلادي، في حين أنّ أقْدَمها تأليفاً هو إنجيل مرقس فيما بين سنتي ٦٣–٧٠م. وإذا أخذنا بعين الاعتبار معتَقد النصارى بأن عيسى قد صُلِب وعمره ثلاث وثلاثون سنة، فإنّ أقدَم نسخة للإنجيل تكون قد كُتبت بعد عيسى بثلاثين سنة.

والمعتقد الموجود عند النصارى أن عيسى ﷺ لم يَكتب ما تلّقاه من وحيٍ ولا أُمِر بكتابته أثناء حياته. وإنما كان يعمل بالوحي الذي سبقه، ولم يزد على أن يأتي بني إسرائيل بمجموعةٍ من الإصلاحات أو التخفيفات التي لا تخرج عن المضمون العامّ للعهد القديم. فعيسى هو الذي قال لهم:

«لا تظنّوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء؛ ما جئت لأنقض، بل لأكمل».

بل كان هو وحواريّوه معاً يعملون جميعاً بالكتب السابقة التي تلقّوها عن أسلافهم من أتباع الأنبياء. ولم يظهر في تلك الفترة ما عُرف لاحقاً بالعهد الجديد أو الأناجيل؛ لأن عيسى لم يكتبه ولا أَمَر بكتابته. ولم يكن في الواقع إلا مواعظَه القولية والفعلية التي لم تكن قد دوِّنت بعدُ في حياته.

ثم إنّ المسيحيون الأوائل لم يشعروا بحاجةٍ إلى تدوين أقوال المسيح لاعتقادهم بأنه كان سيرجع بعد وفاته بوقتٍ قريب. وحين تبيّن لهم تأخّر مجيء المسيح، وأن الذين عايشوه ووَعَوا عنه تبليغاتِه يَقِلُّون؛ راح رجال الدين المقدَّمون يدوّنون، قدر المستطاع، ما تذكّروه من أقوال عيسى التي سمعوها منه في مختلف البقاع. وبذلك ظهر للوجود أناجيل ورسائل اختلفت باختلاف عقائد وآراء كل جماعةٍ في تلك الفترة.

ولا يؤمن النصارى ألْبتّة بأن عيسى جاء بكتاب اسمه الإنجيل ولا بكتاب آخر؛ فهم والمسلمون مختلفون في هذه القضيّة. بل إن عيسى عندهم هو نفسه وحيُ الإله الذي أرسله إلى الناس، وحياته

ومواعظه هي الرسالة الإلهية ذاتها. والكتب التي بأيديهم مما يسمّونه بالإنجيل أو الأناجيل ليست هي الإنجيل الذي يؤمن به المسلمون، وإنما هي مجموعة من أقوالِ وأعمالِ عيسى سمعها أو رآها منه الطلبة الأوائل، ثم دوَّنوها في صحفٍ. وإلى جانب هذا يؤمن النصارى بصحة هذه الأناجيل وبأنها نتيجة وحيٍ إلهيٍ؛ لكون كَتَبَتِها كانوا يدوّنونها وهم تحت حفظ ورعاية الإله وروح القدس.

ولم يتمكّن المسيحيون الأوائل من المحافظة على الإنجيل الحقيقي الموحى به من الله تعالى؛ لكونهم تناقَلوا أقوال المسيح مشافهةً، وليس كتابةً. وزيادة على هذا، فإن باولس قد كتب آراءه الشخصية عن المسيح في شكل رسائل بعث بها إلى مختلف الجماعات النصرانية، رغم أنه لم ير المسيح، ولم يؤمن به في حياته، ولكن تنصّر بعد رحيل المسيح.

وبهذا صارت رسائل باولس الجزءَ الأول المكتوب من بين ما شَكَّل وثائقَ العهد الجديد، ومصدراً مرجوعاً إليه، سبق إلى الوجود الأناجيل ذاتها.

وبينما كان لا يُعرَف إلا إنجيلٌ واحدٌ إلى غاية منتصف القرن الثاني، إذا بأناجيلَ أخرى متعددةٍ تظهر للوجود. فكان هذا من أسباب عقد النصارى سنة ٣٢٥م لمجمعٍ نيقية (إزنيق) الّذي قرّروا فيه ألوهية المسيح، واختاروا من بين عشرات الأناجيل ومئات الرسائل سبعاً وعشرين وثيقة تمثّلت في أربعة أناجيل وثلاث وعشرين رسالة؛ ذلك أن هذه الوثائق تؤيّد، حسبما يرون، ألوهية المسيح. وكان عدد المشاركين في هذا المجمع أكثر من ألفي وفد، وافق ثلاث مئة وثمانية عشر رجل دينٍ منهم على معتقد ألوهية المسيح، وردّه الباقون الذين أُبعِدوا عن المجمع بقوةٍ لأسباب دينية وسياسية، وأُعلِنَت باقي الأناجيل التي لا تؤمن بألوهية المسيح على أنها أناجيل أبوكريفية، أي منحولة ملفَّقة مبتدَعة حيث تمّ إحراقها.[٩٠]

ولم يغبْ هذا الوضع عن أعين كثيرٍ من المفكرين النصارى طيلة التاريخ النصراني؛ فسَعَوا لتحليل ومناقشة التناقضات والتعارضات التي يحملها ما يسمّى بالكتاب المقدس. فأسسوا منهجية تُخضِع الكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد، إلى التدقيق تحت ضوء المعطيات العلمية. هذه المنهجية التي كانت الكنيسةُ في بداية تاريخها قد عارضت نشاطاتها؛ لاعتقادها بأن الكتاب المقدّس بكامله وحيٌ إلهيٌ لا يمكن أن يلحقه الخطأ، نظرت الكنيسةُ لاحقاً في حركة النهضة الأوروبية وما صحبها من نتائج العلوم الطبيعية التي تصادمت مع بعض نصوص الكتاب المقدس، فاضطرت إلى مساندة نشاطاتها، على أن تكون الكنيسة مُشرِفةً عليها، وبالتالي تتمكن من تأويل كل بحث بما يوفّق بين العلوم الطبيعية وبين الكتاب المقدس. وكان مثل باكون، وديكارت، وهوبس، و سبينوزا من أخصّ رجال العلم الغربيين الذين تعرّضوا للتدقيق في الكتاب المقدس وانتقاده، إلى أن ظهر تبعاً لذلك، مذاهب متعددة وتيارات فكرية مختلفة، لكلٍّ منها مفاهيمه الخاصة عن الوحي وعن الكتاب المقدس.

٩٠ متى، ٣/ ١٧؛ مرقس، ١/ ٩-١٢؛ لوقا، ٣/ ٢١-٢٢.

أ- الأناجيل وقضية التناقضات:

إن الإنجيل في العقيدة الإسلامية كتابٌ أوحاه الله تعالى إلى عبده عيسى، شأنُه شأن الكتب السماوية التي أوحاها إلى رسله. وذكره الله تعالى في كتابه فقال:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [٩١]

فهو من حيث مصدره كتابُ هدايةٍ، مثله مثل القرآن، إلا أنه كما سلف الذكر، قد تعرّض عبر الزمان إلى تحريفات من قِبَل الكنيسة ورجال الدين. وأكبر علامة على التحريف فيه وقعت في العقيدة، حين انحرفت الكنيسة عن التوحيد وتبنّت شِرك التثليث.

والقرآن لا يتحدث إلا عن إنجيلٍ واحدٍ أوحي إلى عيسى، لا ثاني له. والإنسان حين يسمع اسم الإنجيل يذهب ذهنه إلى أنه يجب أن يكون كتاباً يحوي الحقائق الإلهية والتعاليم الدينية التي بلّغها عيسى عن ربه، كما هو الشأن في القرآن الكريم.

وقد بيّن الله تعالى في القرآن حال الإنجيل فقال:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [٩٢]

ويقول أيضاً:

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ...﴾ [٩٣]

إن كون الأناجيل التي تروي حياة المسيح أكثرَ من واحد، وتناقضها فيما بينها لَمِن أهم المشاكل التي صادفت النصرانية. فقبل مرور قرنين على ظهور النصرانية، كان هذا المشكل قد فتح الباب على مصراعيه للنزاعات العقدية. وكيف لا، وها هي جميع كتب العهد الجديد قد كُتبت باليونانية، والمسيح نفسه عاش يتكلم بالآرامية؟! حتى إن أقدم نسخة خطية يونانية للعهد الجديد مما يتوفّر بالأيدي اليوم حالياً يرجع تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي.

---

٩١ آل عمران، ٣.

٩٢ آل عمران، ١٨٧.

٩٣ المائدة، ١٤.

ب- بعض التناقضات في العهد الجديد:

بما أن النصارى يؤمنون بالعهد القديم وقدسيته، فإن الانتقادات المتعلقة بالتوراة التي وجّهت آنفاً إلى اليهود لا بد من توجيهها بعينها إلى النصارى.

ومن ذلك أن هذه التوراة بما فيها تلك النصوص التي حَوَت قصصاً غير أخلاقية ما زالت مقدسة عند النصارى، وتُقرَؤ إلى الآن في الطقوس التعبدية بالكنائس. وإلى جانب هذه النصوص نصوصٌ أخرى من الأناجيل تحمل تناقضات أخرى، منها ما يلي:

١. في حين أن إنجيلَيْ مرقس ويوحنا لا يتحدثان أصلاً عن نسب عيسى، فإن متّى ولوقا يقدّم عنه معلومات. وإذ يذكر متّى في شجرة نسب المسيح أربعين شخصاً بين عيسى وبين أبيه إبراهيم، يذكر لوقا خمسة وخمسين شخصاً.

٢. وإذ يتحدث أنجيل متّى، ومرقس، ولوقا عن تعميد عيسى المسيح من طرف يحيى، فلا ذكر للتعميد أصلاً في إنجيل يوحنّا.[٩٤]

٣. وإذ يذكر إنجيل متّى، ومرقس، ولوقا أن الوطن الأصلي لعيسى هو الجليل، يذكر إنجيل يوحنّا وطنه على أنه اليهودية.[٩٥]

٤. وفي حين أن إنجيل متّى، ومرقس يذكران أن عيسى بدأ يبلّغ الرسالة بعد إلقاء يحيى في السجن، فإنه بدأها في إنجيل يوحنا قبل سَجن يحيى.[٩٦]

٥. وفي حين أن إنجيل متّى، ومرقس، ولوقا يذكر أن وظيفة عيسى النبوية استمرّت سنة، يذكر إنجيل يوحنا أنها استمرت أكثر من سنتين.

٦. ويذكر متّى أن عدد الأجيال من داوود النبي إلى عيسى ستة وعشرون جيلاً، بينما يذكر لوقا أن عددهم أربعون جيلاً.

٧. وبينما يتحدث متّى، ولوقا عن طفولة عيسى مفصّلةً، فمرقس لا يذكر عنها شيئاً على الإطلاق.

٨. ويذكر متى أن قيام عيسى من بين الأموات وظهورَه كان في الجليل، بينما يذكر لوقا أنّ ذلك حدث في اليهودية.

٩. وإذ جاء عيسى إلى نواحي صور وصيدا، وجاءته المرأة التي طلبت منه أن يشفي ابنتها، يذكر متّى أنها كانت كنعانية، بينما يذكر مرقس أنها كانت يونانية.

---

٩٤ متى، ٣/ ١٣-٥٤؛ مرقس، ٦/ ٤؛ لوقا، ٦/ ٢٩؛ يوحنا، ٤/ ٣، ٤٣، ٤٥.

٩٥ متى، ٤/ ١٢-١٧؛ مرقس، ١/ ١٤-١٥؛ يوحنا، ٣/ ٢٢-٢٦، ٤/ ١-٣.

٩٦ للاستزادة من التفاصيل فيما يتعلق بالتناقضات انظر: اختلافات وتناقضات الأناجيل الأربعة، شعبان كوزغون، أنقرة ١٩٩٦.

١٠. وإذ تنسب الأناجيل في بعض مواضعها الألوهية إلى عيسى المسيح، تتحدث عنه في مواضع أخرى مستعملةً عبارة «ابن الإنسان». فكيف يكون كائنٌ ابنَ الله وابنَ إنسانٍ في آنٍ واحدٍ؟![٩٧]

١١. ويذكر كلٌّ من إنجيل متّى ومرقس أنّ عيسى قال أثناء الصّلب: «إلهي، إلهي، لم تركتني»؟ إنّ هذه العبارة لا يمكنها أن تصدر عن نبيٍ مرسلٍ من عند الله؛ لأنها تحمل معنى الاستنكاف والعصيان نحو الرّب سبحانه.

إنّ كل هذه التناقضات لا يمكن أن تُقبل من كتاب يؤلفه آحاد البشر، فكيف يمكن قبولها من كتاب ينتظر عقلاء البشر أن يكون شاهداً للأنبياء على صدق دعوتهم وصحّة إرسالهم من طرف الإله، وأن يشكّلَ معجزةً ترد على شبهات خصومهم، وتدْحض افتراءاتهم؟! إن حال الأناجيل هذا لَمِن أوضح الأدلة على كونها كُتبت من طرف أشخاص حسب إرادتهم وأهوائهم، ودون علم بعضهم ببعض. وإنّ كتاباً يُنسَب مصدرُه إلى الله تعالى يحوي مثل هذه التناقضات والمعلومات المفكّكة، إضافة إلى أنه يحكي عن نبي يؤلّه نفسه، وفي الوقت نفسه يصِف الإله بصفاتٍ بشرية، لَكِتابٌ يستحق هو وسائر الكتب النصرانية المقدّسة التي تشابهه، أن يُعدّ من الناحية الإسلامية مجرَّداً من كل قداسةٍ وتبجيلٍ.

وفي السّنوات الأخيرة فُتح في الغرب مجالُ دراسة جامعية تحت اسم «بحوث الكتاب المقدس» للنظر في صحته. وفي إطارِ هذه البحوث تشكّلت في السنوات الأخيرة في الغرب لجنةٌ تتكون من مئتي عضو، أكاديميين ورجال دين، نشروا، ضمن أعمالهم العلميّة منذ سنة ١٩٨٦، كتابين يضمّان الأبحاث والنتائج المتعلّقة بالأقوال والأفعال المذكورة في الأناجيل منسوبةً إلى المسيح، وبِمدى صحة نسبتها إليه. ونُشر الكتاب الأول بالإنكليزية سنة ١٩٩٣ بعنوان «The Five Gospels»،[٩٨] وتعرّض للكلمات الـ ٥١٨ التي يقال عنها إنها صدرت عن المسيح، فاتّضح بأن لها ١٥٤٤ رواية، وبأنه لا يمكن أن يصحّ منها أكثر من ثماني عشرة (١٨) رواية. وأما الكتاب الثاني فنُشر سنة ١٩٩٨ بعنوان « The Act of Jesus»،[٩٩] وتناولَ الأعمال الـ ١٧٦ المنسوبة إلى المسيح، وتأكّد لديهم بأنّ نسبة ١٦٪ فقط يمكن أنْ تُنسب إليه، وبأنّ ٨٤٪ لا يمكن تصور صدورها عنه.[١٠٠]

وعلى ضوء كلّ هذا الذي مضى ذكره، يتبيّن بأن القرآن يساند النتيجة العلمية التي توصّلت إليها الأعمال الموضوعية التي أُجرِيت بناءً على الحقائق العملية، مِن أن التوراة والأناجيل الحاليّين قد تعرّضا للتحريف عبر العصور.

---

٩٧ بمعنى الأناجيل الخمسة.

٩٨ بمعنى أعمال يسوع.

٩٩ انظر: مجلة «إسلاميات »، عدد خاص بعيسى، ٣، ص ٥٠-٥٧، أنقرة ٢٠٠٠.

١٠٠ انظر: هود، ١٣؛ البقرة، ٢٣؛ يونس، ٣٨.

٣. الإيمان بالكتب في الإسلام

يعني الإيمان بالكتب في الإسلام التصديق بأن الله تعالى أنزل على بعض رسله كتباً، وبكونها كلها حقا ًوصدقاً. وأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بأنْ يؤمن بجميع الكتب المنزّلة قبله فقال له:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [١٠١]

ولا يقبل الإسلام في الإيمان بالله، وكتبه، ورسله، وسائر قواعد الإيمان بأن يفصِل بعضها عن بعض؛ وذلك بسبب الارتباط القائم فيما بينها، ولكونها إيماناً واحداً متكاملاً. فالإيمان بالله يقتضي الإيمان برسله الذين يرسلهم لهداية الناس، والإيمان بالرسل يقتضي الإيمان بكل ما جاؤوا به من عند الله، وبأنه حقّ.

والكتب السماوية كلٌّ منها كلام الله تعالى الذي أوحاه إلى رسله ليبلغوه الناس حتى يَخرجوا من ظلمات الضلال إلى نور الهداية. وقد آتى الله في عصورٍ مختلفة، بعضَ الأنبياء بعض الكتب، مثلما آتى آخرين صحائف تُعرف بأنها أصغر حجماً منها. فآتى داوود الزبور، وموسى التوراة، وعيسى الإنجيل، وآخر الأنبياء محمداً القرآن الكريم عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

وإلى جانب هذه الكتب التي عُرفت بأنها كتب كبيرة، صحائفُ تشتهر بأنها أصغر من الكتب من حيث الحجم أوتيَها البعض الآخر من الأنبياء؛ منها، على ما يقال، عشر صحائف إلى آدم، وخمسون صحيفةً إلى شيث، وثلاثون صحيفة إلى إدريس، وعشر صحف إلى إبراهيم عليهم الصلاة والسلام أجمعين. ويعتقد المسلمون تبعاً لما ينصّ عليه معتقدهم بأن الكتب كالتوراة، والزبور، والإنجيل، من بين الكتب الكبرى، وإن كانت وحياً من عند الله تعالى، فقد تعرّضت عبر التاريخ إلى التحريف من طرف الناس، ولم يسْلَم من التحريف من ضمن الكتب الكبرى إلا القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى مهيمناً على ما سبقه من الكتب والصحائف كلها.



- **القرآن الكريم وخصائصه المهيمنة:**

إن القرآن الكريم آخر كتاب سماوي أوحي من طرف الله تعالى بلسانٍ عربي إلى رسول الله ﷺ عن طريقٍ جبريل الأمين. وهو الكتاب الوحيد الذي قدَّر الله تعالى له أن يحافظ على نصّه كما أُنزل، دون أدنى تغييرٍ أو تحريفٍ إلى يومنا هذا، وإلى يوم القيامة. قال تعالى عنه:

---

١٠١ النساء، ١٣٦.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [١٠٢]

نزَل القرآن الكريم عن طريق ملك الوحي جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ لأول مرة سنة ٦١٠م وهو في غار حراء، في شهر رمضان، في ليلة القدر، وتم إنزاله بعد اثنتين وعشرين سنة، وشهرين، واثنين وعشرين يوما. وكانت أول آية أنزلها الله تعالى هي قوله سبحانه:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [١٠٣]

وكانت آخر آية أنزلها تعالى هي قوله سبحانه:

﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [١٠٤]

والفضل بعد الله تعالى، في حفظ القرآن الكريم ووصوله إلى يومنا هذا سليماً من كل تحريف، يرجع إلى الاعتناء العظيم الذي أبداه المسلمون منذ أول يوم أنزله الله تعالى فيه. فقد كان القرآن بمجرد أن ينزل على رسول الله ﷺ حتى ينادي كتَّابه من الصحابة ويأمرهم بتدوينه. وبالموازاة للتدوين كانوا هم أنفسهم يحفظون سور القرآن عن ظهر قلب، ويقرؤون بها في صلواتهم.

وعلى هذا النحو من الحفظ، أي بالترديد على الألسنة والتدوين بالأيادي، كان القرآن قد حُفظ من كل تحريف، وبقي على حاله الأول كما بلَّغه إلينا رسول الله ﷺ، بعيداً عن كل شك في نصّه أو اعتراض على صحته. واتخذت أوراق الكاغد التي كُتب عليها القرآن الكريم شكلَها الأخير في حياة النبي ﷺ؛ لأن الوحي كان سينقطع بوفاته، ثم صارت كتاباً ذا دفتين في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

ثم اقتضى اتساع رقعة الإسلام في خلافة عثمان رضي الله عنه أن تُستنسَخ عدة نسخ من القرآن ويُبعث بها إلى مختلف أراضي المسلمين. هذه النسخ التي يُحافَظ عليها اليوم في مدنٍ مختلفة مثل اسطنبول، والقاهرة، وطشقند.

ومن الظّواهر العلمية والتاريخية المعلومة اليوم أنّ التوراة، والزبور، والإنجيل التي أنزلها الله تعالى من قبْلُ قد غابت نسخها الأصلية؛ لأنها لم تلق تلك العناية التي تحافظ عليها كما لقيها القرآن الكريم. بل لقد ألّفت العديد من المجلدات التي تتعلق بالشّبه التي تحوم حول المعلومات التي تقدّمها لنا التوراة المحرّفة.

---

١٠٢ الحجر، ٩.

١٠٣ العلق، ١-٥.

١٠٤ المائدة، ٣.

وكذلك حال الإنجيل، إذ رغم أنه قد تم تبليغه بالآرامية، ليس بين أيدينا اليوم نسخةٌ واحدة منه بالآرامية. أما القرآن الكريم فهو مهيمنٌ على الكتب المنزَّلة قبله؛ لكون ما فيه من أخبارٍ ومعلوماتٍ لا يعتريها أدنى شبهة، ولكونه وصل إلينا دون أن يلحَقه أدنى تبديل.

ويشترط الإسلام في الإنسان حتى يكون مسلماً، أن يؤمن بنبوة رسول الله ﷺ، وأن يؤمن بالقرآن الكريم الذي جاء به، وبكل ما يحويه القرآن من أحكام وأخبار وغيرها دون أي تفريق. ويجب الإيمان بالأمور التي وردت في القرآن، ويأتي في مقدَّمها الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر. وإلى جانب عناصر الإيمان هذه، فإن القرآن يتحدث عن العبادات التي يجب على المسلمين أو يندب لهم أداؤها، وعن المحرّمات والموانع التي عليهم اجتنابها.

ومِن أبرز هذه العبادات أداء الصلاة، والصيام، والزكاة، وكذا الصدقة، والحج. وأما عن التفاصيل المتعلقة بها فقد وكّل الله تعالى أمْر تبيينها إلى رسوله ﷺ بواسطة ما يُعرف بسنته الشريفة المتمثلة في أقواله وأفعاله وتقريراته.

هذا، وإنّ الإسلام يعتبر كل الأعمال التي تؤدَّى بشكلٍ صحيح بقصد نيل مرضاة الله تعالى عبادةً بمعناها العام الواسع. وفي ضوء هذا المعنى يحثّ الإسلامُ المسلمين على التحلي بالأخلاق الحميدة من حسنِ معاملةٍ للناس، وإطاعة الأبوين، وغيرها من الصفات المُرْضية عند الناس كلهم؛ ويذكر النبي ﷺ قدوة حسنة للمؤمنين.

ولم يفرّط الله في الكتاب من شيءٍ، حتى بيَّن علاقة أفراد المجتمع بعضهم ببعض، وعلاقتهم مع دولتهم، ونَظَّم هذه العلاقات بأحكام خاصة. وبيّن بأن العدل من أعظم المبادئ في التسيير، والإدارة، وإصدار الأحكام، ليس بين المسلمين فحسب، ولكن حتى بين غيرهم من المجتمعات التي لا تؤمن بالإسلام.

يمكننا الآن أن نُجْمِل كلَّ الخصائص القرآنية التي ذكرناها آنفاً، في شكل موادٍ على النحو التالي:

١ . أنّ القرآن الكريم منذ أول لحظةٍ لنزوله، استُعمل أسلوبان مهمّان للاعتناء بنصّه، أحدهما أنه كان يُحفَظ عن ظهر قلبٍ، والثاني أنه كان يُدَوَّن في صحفٍ. بل إن كثيراً من المسلمين اليوم في دول العالم يبدؤون حفظ القرآن منذ صغرهم، ويتخرّج من بينهم مئات الآلاف من الحفّاظ.

٢ . أن القرآن الكريم كلام الله تعالى الذي أوحاه إلى عبده بمعناه ولفظه.

٣ . أن القرآن نُقل إلينا عن طريق التواتر، أي أنه نقل إلينا جمعا عن جمع بحيث يستحيل أن يتواطؤوا فيما بينهم على اختلاق الكذب.

٤ . أن الله تعالى تولى حفظ القرآن، في حين أنه لم يقدر لأي كتاب سابق هذا الحفظ الإلهي.

٥. أنه كتاب يسّره الله تعالى من أجل فهمه، ثم العمل به.

٦. أنه شاملٌ، وعالمي، وأنه منذ اليوم الأول لإنزاله إلى يوم القيامة، يلبي متطلبات الناس على اختلافها، واختلاف أزمانها وأماكنها؛ ولا يقف عاجزاً عن أي تلبية حاجةٍ بشرية.

٧. أنه كتابٌ معجز، وأنه أكبر معجزة جاء بها رسول الله ﷺ دالةً على صدق نبوته. وأنه لا يمكن لكائن مهما كان، أن يضاهيه، أي أن يأتي بما يشبهه، ولو كان سورة واحدة.

٨. أنه على خلاف الكتب الأخرى السماوية الأصل، فهو خالٍ من كل تحريف أو تناقض. قال تعالى في هذا الشأن:

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [١٠٥]

٩. أن القرآن، وإن كان قبل كل شيء، كتابَ هدايةٍ للناس، فقد حوى معلومات عن حقائق طبيعية سبقت نزوله بِدهورٍ، ولا تتعارض ألبتة مع ما توصّل إليه الباحثون من نتائج.

١٠. أنه كتاب معجز بفصاحته وبلاغته؛ فهو يذكر الشيء الكثير بلفظٍ موجزٍ قصير، حتى أعجز فصحاء وبلغاء العرب، لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله.

١١. أنه أعجَزَ المنكِرين له، وتحدّاهم أن يأتوا بسورة واحدة تشبهه.[١٠٦] وما ظهر على وجه الأرض منذ ذاك الحين إلى يومنا هذا من يمسك قلمه ليأتي بمثل القرآن.

١٢. أن كتاباً ذا خصائص مثل هذه ينزل على أمّيٍ لا يعرف القراءة والكتابة، لَمِن أعظمِ المعجزات القائمة المستمرة إلى يومنا هذا.

---

١٠٥ النساء، ٨٢.

١٠٦ سفر إرميا، ٨/٨-٩.

نصٌّ للقراءة:

المعلومات المحرّفة في الكتب المقدسة اليهودية والنصرانية

لقد ارتدّ كثيرٌ من بني إسرائيل عن دينهم بعد موسى، وداوود، وسليمان عليهم الصلاة والسلام، حتى تركوا التوراة وراء ظهورهم، بل حرّفوها عن الحق الذي جاءت به. وليس القرآن وحده الذي يذكر هذه الحقيقة التاريخية، فها هي كتب اليهود والنصارى نفسُها شاهدةٌ على ذلك. ومن تلك المواضع في العهدين القديم والجديد ما يلي:

ـ «كيفَ تقولونَ نحنُ حُكماءُ وشريعةُ الرّبِّ معَنا؟! أما تَرَونَ أنَّ قلمَ الكتبةِ الكاذِبَ حَوَّلَها إلى الكَذِب. خَزيَ الحُكَماءُ وخابوا وانخَدَعوا. فها هُم نَبَذوا كلامَ الرّبِّ، فماذا فيهِم مِنَ الحِكمةِ»؟![١٠٧]

ـ «كانَ مَنَسَّى ابنَ اثنَتَي عَشْرَةَ سَنةً حينَ ملَكَ، ودامَ مُلْكُهُ خمساً وخمسينَ سَنةً بأورُشليمَ... وفعَلَ الشَّرَّ في نظَرِ الرّبِّ... وعادَ فبَنى على المُرتَفعاتِ تِلكَ المَعابدَ الّتي هدَمَها حَزَقيًّا أبوهُ، وأقامَ مذابحَ لِلبَعلِ، ونصَبَ تِمثالاً لأشيرةَ... وسجَدَ لِكواكِبِ السَّماءِ وعبَدَها. وبَنى مذابِحَ وثَنيَّةً في هَيكلِ الرّبِّ... وبَنى مذابِحَ لِكواكِبِ السَّماءِ في ساحتَي الهَيكلِ. وأحرقَ ابنَهُ في النَّارِ قُرباناً لِلبَعلِ، ومارسَ العَرافَةَ والسِّحرَ، وآمَنَ بِالشَّعوذَةِ والعَرافَةِ...».[١٠٨]

ـ «في السَّنةِ السَّابعةَ عَشْرَةَ لِفَقْحَ بن رَمَلْيا، ملَكَ آحازُ... ولم يكُنْ صالِحاً... بَل اقْتَدى بمُلوكِ إسرائيلَ، حتّى إنَّهُ أحرقَ ابنَهُ في النَّارِ قُرباناً لِلبَعلِ... وذبَحَ لِلبَعلِ وبخَّرَ لَه على المُرتَفعاتِ والتِّلالِ وتَحتَ كُلِّ شجَرةٍ خضراءَ».[١٠٩] وجاء في تفسير التوراة بالعبرية فيما يتعلق بالملك آحاز أن: «آحاز بطل ات ها اوودا وختم ات ها تورا »، ومعناه بالعربية أن: «آحاز أبطل تقديم القرابين للإله، وختم على التوراة».[١١٠]

ـ «وبعدَ أنْ فكَّرَ في الأمرِ صنعَ عِجلَينِ مِنَ الذَّهبِ وقالَ لِشعبِه: لا حاجةَ لكُم بَعدَ الآنَ بِالصُّعودِ إلى أورُشليمَ. هذِهِ آلِهَتُكُم الّتي أخرَجَتْكُم مِنْ مِصْرَ. ووضَعَ أحَدَهُما في بَيتِ إيلَ، والآخَرَ في دانَ. وبِهذا الأمرِ قادَهُم إلى الخطيئةِ، لأنَّهُم ذهَبوا لِلعِبادةِ في بَيتِ إيلَ وفي دانَ. وبَنى يَرُبعامُ بُيوتاً لِلعِبادةِ على رُؤُوسِ التِّلالِ وأقامَ كهَنةً...».[١١١]

---

١٠٧ الملوك الثاني ٢١/ ١-٦.

١٠٨ الملوك الثاني ١٦/ ١-٤.

١٠٩ التوراة في المصادر اليهودية، باقي آدم، ص ١٠٥-١١١، نشر «بينار»، إسطنبول ٢٠٠١، وهو نقلا عن ت.ب. سنهدرين، ١٠٣ب.

١١٠ الملوك الأول، ١٢/ ٢٨-٣١.

١١١ سفر التثنية، ٥/ ٧-٩، ٢٠؛ ٢٢/ ٢٢؛ الخروج، ٢١/ ١٢.



أسئلة الوحدة الخامسة

أ- أجب عن الأسئلة التالية بأجوبة صحيحة:

١. ما هي الأجزاء التي يتكوّن منها كتابُ اليهود المقدسُ، العهدُ القديم (التّناخ)؟

٢. ما هي أشكال التحريف التي تعرّضت لها التوراة من طرف اليهود، بناءً على ما ورد في القرآن الكريم ؟

٣. ما هي التواريخ التي كتب فيها النصارى الأناجيل، ومِن طرف مَن بالذات كتبت؟

٤. ما هي الخطوط العريضة لتحريفات اليهود والنصارى التي وقعت على كتبهم المقدسة؟ وهل يمكن، في رأيكم، أن يحوي كتابٌ مقدسٌ مثل تلك التناقضات أم أنها مجرد اتّهامات؟ تناقشوا فيها بينكم.

٥. ما هي، في رأيكم، أهمّ خصائص القرآن الكريم إذا قارنتموه بكتاب اليهود المقدس (العهد القديم)، وبكتاب النصارى المقدّس (العهد الجديد)؟

ب. اختر الإجابة الصحيحة.

١. ما هو اسم الكتاب المقدس الذي أُوتيَه موسى عليه السلام؟

أ. نبيئيم.

ب. كتوبئيم.

ج. التوراة.

د. العهد القديم .

٢. أيٌّ مما يلي لا يدخل في العناصر التي تشكّل العهد الجديد؟

أ. متّى ـ مرقس.

ب. لوقا- يوحنّا.

ج. أعمال الرسل- رسائل باولس.

د. الزّبور- أمثال سليمان.

٣. متى تمّ اتخاذُ قرارِ أنْ يتكوّن الكتاب المقدس للنصارى من سبع وعشرين صحيفة، أربع منها أناجيل، وثلاث وعشرون منها رسالة؟

أ. ٣٨١ مجمع اسطنبول.

ب. ٣٢٥ مجمع نيقية (إزنيق).

ج. ٤٥١ مجمع خلقيدونية (كاديكوي).

د. ٤٣١ مجمع أفسس .

٤. أي الكتب المقدسة التالية بلغ يومنا هذا كما أرسله الله تعالى من غير أن يطرأ عليه أي تحريف؟

أ. التوراة.

ب. الأناجيل.

ج. القرآن الكريم.

د. الزّبور.

٥. أيٌّ مما يلي لا يصلح لئن يكون من خصائص القرآن الكريم؟

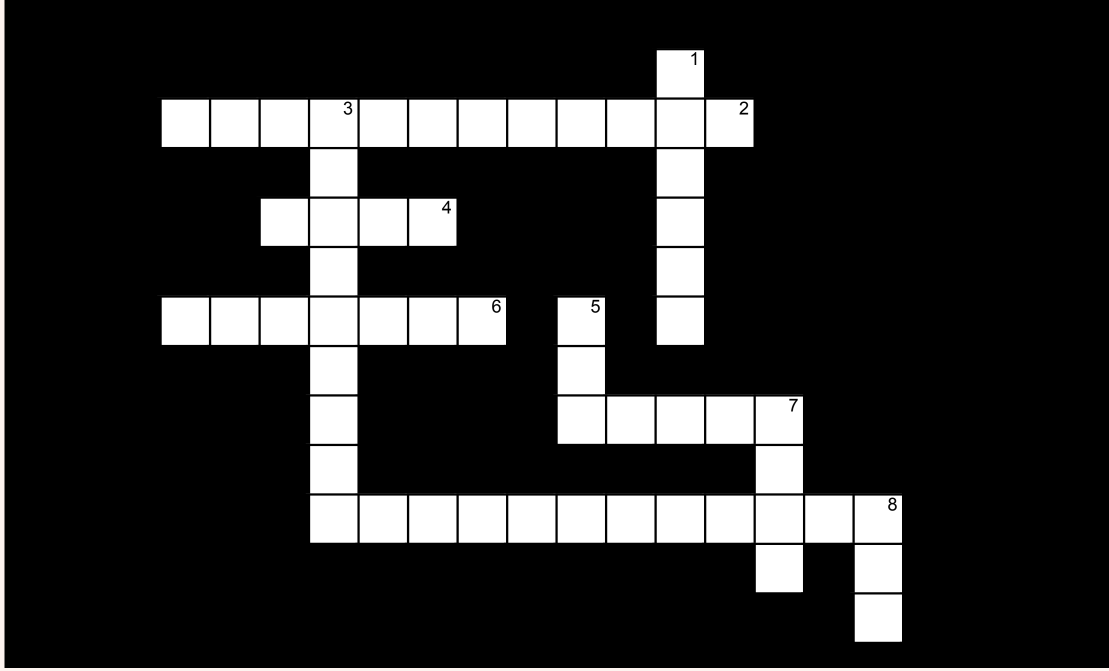
أ. أنزل على النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

ب. آخر الكتب المقدسة.

ج. تم تدوينه بعد عصورٍ من نزوله.

د. كتابٌ معجز .

ج. الكلمات المتقاطعة



١. وهو المصدر الثاني للدين الإسلامي بعد القرآن الكريم. ويعني كل ما نُقِل عن رسول الله ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته.

٣. وتعني المنحولة أو الملفَّقة أو المبتدَعة أو المزوّرة، وما إلى ذلك من ألفاظ متشابهة. وهي الأناجيل التي قرّرت الكنيسة النصرانية أن تجعلها دون الصحف السبع والعشرين التي اختارتها، فقالت عن كل ما سواها إنه أبوكريفي، ونجيل برنابا معدوداً واحداً من تلك الوثائق المرفوضة.

٥. ويعني الميثاق أو الاتّفاقية وما شابه هذا. وهو عند النصارى أنّ الإله عقد ميثاقاً مع إبراهيم، وموسى، وعيسى عليهما السلام. لهذا يُطلَق النصارى على كتب اليهود اسم «العهد القديم»، وعلى كتبهم اسم «العهد الجديد».

٧. اسمٌ يطلِقه اليهود على كتبهم المقدّسة. وهو عند النصارى «العهد القديم».

٨. هو الذي لا يعرف القراءة والكتابة، وصِفة الأمّية إحدى أهمّ خصائص رسول الله ﷺ.

٢. هو المسجد الذي أنشِئ في القدس من طرف المسلمين على أنقاض معبد سليمان، وهو الذي أُسري إليه رسول الله ﷺ في ليلة المعراج ذاتها.

٤. وهو في العقيدة الإسلامية كتابٌ أوحي إلى النبي داوود عليه السلام. وهو عند اليهود «مزامير داود» التي يضمّها العهد القديم.

٦. هي اللّسان الذي يتكلم به العرب، وهو الذي أنزل به القرآن الكريم، فكان بعد ذلك لساناً دينياً مشتركاً بين المسلمين جميعهم.

٧. يطلق على كتب التفاسير المؤلَّفة في تفسير التّناخ كتاب اليهود المقدّس، أي العهد القديم .

٨. أو الأناجيل المتشابهة، وهي إنجيل متّى، ومرقس، ولوقا؛ وذلك لتشابهها فيما بينها من حيث المحتوى. أما إنجيل يوحنّا فهو مختلفٌ عن الثلاثة الأخرى، وهو آخرها كتابة.



الوحدة السادسة

٦

الإيمان بالرسل والملائكة والآخرة عند اليهود والنصارى وفي الإسلام

الموضوعـــــــــات

- الإيمان بالرسل (الأنبياء).
- الإيمان بالملائكة.
- الإيمان بالآخرة.



١. الإيمان بالرسل (الأنبياء)

أ- عقيدة الإيمان بالرسل عند اليهود:

الإيمان بالرسل أو الأنبياء واحدٌ من قواعد الإيمان عند اليهود. وأكثر الأنبياء الذي أرسلوا إلى بني إسرائيل كانوا ينتمون إلى جنسهم. ويقسّم اليهودُ الأنبياءَ من حيث صحة النبوة، إلى قسمين، أنبياء حقيقيين، وأنبياء أدْعياء. أما الأنبياء الحقيقيون فهم الذين يدعون الناس إلى توحيد الله وعبادته، ونبذِ جميع الآلهة. وإذا أخبروا الناس بالغيب المستقبل فلا بد أن يتحقق مطابقاً لما ذكروه تماماً. وأما الأنبياء الأدْعياء فيدعون الناس إلى عبادة الأصنام، ويشربون الخمور، ويقترفون كل أنواع المنكر، وما يتنبّؤون به من المستقبل المغيب فلا يتحقق.

ويعتقد اليهود أن النبوة بدأت بإبراهيم عليه السلام، وأنّ موسى أكبر أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام. وجاء بعد موسى الملك داوود وسليمان عليهما السلام، وفي زمانهما عاش كثيرٌ من الأنبياء مثل صموئيل، وناثان، وجاد. وفي العهد القديم ذِكْرٌ لأنبياء آخرين لهم كتبهم المعروفة بأسمائهم، منهم هوشع، ويونس، وإشعياء، وإرميا. ويعتقد اليهود أيضاً أن النبوة خُتمت بالنبي ملاخي الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد؛ فهم لا يؤمنون بنبوة المسيح عيسى ولا بنبوة محمد عليهم السلام أجمعين.

ولكنهم يعتقدون أن الله تعالى أرسل نساء نبيات مثل مريم أخت موسى وهارون عليهما السلام، ودبورة، ونوعدية. كما يلفت الانتباه إلى أن العشرات من الناس تلقوا النبوة في بني إسرائيل في زمانٍ واحد.

إنّ مفهوم النبوة في اليهودية يختلف عنه في الإسلام. فللملوك والكهنة مقام يشبه مقام النبوة، إذ يعتقدون أن داوود وسليمان ملكان، وأنّ هارون كاهن، أي رجلُ دين. وفي الوقت نفسه يعتقدون أن هؤلاء، وإن لم يُدْعَوا أنبياء فهم يتلقّون الوحي من طرف الإله «يهوه». بل لقد حدث في تاريخهم أنْ كان لبعض الملوك والكهنة من الأهمية والتبجيل ما لم يكن لبعض الأنبياء.

هذا، والأنبياء عندهم ليسوا مكلفين إلا بتبليغ الوحي الإلهي إلى بني إسرائيل، وأنه لا فرق بينهم وبين سائر الناس إلا تلقّي الوحي وتبليغه. وقد ذكروا في كتبهم أنّ بعض الأنبياء اقترف بعض المحرّمات المنصوص على حرمتها في العهد القديم، منها الزنى، والكذب، وعبادة الأصنام..[١١٢]

---

١١٢ سفر التكوين، ٩/ ٢٠-٢٥.

الذنوب التي نُسِب ارتكابها إلى الأنبياء في العهد القديم:

ـ يذكر اليهود في العهد القديم أن نوحاً عليه السلام شرب الخمر فسكر، فتعرّى، وأن ابنه حاما الذي رأى عورة أبيه لعنه أبوه نوح.[113]

ـ ويذكرون أن لوطاً عليه السلام شرب الخمر فسكر، فضاجع ابنتيه، أي زنى بهما.[114]

ـ وينسبون إلى يعقوب عليه السلام أنه خادع هو وأمه إسحاقَ عليه السلام، وأنه سقاه خمراً، ثم قدّم له نفسه على أنه عيسو الابن الأكبر لأسحاق، وأنه على هذا النحو أخذ يعقوبُ حقّ أخيه الأكبر عيسو، وأن الخديعة انْطَلتْ على أبيه إسحاق فباركه بدل أخيه الأكبر.[115]

ـ وينسبون إلى داوود عليه السلام أنه زنى بامرأة قائد جيشه، وأنه أرسله على رأس جيش يخوض حرباً لا يرجع بعدها حياً.[116]

ـ وعندهم أيضاً أنّ هارون عليه السلام صنع صنماً،[117] وأن سليمان عليه السلام عبد الأصنام بإغواءٍ من نسائه.[118]

ـ وتتحدث توراتهم عن كثير من الأنبياء اليهود ـ بزعمهم ـ كنوح، ولوط، وداوود، وأيوب، ويعقوب، بأنهم شربوا الخمور وسكروا.[119]

يتبين إذن من خلال المعلومات والنقول السابقة أنّ ما يعتبر ذنباً صريحاً في العهد القديم قد يقترفه الأنبياء أنفسهم؛ وبالتالي فإن أنبياء اليهود عند اليهود لا يمكنهم أن يكونوا قدوةً لمجتمعاتهم. وزيادة على هذا فإن هؤلاء الأنبياء قد ذُكِروا في العهد القديم على أنهم كانوا معترضين على الإله «يهوه»، وأنهم كانوا يترددون في قَبول الرسالة السماوية، حتى إنهم ليناقشون الإله، ويستجوبونه.[120] وهكذا فهم ينسبون الله تعالى إلى العجز، ويضعون من قوته، ولا يقدرون الله حق قدره.

وحسب العقيدة الإسلامية أنّ الأنبياء المذكورين أعلاه مع سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معدودون جميعاً معصومين في دين الإسلام. وهم برآء من كل ما نسبهم إليه اليهود من افتراءات مذكورة

---

١١٣ سفر التكوين، ١٩/ ٣٠-٣٨.
١١٤ سفر التكوين، الإصحاح السابع والعشرون.
١١٥ صموئيل الثاني، الإصحاح الحادي عشر.
١١٦ سفر الخروج، ٣٢/ ١-٢٠.
١١٧ سفر الملوك الأول، ١١/ ١-١٣.
١١٨ سفر التكوين، ٢٧/ ٢٥، ٣٧؛ صموئيل الثاني، ١١/ ١٣؛ أيوب ١/ ١٣.
إن وجود مثل هذه الافتراءات في كتاب مقدس لمن أكبر الأدلة على كونه محرفا، فإنه يمكن الرجوع مرة أخرى إلى العنوان الفرعي "مظاهر تحريف النصوص المقدسة عند اليهود وتناقضاتها" لكونه متصلا بالفصل السابق المتعلق بـ"الإيمان بالكتب".
١١٩ سفر الخروج، ٤/ ١٠-١٧.
١٢٠ متى، ١/ ٢٢، ٢/ ١٧؛ لوقا، ٤/ ٢٧.



آنفاً، وهم مصطفون ليكونوا جميعهم شخصيات يتأسّى بها الناس. وأما الذين ذُكروا آنفاً على أنهم أنبياء عند اليهود، فهؤلاء، باستثناء البعض القليل، ليسوا معدودين في الأنبياء عند المسلمين إلا إذا ذُكِروا صراحة في القرآن الكريم أو في السنة الصحيحة.

ب- عقيدة الإيمان بالرسل عند النصارى:

يؤمن النصارى بجميع الأنبياء الذين ورد ذكرهم في العهد القديم مثل موسى، وداوود، وسليمان، وسائر الأنبياء عليهم السلام؛ لأن من عقيدتهم الإيمان بالعهد القديم، كما أن هؤلاء الأنبياء مذكورون أحياناً في العهد الجديد أيضاً.[١٢١] ولكن النصارى يفترقون عن اليهود بإيمانهم بنبوة زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، إذ لا يؤمن اليهود بنبوة أي منهما.

وتذكُر الأناجيل أن عيسى صرّح بنبوته مرتين، فقد جاء في إنجيل مرقس أن عيسى قال لهم: «لا نَبِـيَّ بلا كرامةٍ إلاَّ في وطَنِهِ وبَيَنَ أقربائِهِ وأهلِ بَيتِهِ».[١٢٢]

ورضي به الناس نبياً بعد أن أظهر لهم المعجزات من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، وشفاء المصابين بالسّل والصرع بإذن ربه سبحانه، وغيرها من المعجزات الدالة على صدق نبوته.[١٢٣]

وقد كانت وظيفة عيسى النبوية موجّهة في البداية إلى بني إسرائيل؛ إذ جاء في الأناجيل أنه أَخبر بني إسرائيل بأنه إنما جاء ليؤدّي وظيفة التبليغ حتى يجمع خرفانهم الضائعة التي تشتّتت وتحيّرت في أمرها، بل أخبر حواريّيه ألا يجاوزوا بالدعوة بني إسرائيل، وحذّرهم من أن يذهبوا إلى القبائل الأخرى.

وعلى هذا النحو كان عيسى عليه السلام قد حصر دعوته في بني إسرائيل ولم يجوّزهم بها. ولكن النصارى يعتقدون أن عيسى حين صُلِب، ثم أُقيم من بين الأموات، وظهر لبولس، أمره والحواريّين بأن يبلّغوا النصرانية لجميع الأمم في الأرض. وتختلف النصرانية اختلافاً كبيراً عن اليهودية والإسلام في نظرتها إلى تلقّي النبوة؛ إذ ألحقت النصرانية بالنبوة تغييرات جذرية جعلتها مختلفة تماماً. فعيسى عليه السلام عند النصارى، إلى جانب كونه نبياً، قد صار صاحب دعوة يؤدّيها أمام الناس، بل لقد آمنوا به ابناً للإله. وبالتالي انتقل الحواريّون، من زاوية نظر، إلى مقام أن يكونوا رسل الإله عيسى. وهؤلاء الحواريّون الذين يدّعون النبوة يحكون بأنفسهم في العهد الجديد كيف اختارهم المسيح عيسى لوظيفة النبوة.[١٢٤]

---

١٢١ مرقس، ٦/ ٤؛ لوقا، ٤/ ٢٤.
١٢٢ متى، ٩/ ٢٧-٣١، ٨/ ٥-١٣؛ مرقس، ٣/ ١-٦، ٥/ ٣٥-٤٣؛ لوقا، ١١/ ١٤.
١٢٣ أعمال الرسل، ٢٢/ ٦-١٠.
١٢٤ سفر الملوك الثاني، ١٩/ ٣٥؛ صموئيل الثاني، ٢٤/ ١٥.

والحقيقة أننا إذا نظرنا إلى العلاقة بين الله وأنبيائه وعباده في الإسلام، وجدناها لا تتفق مع الموقف الذي اختاره النصارى لعيسى عليه السلام، ورفعهم له من مقام النبوة إلى مقام الألوهية. وكل من العهد القديم والعهد الجديد يتحدث عن نساء نبياتٍ، منهن حنّة ابنة فنوئيل، وابنة الحواريّ فيليبس.

وفي العقيدة الإسلامية فإن عيسى مثله مثل سائر الأنبياء عليهم السلام، عبد أوحى الله إليه كلامه المعروف باسم الإنجيل، وأمره بتبليغ رسالته إلى الناس. أما النصارى فقد وقعوا مع مرور الزمان في الاختلاف والتّضادّ، وغَلَوا في تعظيم عيسى بن مريم حتى رفعوه من مقام العبودية وجعلوا منه إلهاً.

وفي العقيدة الإسلامية أيضاً أن عيسى المسيح عليه السلام لم يُقتَل ولم يُصلَب، ولكن الله تعالى رفعه إلى السماء، وإنما شُبِّه لليهود، ولعلّ يهوذا اللإسخريوطي شبهوه بالمسيح فقتلوه مصلوباً على الصليب. أخبرنا الله تعالى عن هذا الأمر وبيّن لنا ما الذي حدث فقال سبحانه:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[١٢٥]

و واضحٌ أن الله تعالى حفظ عبده عيسى النبي عليه السلام؛ فأنجاه من اليهود الذين طلبوا دمه، كما أنه لا شك أن الله رفعه إليه. لكنَّ أمْرَ رفْعه إلى السماء، عند الله، بقي عند بعض المسلمين أمراً مغلقاً عليهم؛ لا يعرفون كيفيته ولا زمان حصوله، فأوّله كثير منهم على أنه رفعٌ معنوي بقدره الله تعالى إلى مكان خاصٍّ في السماء الدنيا.

وفي حين أن اليهود لا يؤمنون بنبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وأن النصارى لا يؤمنون بنبوة محمد ﷺ، فإن المسلمين يؤمنون بجيمع الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى من لدنّ آدم بما فيهم موسى وعيسى، وبجميع الأنبياء المذكورة أسماؤهم في القرآن الكريم عليهم الصلاة والسلام. وهذا ما يشير إلى كون دين الإسلام ديناً شاملاً عالمياً محيطاً بكل شيء، وأنه لا دين بعده.

ج- عقيدة الإيمان بالرسل في الإسلام:

إنّ من قواعد الإيمان في الإسلام الإيمانَ بالرسل والأنبياء عليهم السلام. ومعنى الإيمان بهم هو التصديق بأنهم بشر مختارون من بين الناس، أرسلهم الله تعالى ليبيّنوا للناس طريق الحق، وبأن كل ما جاؤوا به من عند الله تعالى حقٌ وصدق. وقد فرض الله تعالى على جميع المسلمين الإيمان بجميع الأنبياء دون أي تفريق فيما بينهم، فقال سبحانه في القرآن الكريم:

---

١٢٥ النساء، ١٥٧-١٥٩.

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [١٢٦]

وكما أوضحه القرآن الكريم فإن الله تعالى اختار، على مرّ العصور، من بين الناس مَن جعلهم أنبياء وأرسلهم إلى الناس ليبلغوهم الحق فيحيوا به. وقد أعرب القرآن أيضا عن أن كل أمة قد تلقت نبيا من عند الله تعالى ينذرها يوم القيامة وما فيه من أهوال، وأنه لم تكن أمةٌ بغير نبي، فقال سبحانه:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [١٢٧]

- **صفات الرسل والأنبياء:**

إن من الإيمان بالرسل والأنبياء في الإسلام أنّ نؤمن أنّ كلَّ واحد منهم بشرٌ مثل سائر البشر، إلا أنهم بشرٌ خواصٌّ اختارهم الله تعالى من بين جميع الناس ليبلغوا إلى مجتمعاتهم ما يتلقّونه عن الله تعالى من وحي دون أدنى زيادة أو نقصان. فكان عليهم، بناءً على هذا، أن يؤمنوا هم أيضاً بجميع ما جاؤوا به ويعملوا به، ليكونوا قدوة لمن يؤمن بهم.

فكان الإسلام، على ضوء ما ذكر آنفاً، مختلفاً عن اليهودية والنصرانية؛ إذ الأنبياء في الإسلام، على خلاف ما يعتقده اليهود، منزّهون عن كل سوء، وعلى خلاف ما يعتقده النصارى في عيسى من ألوهية وبنوّة للإله، إذ الأنبياء بشرٌ يأكلون ويشربون. فالإسلام وسَطٌ بين تفريط اليهودية وإفراط النصرانية، يخطِّئُ كلّاً منهما؛ وصف الرسل والأنبياء بأنهم مطهّرون، و وَضَعهم في المقام الذي يليق بهم رسلاً بشراً. ومن الصفات التي يجب توفرها عند الأنبياء في عقيدة الإسلام هي:

١) **الصدق:**

جميع الأنبياء والرسل صادقون في أقوالهم وأفعالهم، ولا يُعقل أنْ يصدر منهم الكذب، حتى إن الذين يكذّبون نبواتهم يصفونهم بالصلاح وصدق الحديث، ولا يستطيعون اتّهامهم بالكذب. ولم يُعرَف عن أيِّ نبي أرسله الله تعالى إلى الناس ليبلغهم رسالته الإلهية وليكون قدوةً لهم، أنه ارتكب ما يخلّ بصلاحه وحسن خلقه كالكذب والخداع وما شابههما من سوء الأخلاق.

بل إن هذا النوع من الأخلاق السيئة لا يرضاها الناس في آحادهم، فكيف يمكنهم قبولها من الرسل والأنبياء المفترَض فيهم أن يكونوا أسوةً لغيرهم؟! ولو أن نبياً عُرف عنه كذب لسقط من أعين الناس، ولما وسعه أن يقنعهم، ولَوَقَعوا في حيرةٍ من كلامه؛ أيٌّ منه صدق، وأيٌّ منه كذب؟

---

١٢٦ البقرة، ١٣٦.

١٢٧ فاطر، ٢٤.

٢) **الأمانة:**

إن الرسل والأنبياء أوثَقُ من يمكن أن يَثِق بهم الناس، حتى إن الذين لا يؤمنون بهم يثقون بهم إلى أبعد الحدود. فها هو رسول الله ﷺ ما زال المشركون يلقّبونه بالصادق الأمين، ولا يترددون في ذلك، ولا يعرفون عنه إلا الصدق والأمانة. ويسلِّمون أعزَّ أماناتهم لا لأقاربهم، ولكن إلى رسول الله ﷺ الذي لا يشكّون في أدائه لها، وليس قبل البعثة فحسب، بل في زمان إعلانه النبوة، بل قريباً من زمان خروجه من مكة مهاجراً إلى المدينة. حتى إنه خلّف وراءه علياً ﵁، رغم خطر الموت الذي يحدّق به، ليردّ إلى الناس أماناتهم. إن الخيانة لا يمكنها أن تصدر من نبيٍ رسولٍ ألبتة، وليس لهم ذلك بخُلُقٍ.

٣) **الفطانة:**

وهي صفة تدل على كون النبي والرسول ذكياً، وعاقلاً، ونبيهاً؛ فلا يعقل فيهم الغباء، والحماقة، والبلادة، وأمثالها مما يُخلّ بصفات الرسل. وكونهم عقلاء، وأذكياء يجعلهم يعقلون سريعاً عن الله تعالى ما يوحيه إليهم، ويحفظونه، ويصونونه. قال الله تعالى عن حال نبيه أثناء نزول الوحي عليه:

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾ ١٢٨

فهذه الآية تلفت انتباهنا إلى أن الله تعالى قد زوّد نبيه بخصيصةٍ تتمثل في ذكاءٍ وحفظٍ يؤهّلانه غايةَ التأهّل ليؤدي وظيفته على أحسن وجهٍ. وهذه الخصيصة قد شوهدت عن قرب فيه ﷺ في الأمور الدينية باعتباره نبياً مرسلاً، وفي الأمور الدنيوية باعتباره قائداً للجيش ورئيساً للدولة.

٤) **التبليغ:**

وهي إحدى الصفات التي لا يخلو منها أي نبي ورسولٍ؛ إذ يتلقّى الرسول والنبي الأوامرَ والنواهي الإلهية ليبلّغها إلى الناس دون أي زيادة أو نقصان، ودون أن يخشى أحداً من البشر، مهما كان، أو يخجل منه، ومستعداً لمواجهة كل أنواع المخاطر بصدرٍ رحبٍ، لا يثنيه عن وظيفته في إيصال رسالته كاملة إلى أمته أي شيء.

ورسول الله ﷺ إنسانٌ أمّي، أُرسل من قِبل الله تعالى وهو لم يتعلّم و لا يعرف لا الكتابة ولا القراءة.

والحكمةُ في ذلك أن رجلاً عاش أربعين سنة بين الناس أمّياً، يعرفهم ويعرفونه، يأتيهم بين عشيةٍ وضحاها بكلامٍ يعجزُهم فصاحةً وبلاغة، ويتحدّاهم أن يأتوا بمثله إن استطاعوا. إنّ رجلاً مثل هذا يستحيل أن يكونَ قادراً على افتراء الكذب على الله ﷻ، وأن يختلق كلاماً لا يقدر أفصَحُ وأبْلَغُ أهلِ العربية على قولِ مثله، ولا أحكَمُ الناس على مشابهته من حيث ما حَوَى من علمٍ وحكمةٍ.

١٢٨ الأعلى، ٦.

ولو أخطأ الرّسل في تبليغ رسالاتهم لكانوا غير مبلّغين لِما أمرهم الله تعالى بتبليغه، وغير مؤدين لوظيفتهم. قال الله تعالى عن نبيه فيما يتعلق بهذا الشأن:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾ [١٢٩]

وإذ يبلّغ الرسل رسالات الله إلى الناس، فإنهم يكونون بذلك قد شرحوا لهم قواعد الدين وأحكامه، وعلّموهم شعائرهم التعبدية، وطهّروا أممهم من الرجس والخبائث، ودلّوا على ما يطهّرهم ويزكّيهم.

والرسل على علم و وعي تامٍّ بأنهم تحت مراقبة الوحي الدائمة، وأن عليهم ألا يملّوا من إعراض الناس عن دعوتهم، ومن العقبات التي يضعونها في طريقهم، وأنّ عليهم أن يذكّروهم برسالات الله تعالى لعلهم يستمعون إليهم فيهتدوا. وقد أدى الرسل وظائفهم بكل إخلاص وصدق، وأخبروا أممهم بأنهم لا ينتظرون منهم مقابلاً دنيوياً على دعوتهم، وأنهم إنما يرجون مكافآتهم من الله تعالى. وقد أخبر الله تعالى عن حالهم هذا فقال:

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٣٠].

٥) العصمة:

وهي مصطلح يقصد به أن الرسل والأنبياء منزّهون عن المعاصي، وأن الله تعالى قد حماهم من الوقوع فيها. والرسل والأنبياء بشر اختارهم الله تعالى من بين عباده، وحضرهم تحضيراً خاصاً ليؤدّوا وظيفة التبليغ. قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [١٣١]

وفيما يتعلق بتحذيرهم من الميل إلى المشركين قال الله ﷻ في آية عن نبيه:

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا. وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا﴾ [١٣٢]

فهذه الآية تخبر النبي بأن الله تعالى قد وقاه أن يوافق المشركين أو يميل إليهم، وتصرح صراحةً بأنه قد منع الله عنه ذلك، وثبته على الحق، وهذا ما يعني، بعبارة أخرى، أنه معصوم من طرف رب العالمين.

---

١٢٩ المائدة، ٦٧.
١٣٠ الشعراء، ١٠٩.
١٣١ ص، ٤٧.
١٣٢ الإسراء، ٧٣-٧٤.

وتبين العقيدة الإسلامية أن خصيصة العصمة عن الوقوع في الخطأ لم تعط بكاملها للأنبياء والرسل، وإنما يكونون بمعزِل عن الذنوب والمعاصي بما رزقهم الله تعالى من إرادة قوية تكون عوناً لهم على الاستقامة. وعلى هذا لا تعنيَ العصمة النجا ة من الوقوع في الذنب على الإطلاق؛ إذ قد تبين أن الرسل قد صدرت منهم ذنوب صغيرة تعرف بـالزلة.

فمن ذلك أن النبي ﷺ قد أعرض عن عبد الله بن أمّ مكتوم، الرجلِ الأعمى الذي جاء يستفسره في أمر الدين الجديد، وذلك ظنّاً من النبي أن استجابة كبار المشركين في مكة لدعوته أَدْعى لقبول غيرهم من الناس لها، ومن ثَمَّ دخولهم في الإسلام؛ لكونهم تبع لهم، فأراد أن يخصهم دون غيرهم بالتبليغ. فنزلت على الفور الآية التي نبهته إلى خطئه وردته إلى الفعل الصواب.

وهذا ما يدل دلالة واضحة على أن الرسل ليسوا موكَلين إلى أنفسهم، وأنهم في مثل هذه الأحوال التي يخطؤون فيها منبَّهون من طرف الله تعالى ومسدَّدون إلى الحق والصواب. وأما الرسل فكانوا يرجعون دائماً ورأساً إلى الله تعالى، ويصححون خطأها، ويستغفرون الله ويتوبون إليه مما صنعوا.

ويرى علماء الإسلام بأن الرسل والأنبياء يكونون معصومين خاصة بعد النبوة، وبأنهم قبل النبوة يكونون محلّ تبجيلٍ وتقديرٍ في مجتمعاتهم، ومسموع لكلامهم، ومرعية أفعالهم. وبأنهم منزّهون عن كل عيب وسوء يخلّ بشخصياتهم الموقّرة، ويخدش في شرفهم بين الناس، وبالتالي سيكون عائقاً لهم في المستقبل أمام أداء وظيفة النبوة على وجهها المراد لها.

ولا شكّ أن الأنبياء معصومون بصفةٍ خاصة فيما يتعلق بالإيمان والتبليغ؛ فإنه لا يصدُر عنهم في حياتهم كلها ما ينافي التوحيد الكامل من كفر، وشرك، ونفاق؛ ولا عصيان لأوامر الله، ولا مجاوزةٍ لحدوده؛ أو ما يخدش في إيمانهم بالله.

كما أنهم أثناء تبليغهم لرسالات الله لا يخفون شيئاً من الوحي الذي يتلقّونه، ولا يغيّرونه، ولا يزيدون فيه، ولا ينقصون منه، ولا يقترفون أياًمِمَّا شأنُه الإخلالُ بوظيفة النبوة والتبليغ.

- **بعض الصفات العليّة لرسول الله ﷺ:**

محمد بن عبد الله ﷺ هو الحلقة الآخرة لسلسلة النبوة؛ فكان تبعاً لذلك مخصوصاً ببعض الصفات التي ميّزته عمّن سبقه من الأنبياء. وسنكرّر في آخر هذا الفصل المخصّص للأنبياء والرسل ذكْر بعض أهم تلك الصفات والمميزات:

١) أن القرآن الكريم الذي حوى الرسالة التي تلقّاها رسول الله من ربه، قد وصلنا بغير أدنى تغيير، وأنه أكبر معجزة قائمة إلى اليوم تدل على صدق نبوته.

٢) وأن الأنبياء السابقين كانوا يرسَلون إلى أقوامهم خاصة، وأُرسِل رسول الله إلى كل الناس عامة،

فكانت رسالته عالمية. قال الله تعالى في هذا الشأن:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [١٣٣]

٣) وأن نبوته مستمرة إلى يوم القيامة، وبنبوته خُتمت جميع النبوات السابقة، فلا نبيّ بعده. قال تعالى:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [١٣٤]

٤) أن رسالته آخر رسالة وأكملها. قال تعالى:

﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [١٣٥]

٥) وأن بأيدينا اليوم معلومات ومادةٌ كافية عن آخر النبيين؛ فحياته كلها منقولة من أولها إلى آخرها بما فيه الكفاية، حتى إنها لمصونة تدويناً في الكتب، وحفظاً في الصدور والأذهان. وأنه لا يوجد في التاريخ البشري شخصية غير شخصية محمد ﷺ دوّنت حياته، ونُقلت بأدق تفاصيلها، وأُجْري عنها ما لا يحصى من البحوث، من طرف المسلمين وغير المسلمين.

في حين أن المعلومات عن اليهودية والنصرانية ضئيلة جداً، وما توفر عنهما من معلومات فإنما تقرر وتمّ تدوينه لاحقاً؛ وهذا ما يبعث على الشكوك والتردد فيها. حتى إن بعض المناقشات ظهرت في الغرب تشكّك في صحة وجود عيسى عليه السلام، هل عاش حقاً أم لا؟ وهل كانت شخصيته حقيقية أم أسطورية؟ وإذا ما أُخذت الشكوك والترددات النابعة عن هذه المعلومات الناقصة بعين الاعتبار؛ تبين لنا الوضوح والنصاعة التي تحوط حياة النبي ﷺ، مما يزيد في الثقة بنبوته ورسالته. والتاريخ الذي يمتلك معلومات كثيرة عن حياته هو في الوقت نفسه شاهدٌ على صحة الرسالة الإلهية التي جاء بها.



٦) وأنه أسوة حسنة للناس كلهم، وأنه إلى جانب كونه نبياً مرسلاً، فقد أدى جميع وظائفه البشرية الأخرى على أحسن وجه؛ فقد تزوّج، وأنجب الأولاد، ومارس التجارة، وسائر متطلبات الفطرة السليمة. وهذا ما يجعله قدوةً لجميع الناس على اختلاف مستوياتهم؛ فمن أجل تحقيق مقاصد الدين يحتاج الناس في الغالب إلى شخصيةٍ إنسانيةٍ تتحقق فيها معاني الاقتداء والتأسّي.

ومن ضمن الحِكَم من إرسال رسل إلى الناس أن يكونوا قدوة لهم في تطبيق ما يؤمرونهم به من دين.

---

١٣٣ سبأ، ٢٨.

١٣٤ الأحزاب، ٤٠.

١٣٥ المائدة، ٣.

ورسول الله ﷺ هو أعظم أسوة للناس في كل خير دنيوي وأخروي. قال الله تعالى عنه:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾[١٣٦]

وهو إذ كان أعظم الناس خلقاً ستبقى حياته أسوةً لجميع الناس إلى يوم القيامة. قال الله تعالى في حقه:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١٣٧]

هو أسوة للناس نبياً رسولاً، ورئيس دولة، وربّ عائلة، وقائد جيش؛ وهو أسوة في شكره لنعم الله عليه وتواضعه لها، وفي صبره على الشدائد وتسليمه لقضاء الله فيه، وفي كرمه حين يقسّم الغنائم بين المستحقين؛ وهو أسوة في رحمته نحو أهله، ونحو الضعفاء، واليتامى، والمرضى؛ وفي عفوه عن المذنبين والمخطئين.

٢. الإيمان بالملائكة

أ- الإيمان بالملائكة عند اليهود والنصارى:

الملائكة عند اليهود كائنات معنوية خلقها الإله من النار، وجعلها تحت أمره. أكبرها ميكائيل، وجبريل، وأوريال، ورفائيل، أي إسرافيل. أما ميكائيل فهو مكلّف بحماية اليهود، وإدارة أمر السماء. وأما جبريل فهو حاملُ الوحي، وحامي النار. وأما أوريال فموكَل بالرياح والنجوم. وأما رفائيل فحكيمٌ معجز. وإلى جانب هؤلاء ملائكةٌ يسمّون بالكروبيين (كروبيم)، بأيديهم سيوفٌ من نار يحرسون جهنم. وآخرون يسمون سرافيم، وهم معدودون من كبار الملائكة. وقابض أرواح البشر هو ملك الموت. ووظيفة بعض الملائكة أن يخدموا الإله.

ويتصوّر اليهودُ الملائكةَ مثل البشر، إلا أنّ لهم أجنحة. ولعلّ هذا التصور انتقل إليهم من عند اليونان. والملائكة مطيعون لأوامر الإله «يهوه» لا محالة. ومن ذلك أن ملَكاً أهلك، بأمر الإله إياه، سبعين ألف إنسانٍ بالوباء، وأهلك ملَكٌ آخر، بأمره الإله أيضاً، فأهلك من جيش أشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفاً.[١٣٨]

وبتأثير من مذهب الثنائية في العصور اللاحقة، جعل اليهود ملك الموت في الأصل شيطاناً يتخذ شكل الملائكة، وجعلوا الشيطان رئيساً للملائكة الشرّرين. وخاصة أن التصوّف اليهودي ينظر إلى كل الشرور على أنها فعل قوات شيطانية. لذلك اعتقدوا أن الجنّ ملائكة تعرّضوا لغضب الله، ويعتقدون أن الجنّ وأرواح الموتى قد تسكن الكائنات الحية، وتتحكّم فيها.

---

١٣٦ الأحزاب، ٢١.

١٣٧ القلم، ٤.

١٣٨ تفسير ابن كثير، جـ ١ ، ص ١٣٣ وغيرها.

وفي حين أن الإيمان بالملائكة معدودٌ من قواعد الإيمان عند النصارى الكاثوليك والأرثوذكس، فإنه ليس كذلك عند النصارى البوتستانت. والملائكة عند النصارى كائناتٌ روحية لا جسم لها، وتطيع أوامر الإله لا محالة، وقد زوّدها بإرادةٍ. كما أنهم فوق البعد الزماني والمكاني. وهم في الديانة النصرانية مخلوقون من النار والدخان، كما أن الشياطين والجن عندهم، أرواحٌ شريرة لحقها غضب الإله، فهم ملائكة عصاة. و رَسْمُ صوَر الملائكة إلى جانب الرب وعيسى أمرٌ شائع في فن الرسم عند النصارى. وكثير من الكنائس، خاصة كنائس الأرثوذكس، مليئة جداً بصور الملائكة. ويصوّرون الملائكة في الغالب في شكل بناتٍ ذوات أجنحة مثنى، طيبات، يحرسن الناس، ويحببن تقديم المساعدة.

ب- الإيمان بالملائكة في الإسلام:

إن من قواعد الإيمان في العقيدة الإسلامية الإيمان بالملائكة؛ لأن الله تعالى كان يرسل وحيه إلى أنبيائه عن طريق الملائكة. فمن كفر بالملائكة فقد كفر بالرسائل التي بلغها الأنبياء إلى الناس عن طريقهم. قال الله تعالى في شأنهم:

﴿...وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [١٣٩]

وجاء عبد الله بن صوريا، أحدُ أحبار اليهود من فَدَك، إلى رسول الله ﷺ ليناظره، وحين سأل رسول الله عن الملك الذي يأتيه بالوحي، وأجابه رسول الله بأنه جبريل، فأخبره صوريا بأن جبريل عدوهم، وأنه لو كان غيره يأتيه بالوحي لآمنوا به.[١٤٠] فنزل عقيب هذه الحادثة قول الله تعالى:

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [١٤١]

والملائكة في العقيدة الإسلامية مخلوقون من نور، ولا يُرَون بالعين، إلا أنه يمكنهم بإذن الله، أن يتصوروا بصور أخرى غيرِ صورهم فيراهم الناس. وهم لا يخرجون عن أمر الله، ولا يتصرفون من تلقاء أنفسهم. ولا يأكلون ولا يشربون، ولا يتزوجون، ولا يتناسلون. ولا يملّون ولا يتعبون؛ إذ ليس ذلك من فطرتهم. ومن وظائف الملائكة أنهم يحملون الوحي، ويساعدون المؤمنين في أعمال الخير، ويستغفرون للذين آمنوا. وفي الوقت نفسه يسجّلون كل أعمال الخير والشر التي يقترفها البشر.

وأكبر الملائكة عند المسلمين، هم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت الذي يُعرَف باسم عزرائيل. أما جبريل فيأتي الأنبياء بالوحي، وميكائيل فموكَل بحوادث الطبيعة، وإسرافيل فموكَل إليه أمر النفخ في الصور لإقامة القيامة، وعزرائيل ملك الموت فوظيفته قبض أرواح العباد الذين تكون ساعتهم

---

١٣٩ النساء، ١٣٦.

١٤٠ سفر إشعياء ٢٦/ ١٩؛ دانيال ١٢/ ٢-٣.

١٤١ البقرة، ٩٨.

قد حانت. وإلى جانب هؤلاء الملائكة ملائكةٌ حفظة يحفظون الناس من أمر الله، وملائكةٌ كرام كاتبون يسجّلون كلَّ ما يرتكبه العباد من قول وفعل، وملكان يقال لهما منكر ونكير، يسألون العباد في قبورهم.

والملائكة وإن كانوا كلهم عباداً مكرمين، إلا أن وصفهم بصفات هي لا تليق إلا بالله، شركٌ في عقيدة الإسلام، وكذا جعْلُهم بنين أو بنات لله اعتقاد قبيح ومناف للحق الذي جاءت به الرسل. وما يفعله كثير من النصارى من تصوير الملائكة بصور البنات فمردود في الإسلام رداً قاطعاً.

إن الإيمان بالملائكة في الإسلام يختلف عنه شيئاً ما في اليهودية والنصرانية؛ فهم في الإسلام عباد يطيعون أمر الله طاعة مطلقة، ولا يعصونه ألبتة. في حين أن اليهود والنصارى ينسبون إليهم صفة العصيان، وصفة الإرادة الحرة فيما يفعلون؛ والشيطان نفسه هو عندهم واحدٌ من الملائكة العصاة. أما في الإسلام فإن الشيطان خُلق من نار، وهو من جنس الجن، إلا أنه كان عبداً يطيع الله مع الملائكة إلى أن خالف أمره. وذلك أنه حسد آدم على نعمة الله عليه، فرفض أمر الله إياه بالسجود لآدم، فاستحقّ أن يلعنه الرب لعنةً تطارده إلى الأبد.

والمسلم حين يؤدي العبادات المفروضة، ويجتنب المحرمات، ويحسن أخلاقه، فهو يسعى دائماً ليرتقي إلى مرتبة الملائكة؛ لأنهم في اعتقاد جميع المسلمين عباد مطهرون.

والإنسان الذي يعصي الله خفية بعيداً عن أنظار الناس، يعلم أن الملائكة الموكَلين بتقييد أعماله يرونه، فيكون إيمانه بمراقبتهم إياه رادعاً له عن ارتكاب المعاصي، وحافزاً للتوجّه نحو أعمال الخير. قال الله تعالى عن الملائكة الراصدين لأعمال العباد:

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١٤٢]

هذا، والجن أيضاً في عقيدة الإسلام كائنات مخلوقة من نار، خلقت لعبادة الله تعالى. ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم الصالح ومنهم الطالح. وهم مثل سائر الإنس يحيون يوم القيامة ويحاسَبون على أعمالهم. والله قد زوّدهم بإرادة محدودة تسمح لهم باتّخاذ ما يشاؤون من قرارات، وهم مع ذلك تَبَعٌ لمشيئة الله تعالى، لا يقدرون على شيء دون إذنه سبحانه. وبالتالي فهم أيضاً كائنات تتعرّض للامتحان من طرف الله تعالى.

---

١٤٢ ق، ١٧-١٨.

٣. الإيمان بالآخرة

أ- الإيمان بالآخرة عند اليهود والنصارى:

إن المصادر التي بين بأيدينا لا تقطع بأن اليهود كانوا في عهودهم الأولى يؤمنون بالآخرة؛ لأننا لا نجد في التوراة نصاً واضحاً يتحدث عن الآخرة والحياة الأبدية. ولكن بعض النصوص في العهد القديم تشير إلى تلك الحياة، فتذكرها بشكل غير مباشر.[١٤٣]

وكان يُعتقَد في اليهودية القديمة بأن الناس كلهم، صالحَهم وطالحهم، يتجمّعون بعد الموت في مكانٍ يقال له «شؤول»، ويقضون حياتهم فيه بشكل تعيس، وتبقى أرواحهم في قبورهم. وفي عهد الأسر البابلي، وبتأثير من الفكر الفارسي، ظهر عند اليهود معتقدات تتعلق بيوم القيامة، وبالحشر. ثم جاء ذكْر الآخرة في عصورٍ متأخرة ضمن قواعد الإيمان الثلاث عشرة التي آمن بها الميمونيون، أتباع موسى بن ميمون. والأصل في اليهودية أن الجنة، والنار، والبعث من القبور، وما يتعلق بالآخرة، فإنما ذُكِرت أكثر في التلمود الذي يعد نوعُ تفسير للعهد القديم.

وأما الإيمان باليوم الآخر عند النصارى فله علاقة وطيدة بالاعتراف بالذنوب أمام الكاهن، وبالتعميد؛ لأن أعمال التعميد والاعتراف بالذنوب أمام الكاهن نوعٌ من تخفيف أعباء الآخرة عن الإنسان. فكل إنسان عند النصارى، وُلِدَ يوم وُلِد وهو مذنبٌ؛ لأن كل إنسان مسؤولٌ عن الخطيئة التي اقترفها أبواه آدم وحواء وهما في الجنة.[١٤٤] ومن أجل إنقاذ البشرية كلها من هذه الخطيئة الأصلية القديمة بعث الرّب ابنه الوحيد عيسى إلى الأرض ليُصلَب على الصليب، فيطهّر البشر كلهم من تلك الخطيئة. وعلى هذا يكون الرّب قد قدّم ابنه عيسى قرباناً يكفّر به عن البشرية خطيئتها. ولاعتقاد النصارى بأن التطهّر والخلاص من الخطيئة الأصلية لا يحصل إذا بتعميد الإنسان، وبأن كل من مات ولم يُعَمَّد فقد خرج من هذه الدنيا دون أن يتطهر من الخطيئة الأصلية؛ فهم يعمدون كل من يتنصر، وكل مولود جديد. والتعميد الذي هو أهم قداس عند النصارى، يتمثّل في غمْس الإنسان في الماء، أو رشّه بالماء ليتم تقديسه.

هذا، ويجب تقييم قضية الاعتراف بالذنب عند النصارى تقييماً يدخل في إطار الإيمان بالآخرة، ومعاقبة المذنبين؛ إذ على هذا المبدأ يعترف المذنب بذنوبه، ولكن القسيس يقابل اعترافه بالذنوب بالمغفرة باسم الكنيسة التي وُكِّل لها حقّ العفو والمغفرة. وعلى هذا يكون كل من فقد خصيصة التعميد بسبب

١٤٣ سفر التكوين، ٣/ ٢٤.
١٤٤ يوحنا، ٢١-٢٣.

اقترافه للذنوب قد اكتسبها من جديد. ويكتسب القساوسة هذا الحق في العفو مما ورد عندهم في الإنجيل من أن المسيح قال للحواريين:

«سَلاَمٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا».

وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمْ:

«اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ» .

ولإيمان النصارى بعودة المسيح إلى الأرض مرة أخرى؛ فقد حددوا كل معتقداتهم بناءً على هذا الإيمان. فالمسيح عيسى بعد مقتله صعد إلى السماء، وسيرجع مرة أخرى إلى الأرض عند اقتراب يوم القيامة، وسيؤسّس دولته الإلهية المسيحية في أرض فلسطين، وسيكون هذا إشارة على قرب يوم القيامة. كما يعتقد النصارى أن عيسى سيرجع إلى الدنيا يوم الأحد، وفيه يبدأ حياته الأخروية. وبسبب هذا الانتظار ظهرت عبر التاريخ النصراني حركاتٌ مسيحية عديدة تحدّد تواريخ تتعلق بمجيء المسيح إلى الدنيا مرة أخرى قبل يوم القيامة.

ويؤمن النصارى بوجود الجنة، وبالنار، وبما فيهما من نعيم أو عذاب، إلا أن الأطفال الذين يموتون في سن مبكرة يبقون، في معتقدهم، في مكانٍ بين الجنة وبين النار. وكذلك الذين يتوبون توبةً ناقصة وغير خالصة ينتظرون في مكانٍ يقال له «الأعراف» حتى يتطهّروا من ذنوبهم. وأما المذنبون الداخلون جهنم فعذابهم فيها إلى الأبد، مثلهم مثل الذين لا يؤمنون بعيسى المسيح.

ويعتقد النصارى بأن الدجال الذي سيظهر قبيل يوم القيامة ويكون حاكماً في زمان اضطراباتٍ، سينزل بعده المسيح ليكبِّل الشيطان، ويحكم المسيحيين المؤمنين لمدة ألف سنة. وإلى جانب هذا يعتقدون بأن الحروب ستظهر قبيل يوم القيامة، وكذا الأوبئة، والآفات الطبيعية، وسيزداد الفساد الأخلاقي. ويوم القيامة سينزل عيسى من السماء ليحاكم الناس؛ فيُدخل الصالحين الجنة، ويدخل الطالحين النار. ويزعمون أن عمر الدنيا كلها ستة آلاف سنة، وأن ألفي سنة منها فراغ، وأن ألفي سنة أخرى شريعة، وأن الألفين الباقية ستكون مدة حكم المسيح عيسى.

ب- الإيمان بالآخرة في الإسلام:

إن من قواعد الإيمان في الإسلام الإيمان بالآخرة الذي يذكر غالباً مع الإيمان بالله. والذين لا يؤمنون بالآخرة لا يؤمنون بآيات القرآن، فهم كافرون. قال تعالى:

﴿...وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [١٤٥]

١٤٥ النساء، ١٣٦.

ومصدر ما نعلمه عن الآخرة وما يتعلق بها من مواضيع إنما هو القرآن والأحاديث النبوية. ومن ذلك أننا نؤمن بالنفخ في الصور، وبصحائف الأعمال، وبميزان الأعمال، وما إليها، وكل هذا إنما تعلمنّاه وآمنّا لوروده في القرآن والسنة. ونؤمن، نحن المسلمين، بأن الحياة الدنيا دار امتحان، وبأن كل الأعمال إنما مآل أصحابها أن يحاسبوا في الآخرة؛ لأن الآخرة يوم الحق والعدل، فلا يبقى فيها أي شيء سراً مخفياً. وفي ذلك اليوم يُجزى كل الناس بحسب أعمالهم؛ إن خيراً فخير، وهو الجنة، وإن شراً فشر، وهو النار. لكن رحمة الله تعالى قد تدرك بعض المذنبين الذين استحقوا دخول النار، فينقذهم الله تعالى من النار، ويدخلهم الجنة.

وكل من مات فقد قامت قيامته، وبدأت حياته الأخروية. فقد ورد في حديث أنّ القبر أول منازل الآخرة،[١٤٦] والقبر حياة تستمر إلى قيام الساعة. والآخرة حياة تأتي بعد قيام الساعة، وتتكوّن من مراحل مثل اجتماع الناس في عرصات القيامة، ومن محاسبتهم من طرف رب العزة سبحانه، ثم من ابتداء حياة أبدية أخرى. لكن قيام الساعة، أي نهاية هذا العالم، فهو حادثٌ عظيمٌ لا يعلم ساعته إلا الله. ولكن جاء في السنة النبوية ذكر علامات كبيرة وصغيرة تشير إلى قرب القيامة.

والإسلام لا يرضى بتلك المعتقدات الباطلة الموجودة في بعض الأديان، والتي تزعم أن أرواح الموتى تطوف في الدنيا حرّة في شكل أشباحٍ وأغوالٍ، وأنها تتسلّط على الناس. ولكن يعلم الإسلام الناس بأن الأعمال تنقطع بالموت، إلا في حالاتٍ ثلاث، هي أن يكون للإنسان قد ترك خلفه ولداً ربّاه على الصلاح فيدعو له؛ أو ترك علماً نافعاً يبقى للناس بعده ينتفعون به؛ أو ترك صدقة جارية، وهي عمل يدوم نفعه وخيره للناس بعد الموت؛ فكل الأعمال تبقى مسجّلة في صحائف أصحابها حتى بعد موتهم. وفي مقابل هؤلاء أولئك الذين يعلّمون الناس طرق الشر، ويزيّنونها لهم حتى يعملوا بها؛ فإن صحائفهم تبقى تسجّل فيها أعمالهم طيلة عمل الناس بتلك الذنوب، ويكتب عليهم مثل ما يكتب على المرتكبين الآخرين تماماً.

وإذا خرج الإنسان من الدنيا، بأيّ شكل من أشكال الموت، فإن دين الإسلام يعلمنا بأنه لن يرجع إليها أبداً. قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١٤٧]



والبرزخ المذكور في الآية مصطلح يعني فترة من الزمان تبدأ بالموت وتستمر إلى أن يقوم الأموات يوم القيامة.

١٤٦ انظر: البخاري، البيوع، ١٠٢؛ الترمذي، الفتن، ٥٤.
١٤٧ المؤمنون، ٩٩-١٠٠.

- **مقارنة الإيمان بالآخرة في الإسلام بالأديان الأخرى:**

إن الإسلام يبطل ما تراه بعض ديانات الشرق الأقصى من أن الروح تغادر جسمها، ثم ترجع إلى الدنيا مرة أخرى لتحلّ في جسم آخر، مما يعرف بالتناسخ أو التقمّص. والآية المذكورة آنفاً من «سورة المؤمنون» تردّ هذا المعتقد الباطل رداً صريحاً.

ويردّ الإسلام أيضاً ما في النصرانية من قولها بالخطيئة الأصلية التي يولد عليها كل مولود، بل إن الإسلام يصرّح بأن كل مولود يولد على فطرة الإسلام، بريئاً من كل خطيئة. كما يردّ ما فيها من أن عيسى المسيح فدَّى نفسَه على الصليب من أجل إنقاذ الإنسانية، فعيسى في عقيدة الإسلام نبيٌّ كسائر الأنبياء الكرام، وُلد من غير أب معجزةً من الله، وأدّى وظيفة التبليغ النبوي، وأنه لم يُصلَب، ولكن الله رفعه إليه، وأن الذين ظنوا أنهم صلبوه لم يصلبوه، وإنما من شُبِّه لهم، قال تعالى:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [١٤٨]

وكل إنسان في عقيدة الإسلام مسؤولٌ عن ذنوبه التي اقترفها، والذنوب التي اقترفها غيره فهو غير مسؤول عنها. قال تعالى في هذا الشأن:

﴿مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [١٤٩]

والسبيل الذي يدل عليه الإسلام من أجل الخلاص من الذنب هو التوبة إلى الله، فإن شاء الله أن يقبل توبة العبد قبلها منه. وعلى هذا لا يكون أي من الناس مسؤولاً عن الذنب الذي ارتكبه أبواه آدم وحواء، وإنما يكون مسؤولاً ومحاسباً عن ذنبه الذي ارتكبه دون غيره من الذنوب. ولا عيسى المسيح عليه السلام مسؤولٌ عن ذنب غيره، ولا قدّم نفسه فداءً للإنسانية لينقذها من ذنوبها، ولا رفع عنهم مسؤولياتهم أمام الله. ومن ثَمَّ لم يقع في التاريخ شيءٌ اسمه صَلْبُ المسيح عيسى على الإطلاق.

وليس في الإسلام واسطة بين المذنب وبين الله من أجل عفو الذنوب، فمثلما أن كل إنسان خطّاء فكل إنسان كذلك مسؤول عن خطئه.

وبالتالي فإن نظرة قساوسة الدين النصراني إلى أنفسهم على أنهم معصومون، وأن لهم الحق في مغفرة ذنوب المذنبين لا يتفق مع مفهوم المسؤولية في الإسلام. بل إن الفطرة الصحيحة أو العقل السليم يقتضي

---

١٤٨ النساء، ١٥٧-١٥٩.

١٤٩ الإسراء، ١٥.

أن يكون كل مسؤولاً عن أفعاله خيرها وشرها؛ لأن ذلك أقرب إلى العدل والإنصاف، وأبعد عن الظلم والإجحاف.

وخلودُ العصاة في جهنم ليس من عقيدة الإسلام، فالعاصي المسلم يعذَّب في النار على قدر ذنبه، ثم يخرج منها بمغفرة من الله ليدخل الجنة. وإنما الخلود في النار للكافرين دون المسلمين، وهو على خلاف العقيدة النصرانية التي تقول بخلود العصاة في النار.

ويؤمن المؤمنون بما جاءت به السنة النبوية الصحيحة من أن عيسى عليه السلام سينزل قبيل يوم القيامة، ويدعو الناس إلى الهدى، ويعمل بشريعة رسول الله ﷺ. ولكن عقيدة نزول عيسى إلهاً مخلصا التي يقصدها النصارى فيرفضها دين الإسلام رفضاً قاطعاً.

ومما جاءت به السنة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه من أن رسول الله ﷺ قال:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»[١٥٠]

ولن يأتي المسيح عليه السلام بشيء جديد، إنما يكون تابعاً للشريعة التي جاء بها آخر النبيين، لأنه لن ينزل نبياً إذ النبوة ختمت قبل نزوله، فمجيئه لا يغيّر شريعة الإسلام، إلا شيئاً يكون مأذوناً له في فعله في الشريعة الإسلامية ذاتها كوضع الجزية المذكورة في السنّة قبل نزوله. ولقد ورد أحاديث ثابتة فيها أن المؤمنين يكونون تابعين لأمره، ومؤتمين بصلاته؛ لأنه سيكون إماماًص لهم.[١٥١]

ومن فوارق الإيمان بالآخرة بين الإسلام والنصرانية، أنه في حين إيمان أكثر النصارى بخلود المسلمين في النار، يخبرنا القرآن الكريم بأن اليهود والنصارى الذين عاشوا قبل ظهور الإسلام مؤمنين بالله واليوم الآخر، عاملين بالصالحات، فهم من الناجين يوم القيامة. أمَا وقد أرسل الله الإسلام فقد أعلم جميع الناس بأن عليهم الإيمان به، وأنه لن يقبل منهم يوم القيامة ديناً غيره، إذ الرسالة المحمدية آخر الرسائل السماوية وأشملها. قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١٥٢]

١٥٠ البخاري، الأنبياء، ٤٩/ ٢٢٢٢؛ مسلم، الإيمان، ٢٤٩.
١٥١ القديد اللحم المجفَّف بالملح في الشمس.
١٥٢ آل عمران، ٨٥.

نص للقراءة:

الأخلاق النبوية الطيبة

❁ أدّبه ربه فأحسن تأديبه، فكان صاحب خلق حسن، وصاحب فضيلة وكرم.

❁ كان صادقاً في عقيدته، وعبادته، وتصرفاته، وعلاقاته مع الناس؛ ليس في أيٍّ من سلوكه رياءٌ أو تصنّعٌ.

❁ متواضعاً في معيشته، متواضعاً في ملبسه.

❁ ولم يكن يذعن للنوازع النفسانية، وفي الوقت نفسه كان يستفيد مما هو حلالٌ طيب. ولم يُفَرِط في أي شيء، لم يجاوز به حدّه. ولم يكن يحب معيشة الانغماس في اللهو. وكان يمنع غيره من الإفراط في اللهو خشية أن يصدّه عن الأعمال الأخرى الضرورية المفيدة.

❁ وكانت النظافة عنده ضرورة لا يمكن تعويضها أو الاستغناء عنها. كان معتنياً، إلى أبعد الحدود اللازمة، بشعره، ولحيته، وملابسه، وبيته...

❁ ولم يكن يولي بالاً للدنيا ومتاعها؛ كان يرى نفسه مسافراً عابراً منها. ولم يمدّ يده إلى أحد، بل كان يسعى في رزقه بنفسه، ويكتسب من عمل يده.

❁ وكان متاع بيته فراشاً مصنوعاً من جلد محشو بالليف، وخُمرة، وحصيراً، وإناءَ ماءٍ مصنوعاً من الطين.

❁ وكان يأكل قليلاً، وينام قليلاً. ولا يتكلم إلا لحاجة. وإذا تكلم فإنما يتكلم بكلام حسن، وبما فيه نفع. وكان دائماً يتجنّب الكلام بغير داع.

❁ وكان قليلاً من الليل ما ينام، ويقضي أكثره في العبادة. وإلى جانب صيام رمضان، كان يكثر من صيام التطوع، ويُكثر من قراءة القرآن والصحابة يستمعون.

❁ وكان يبدأ طعامه بذكر اسم الله، وينهيه بالحمد لله. وكان لا يعيب الطعام، فإن أعجبه أكله، وإن لم يعجبه تركه. وكان يغسل يديه قبل الطعام وبعده، ويوصي أصحابه بذلك.

❁ وكان لا يحب أن يكون في سفرته ما فيه رائحة خبيثة. وكان ينظّف أسنانه دائماً. ويُعنى بنظافة شعره ولحيته.

❁ وكان لا يضيع أوقاته، ولا ينسى مصالح الرعية.

❁ وكان يحب الناس، ويقدرهم، ويحسن دائماً إليهم، ويعاملهم بصدق وإخلاص. وكان كثير التبسم، حلو الكلام. وكان يكره القهقهة، ويحب التبسم.

❁ وكان يبدأ غيره بالسلام، ويصافحه صاحبه ولا يترك يده حتى يكون غيره هو التارك.

❁ وكان لا يقاطع المتكلم، وينصِت إليه حتى ينتهي منه، ولا يرفع صوته بكلامه، لا يصرخ، ولا ينادي بصوت عال. وكان يتكلم رويداً روايداً، بحيث لو أراد المستمع أن يعده لأحصاه.



❁ وكان يستقبل زائره بوجهٍ طَلق، ويلاطفه، ويكرمه، وكذلك يودعه.

❁ وكان سريع المشي، وإذا التفت إلى جهة التفت جميعاً، أي بجميع جسمه.

❁ وكان إذا جلس إلى أصحابه لم يختر لنفسه مكاناً، ولا يحرج أحداً، ولا يقيم أحداً من مكانه، ويجلس حيث انتهى به المجلس. وكان لا يمدّ رجليه إذا جلس، ولا يضع الواحدة على الأخرى. وإذا ذهب إلى أصحابه نهاهم عن أن يقوموا إليه. ولا يقدّم يده إلى أحد ليقبّلها.

❁ وكان لا يماري أحداً، ولا يعيب أحداً، ولا يحتقر أحداً، ويعرف للناس شرفهم وأقدارهم.

❁ ولا يتتبع أخطاء الناس، وعيوبهم، وأسرارهم، ولا يأمر أحداً بأن يبحث عن خفاياهم. ولا يغتاب أحداً، ولا يأذن لأحدٍ بالغيبة.

❁ وكان يكره الكذب والكذابين، وكان صادقاً في كل أمره، ويحب الصدق في كل شيء.

❁ وكان لا يرد على من سبّه أو شتمه، ولكن يسكت ويصبر. وكانت هذه الصفة في رسول الله من أسباب إسلام عبد الله بن سلاّم ﵁ أحدِ أحبار اليهود من قبل.

❁ وكان يكره أن يُمدَح الناس عنده، ولا يحب الاستماع للمداحين.

❁ ولم يسئ إلى أي أحد أو حيوان في حياته، ولا آذاه بقول أو فعل. ولا فكّر في الانتقام من الذين أساؤوا إليه، وكان يعفو عنهم.

❁ وكان يرحم دائماً الفقراء، واليتامى، والعميان، والمنقطعين، والمحتاجين؛ ويتفحص أحوالهم. وكان يشارك الناس أفراحهم وأحزانهم.

❁ وكان شديد الرعاية لأوامر الله، يطبّقها حرفياً، ويسعى لتطبيق العدل بين الناس.

❁ وكان أول ما يراه الرائي يهابه ويخشاه، ثم إذا عرفه، أو صاحبه ووجده رحيماً، صادقاً أحبه وتعلّق به. فعن جرير بن عبد الله ﵁ قال: أُتي النبيُّ ﷺ برجل تُرْعَد فرائصُه. قال: فقال له: هَوِّن عليك؛ فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد[١]..

❁ وكان رسول الله ﷺ كريماً سخياً؛ إذا سأله أحد شيئاً أعطاه إياه ما استطاع. ويدعو فقراء إلى طعامه المتواضع، ويرسل فقراء آخرين إلى أصحابه. وكان، وهو جائعٌ في زمان القحط، يسعى إلى إطعام المساكين. ولم يقبل صدقة قط، وكان يقبل الهدية. وإذا اكتسب مالاً وزّعه على الفور على من يستحقه.

❁ وكان يحثّ الناس على العمل، وترك السؤال، والتسوّل. وكان لا يتردد في أداء ما عليه من أعمال. وإذا تفتّقت ملابسه، أو انقطعت أزراره خاطها بنفسه. وكان في بيته في خدمة أهله.

❁ وكان يزور الناس، فإذا كانت لهم شكاوى استمع إليها إلى آخرها، وسعى في حلها. وكان كثير المداعبة للأطفال؛ إذا وجد في الطريق أطفالاً لاطفهم، ومسح على رؤوسهم.

---

١ السفر،١٣/ ١-٢، ١١-١٥، ٢٢/ ٢٨-٢٩، ٣٤/ ١٩-٢٠؛ التكوين،٢٢/ ٢.

أسئلة الوحدة السادسة

أ- أجب عن الأسئلة التالية أجوبة صحيحة:

١. ما هي أنواع المزالق الأخلاقية التي نسب الأنبياء إلى الوقوع فيها في العهد القديم؟ ناقشوها في ضوء مفهوم النبوة في الإسلام.

٢. قارنوا بين مفهوم النبوة في الإسلام وبينه في النصرانية في ضوء الصفات التي يسندها الإسلام إلى الأنبياء.

٣. ما هي أهم خصائص النبي ﷺ؟ أذكروها في شكل مواد.

٤. اِشرحوا مفهوم الخطيئة الأصلية عند النصارى بمقارنتها بعقيدة المسؤولية الفردية في الإسلام.

٥. ما هي أهم قواعد الإيمان بالآخرة في الإسلام؟

ب. اختر الإجابة الصحيحة.

١. أي مما يلي لا يمكن أن يكون من خصائص أنبياء بني إسرائيل؟
أ . يتلقّون الوحي.
ب. بعث عدة أنبياء في آن واحد.
ج. لا يقترفون الذنوب.
د. إمكان كون المرأة نبية.

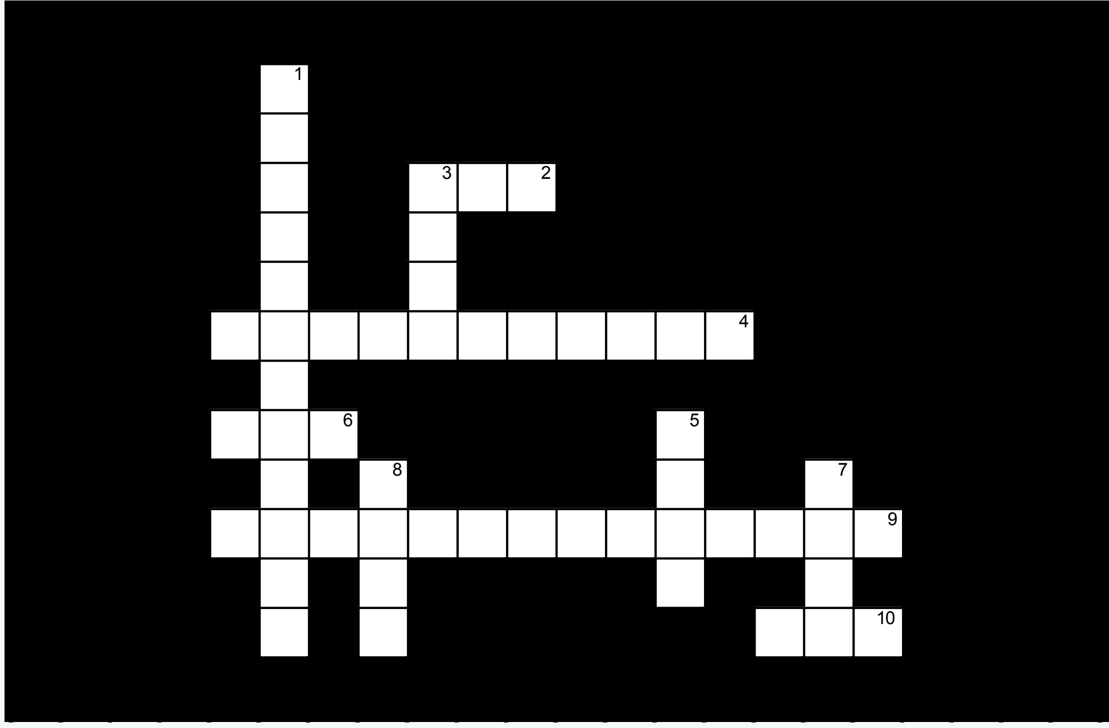
٢. أي من الأنبياء المذكورين أدناه لا يؤمن النصارى بنبوته؟
أ. موسى عليه السلام .
ب. يحيى عليه السلام .
ج. زكريا يحيى عليه السلام .
د. محمد ﷺ.

٣. أي من الخصائص المذكورة أدناه ليست من خصائص الملائكة في الإسلام؟
أ. خلقوا من نور
ب. لا ينقطعون عن العبادة .
ج. أنهم إناث وذكور.
د. لهم وظائفهم الخاصة .

٤. أيٌّ مما يلي لا يدخل في خصائص رجال الدين النصارى؟
أ . يكوِّنون طبقة الكهنة.
ب. لا يتزوجون.
ج. لهم سلطة غفران الخطايا
د. لا يتوسّطون بين الله وعباده.

٥. أيٌّ مما يلي لا يمكن أن يُعَد من خصائص الإيمان بالآخرة في الإسلام؟
أ. أن المسؤولية الفردية أساس الخلاص.
ب. وجود الثواب والعقاب.
ج. أن كل مولود يولد خاطئاً .
د. أن الشفاعة حقّ.

ج. الكلمات المتقاطعة



↓

١. هي في عقيدة الإسلام كونهم مصونين عن اقتراف الذنوب.

٣. هو في العقيدة الإسلامية النبي الذي أوتي كتاباً وشريعة جديدين.

٥. صفة منسوبة إلى عيسى عليه السلام، ويقصد بها المقدَّس والممسوح.

٧. هي في النصرانية عقيدة أن المسيح صُلب، والإشارة القدسية التي تمثّل انسفاك دم المسيح على شكل علامة زائد.

٨. الحفظ عن الوقوع الذنب.

←

٢. الإنكار والجحود. ويقال للمنكر والجاحد كافر.

٤. هي في العقيدة الإسلامية كل الأعمال الطيبة التي ترضي الله تعالى.

٦. هو في الغالب صورة منحوتة تُقَدَّس وتُجعَل موضوع عبادة.

٩. هي في العقيدة النصرانية الخطيئةُ التي طردت آدم وحواء من الجنة بسبب أكلهما من الفاكهة الممنوعة، ثم انتقال تلك الخطيئة إلى جميع المولودين من البشر.

١٠. هو الذي لم يؤت كتاباً جديداً، ولكنه يعمل بشريعة من سبقه من الرسل.



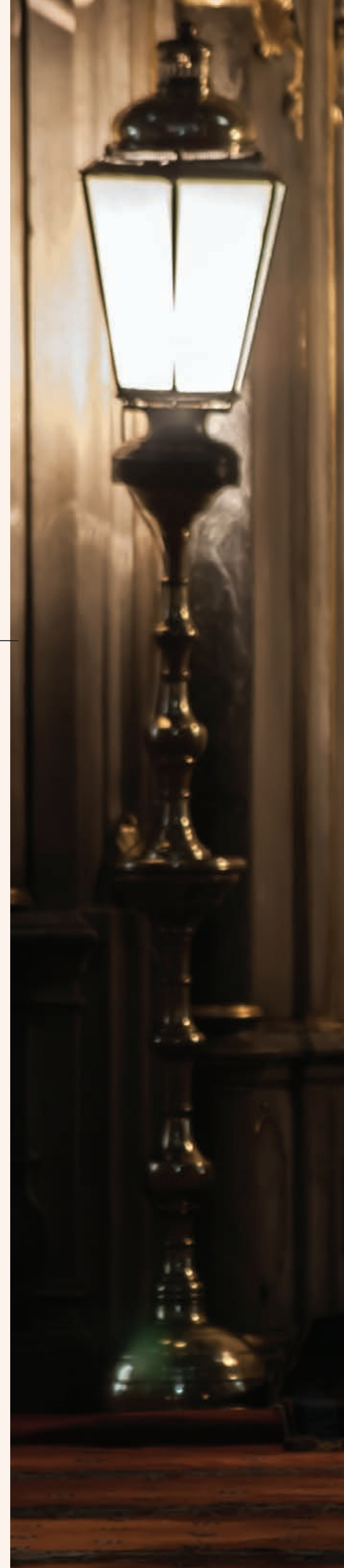


العبادة
عند اليهود والنصارى
وفي الإسلام

الموضوعـــــــات



- العبادة عند اليهود
- العبادات والطقوس الدينية عند المسيحية
- العبادات في الإسلام



العبادة في اليهودية والنصرانية والإسلام

لقد أحسّ ابن آدم منذ ولادته بخضوعه لتأثير كائن يتفوّقه وأعلى منه، وشعر بحاجته لتعظيم ذلك الكائن. فجاءت الرسالات السماوية لتنظّم حاجة الإنسان منذ بداية الخلق لعبادة كائنٍ عظيم وخالق بأشكال مختلفة. وقد نظّم الإسلام آخر الرسالات حاجة الإنسان الفطرية ورغبته للعبادة على أكمل وجه معتبراً العبادة شرطاً للعبودية.

يقول القرآن الكريم في هذه المسألة:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ١٥٣

وعلى الرغم من اختلاف أشكال العبادات في الأديان، فإنها متقاربة من بعضها من حيث الهدف.

وعند تناولنا لموضوع العبادات لاحقاً سوف نتطرّق للعبادات الأساسية في الإسلام والتي هي: مواضيع الصلاة، الصيام، الزكاة والحج . وسنحاول دراستها أثناء مقارنتها بأشكال العبادات المختلفة في الأديان الأخرى.

١ . العبادة عند اليهودية

القربان:

لقد انحصرت العبادة عند اليهود بالقربان بشكلٍ عام. تطرح عبادة القربان على أنها شكرٌ وكفارةٌ للذنب. و تؤدّى عبادة القربان عند اليهود بالذبح وأحياناً بالحرق. كما أنها تقدّم بشكل عامٍّ من البقر، الغنم، الماعز، الحَمام، القمّري وأحياناً من بعض الحيوانات البرّية. وقد ذُكر في التوراة تقديم القرابين البشرية أيضاً. ١٥٤ كما ورد في التوراة مايفيد تقديم القربان بالمولود الأول من الأولاد.

وعلى الرغم من تحريم شريعة موسى التضحية بالأولاد، فقد لوحظ استمرار البعض بهذه العادة. ١٥٥ وكانت تجري عبادة القربان عند اليهود بداية في خِيَم التجمّعات والمذابح. وفيما بعد عند هيكل سليمان. لكنها تُركت بعد خراب هيكل سليمان، وحلّ محلها الدعاء.

١٥٣ الذاريات، ٥٦.

١٥٤ اللاوين، ١٨/ ٢١؛ الملوك ١١؛ الحكماء، ١١/ ٣٠-٣١.

١٥٥ متى، ٢٦/ ٢٦-٢٩؛ مرقس، ١٤/ ٢٢-٢٥؛ لوقا، ٢٢/ ١٥-٢٠؛ يوحنا، ٦/ ١٣-١٧.

الصلاة/ الدعاء:

لايوجد في كتاب اليهود المقدس الموجود حالياً تصريحٌ واضحٌ يأمر بالصلاة. فقد بدا الاهتمام بالدعاء أولاً أكثر من الصلاة في اليهودية، واعتُبر الدعاء شكلاً من الصلاة. وأكثر ما يقرأ كدعاءٍ أجزاء معينة من كتاب المزامير من العهد القديم ـ حالياً ثمة ثلاثة أوقات للدعاء في اليوم عند اليهود، عند الصباح، وعند الظهر والمساء. كما تقام العبادات الأسبوعية يوم السبت في المعابد والكنس. وتعتمد العبادة الأسبوعية على الوصايا العشرة.

تعبّر عبادة يوم السبت في اليهودية عن خلود الرب «يهوه» الى الراحة يوم السبت الذي هو اليوم السابع من الأيام الستة التي خلق فيها الكائنات. وقد حرّم الرّب على اليهود العمل في هذا اليوم، وأخبر أنه سيُحاسِب من يعتدي على هذه الحرمة.

يتمّ الاحتفال شهرياً بعيد «روش هوداش »بمعنى الشهر الجديد، وسنوياً بعيد رأس السنة المسمّى «روش هاشانا»، وبعيد «يوم كيبور» يوما للغفران والندم، وعيد «بساه»الذي يشير إلى خروج اليهود من مصر. كما يوجد عيد «شافؤوت » الذي يرمز إلى نزول الوصايا العشر على سيدنا موسى في جبل سيناء، وعيد «سوكوت» الذي يعبر عن حياة اليهود في الصحراء بعد خروجهم من مصر. وخلال هذه الأعياد يتْلُوْن أجزاءَ من كتبهم المقدسة ويدْعُون ويترنّمون بالتراتيل.

الصيام والزكاة:

الصيام المأمور به في التوراة هو يوم كيبور الذي يحتفل به كيومٍ للغفران. يستمر هذا اليوم من غروب شمس اليوم إلى غروب شمس اليوم التالي. ويسمى هذا النوع من الصيام غير المحدّد بالنهار «بالصوم الكبير»، بينما الصيام الذي يتمّ في النهار فقط «بالصوم الصغير».

يُمنع في الصوم الكبير الأكل، الشرب، الاغتسال، التطيب، لبس الحذاء والمعاشرة الجنسية، بينما يمنع الأكل والشرب فقط في الصوم الصغير. ومع مرور الزمن تعرّضت عبادة الصوم عند اليهود إلى التغيير، ففي بعض الفترات تحوّل الصيام إلى الامتناع عن أكل اللحم وشرب الخمر، أوعلى الأقل إلى الاكتفاء بالقليل من الغذاء كنوعٍ من الحمية.

ثم إنه يجب على كل شخص في اليهودية أن يدفع عُشر المال «العشر» الذي يملكه كزكاة. أي يجب إخراج عشرة بالمئة زكاة المحاصيل الزراعية وقطيع الغنم سنوياً. ويدفع الزكاة لسلالة هرون (اللافيين)، الأيتام، المساكين، الغرباء، الأرامل ورجال الدين الذين يُدْعَون بالكهنة. كما يوصى بتقديم الصدقات في اليهودية.

الحج:

يجب الحج ثلاث مرات في العام عند اليهودية. وهو إنما يتم في أعياد اليهود مثل عيد «باسها وشافؤوت». وتأت القدس وماحولها من أضرحة رسل اليهود وكبرائهم في مقدمة أماكن الحج. ولم يؤمَر بالحج سوى الرجال.

وقد تعطلّت عباداتٌ مرتبطة بهيكل سليمان كالحج والقربان بعد خراب المعبد (٧٠ م). وهي اليوم مقتصرة على القيام بزيارة ماتبقّى من الهيكل المدمّر و(حائط المبكى) أو مايسمى (الحائط الغربي) والبكاء على الذكريات المأساوية.

وقد أصبح بامكان اليهود الحج إلى القدس حين فتحها صلاح الدين الأيوبي بعد أن مُنِعوا من الذهاب إلى القدس زمن المسيحيين. وقد استطاع كثيرٌ من اليهود الذين طردوا من إسبانية عام ١٤٩٢ ولجؤوا إلى الدولة العثمانية من زيارة القدس.

المعبد عند اليهود:

لقد كان للمعبد مكانة هامة في التاريخ اليهودي، وهو مكان العبادة عند اليهود.

تعرّض هيكل سليمان الذي يعتبر من أقدس أماكن العبادة عند اليهود إلى الخراب أثناء النفي إلى بابل، وأعيد بناؤه عند العودة من المنفى. غير أنه تم خرابه بالكامل بعد النفي الثاني (٧٠م) ولم يتم بناؤه من جديد. ولازال اليهود يعيشون على أمل بناء هذا الهيكل من جديد. وهم يخططون لهدم المسجد الأقصى عند المسلمين لتحقيق حلمهم هذا في بناء هيكلهم مكانه.

يؤدي اليهود عباداتهم اليوم في الأماكن التي تسمى سيناغوغ أو حورا. وعلى اعتبار إسرائيل دولة دينية فإنه يتم اليوم بناء المعابد في المشافي والجامعات.

٢. العبادات والطقوس الدينية عند المسيحية

أ- الطقوس الدينية:

تسمى العبادات في المسيحية ب «الطقوس» أو « الأسرار».

ويبلغ عدد هذه الطقوس التي يُعتَقد أنها من تعاليم سيدنا عيسى هي سبعة. وهذه الطقوس هي: التعميد، القربان، الاعتراف بالخطايا، التعزيز، الزواج، تقديس الراهب والزيت المقدّس. كل المسيحيين ملْزمون باتباع هذه الطقوس، غير أن البروتستانت يعترفون باثنتين فقط من بين هذه الطقوس، التعميد والقربان. وهنا سنكتفي بشرح ثلاثة من أهم تلك الطقوس.

التعميد:

تتم عملية التعميد بإدخال الشخص في الماء أو برشّ الماء عليه في الكنيسة. ويشترط التعميد لاعتناق المسيحية. كما يلزم التعميد للانتقال من كنيسة إلى أخرى. يتم القيام بطقوس التعميد باسم الأب، الابن وروح القدس. ويعتقد بالتعميد الاشتراك المعنوي في جسد عيسى، والتطهّر من الخطيئة الأولى. كما يعتقد أن وفاة الشخص قبل تعميده يجعله ميتاً مخطئاً.

القربان المقدس (طقوس الخبز والنبيذ):

يتم القيام بالقربان المقدس يوم الأحد في الكنيسة. يقدم البابا الخبز المغمّس بالخمر لرواد الكنيسة.

يشير الخمر هنا إلى دم السيد المسيح، والخبز إلى لحمه. يعتقد المسيحيون أنهم بفعلتهم هذا يتكاملون مع السيد المسيح.

يمثل هذا الفعل العشاء الأخير الذي تناوله السيد المسيح مع حواريّيه قبل صلبه.

يبين العهد الجديد أن السيد المسيح قد غمس الخبز بالخمر قبل صلبه وقدّمه لحوارييه مبيناً لهم أن الخبز يمثّل لحمه والخمر دمه. [١٥٦]

إخراج الذنوب:

تمتلك الكنيسة صلاحية العفو عن الذنوب باعتبارها السلطة الأكبر عند المسيحية. وتوضح الأناجيل أن هذه الصلاحية قد منحها السيد المسيح عيسى للبابوات.[١٥٧] . يعتقد أن الرّب يسامح الشخص باعترافه بذنبه وقبول البابا بهذا الاعتراف. يجب على الذين يقترفون السيئات أن يعترفوا أمام البابا وينوبوا مرة على الأقل في حياتهم. غير أن المسيحيون البروتستانت لا يقبلون بذلك.

ب- العبادات الأخرى:

توجد عن المسيحية عبادات أخرى غير الطقوس الأساسية السبعة التي تم ذكرها. تتألف هذه الطقوس اليومية، الأسبوعية، السنوية من أعمال مثل الأعياد والصوم والحج.

الدعاء والطقوس الدينية:

لايحتوي الكتاب المقدس عند المسيحية أية عبادة أمرَ بها السيد المسيح. تم إقرار الدعاء والطقوس الدينية في مجمع الإيزنيك عام ٣٢٥.

---

١٥٦ متى، ٢٦/ ٢٦-٢٩؛ مركوس، ١٤/ ٢٢-٢٥؛ لوكا، ٢٢/ ١٥-٢٠؛ يوحنا، ٦/ ١٣-١٧.

١٥٧ يوحنا، ٢٠/ ٢١-٢٣.

لقد قامت المذاهب المختلفة وعلى رأسها الكاثوليك والبروتستانت خلال الفترات المختلفة من التاريخ المسيحي بتغييرات في موضوع الطقوس الدينية. يمكن أداء الطقوس الدينية بشكل فردي مثلما يمكن أداؤها جماعياً في الكنيسة.

يعتبر «دعاء بتر» المنسوب للمسيح هاماً عند المسيحية. حيث يشكر الرب بهذا الدعاء ويرجى منه العون.

تنقسم العبادات في المسيحية إلى ثلاثة: يومية، أسبوعية وسنوية.

الطقوس اليومية:

تنفّذ مرتين يومياً صباحاً ومساءً، ليست إلزامية، يتم القيام بها غالباً من قبل البابا حيث يتلو أجزاء من الإنجيل. يمكن القيام بها في الكنيسة أو بشكل فردي.

الطقوس الأسبوعية:

يتم تحقيق ذلك في الكنيسة مرتين صباحاً ومساء أيام الأحد.

إن يوم الأحد يومٌ هام عند المسيحيين لكونه يمثّل اليوم الذي قام فيه المسيح بعد صلبه.

تجب المشاركة في طقوس الأحد عند الكاثوليك، ولا تجب عند غيرها. كما يتم أداء طقوس القربان المقدس «الخبز والخمر» في الكنيسة يوم الأحد.

الطقوس السنوية:

أهم الطقوس السنوية هي الطقوس التي يتم أداؤها في عيد الميلاد احتفالاً بذكرى ميلاد السيد المسيح.

تزيّن أشجار الصنوبر في أسبوع الميلاد، ويذبح الديك الرومي، ويقوم بابا نويل الذي يمثل رجل الدين المسيحي القديس نيقولاس بتوزيع الهدايا للأطفال.

وبسبب عدم دقة تاريخ ميلاد السيد المسيح، يحتفل الكاثوليك بالميلاد في ٢٤-٢٥ كانون الأول، بينما يحتفل بعض الكنائس الشرقية كالكنيسة الأرمنية في ٦ كانون الثاني.

ولا يحتفل بعض البروتستانت بالميلاد لأنه لم يذكر هذا التاريخ بشكل قاطع في النصوص المقدسة.



طقس ديني آخر من الطقوس السنوية الهامة هي المراسيم الدينية التي تجري في عيد الفصح. والفصح هو عيد يحتفل فيه لإحياء ذكرى قيامة السيد المسيح مرة أخرى بعد ثلاثة أيام من صلبه. وعادة يحتفل بهذا العيد في يوم أحدٍ أواسط فصل الربيع ويستمر أسبوعاً. تتلى في العيد من الإنجيل تلك الفقرات التي تذكّر المآسي التي عاشها المسيح.

عيد الصليب:

ويعتبر عيد الصليب طقسٌ هام آخر من الطقوس الدينية. يتم الاحتفال به عادةً في أواسط أيلول. للصليب أهمية كبيرة في المسيحية. فقد تمّ صلب السيد المسيح على صليبٍ من الخشب، فسال دمه على هذا الصليب، وبذلك اعتُبر الصليب مقدساً.

يعلو الصليبُ الكنائسَ و الأضرحة وأماكن تقديم القرابين. كما يحمله الأشخاص المتدينون. وقد سميت تلك الحروب التي تعرَف في التاريخ بالحملات الصليبية باسم «الحملات الصليبية». لأن لباس الجنود وأسلحتهم كانت تحمل إشارات الصليب وقد حاربوا باسم الأماكن المقدسة.

الصوم:

الصوم في المسيحية أربعون يوماً. يتم الصيام الذي يسمى «جرم» بشكل مرنٍ، ويحمل نوعاً ما معنى الحمية.

يمكن خلال الصيام تناول ثلثي مقدار الطعام اليومي. يمنع تناول اللحم عدا السمك. يتم تأدية الصيام من قبل كل شخص حسب وضعه. فالبعض يقلّل من تناول الخمر والتدخين، والبعض الآخر يؤدي واجباته بشكل أفضل، وقسم منهم يعبر عن صيامه باحترام الآخرين ومساعدة المحتاجين.

الحج:

يتم أداء الحج في المسيحية بزيارة الأماكن المتعلقة بذكريات السيد المسيح وأضرحة القديسين المسيحيين.

كما ويعتبر كلٌّ من بيت لحم مكان ولادة السيد السيح والقدس وما حوله حيث عاش فيه أكبر أماكن الحج. و تعتبر روما من أماكن الحج الهامة حيث أن فيها أضرحة قديسين مثل الحواريين بطرس وبولس.

لا يمكن ملاحظة وجود زكاة مفروضة بشكل صريحٍ وواضح عند المسيحين أيضاً كما عند اليهود اليوم.

وبنفس الشكل لايوجد دليلٌ ولا شرح كاف في موضوع عبادة القربان في المسيحية أيضاً. إنهم يعتقدو أن السيد المسيح ابن الرب المصلوب قد كان قرباناً من أجل الإنسانية جمعاء.

المعبد في المسيحية

لم توجد معابد في الفترة الأولى من المسيحية. فقد كان السيد المسيح والذين آمنوا معه في البداية يؤدّون العبادات في معابد اليهود. وبدأ بناء الكنائس فيما بعد حين بدأ افتراق المسيحية عن اليهودية وانتشارها بين الأطياف الواسعة من الناس . وتدعى الكنيسة ببيت الربّ وتحمل أهمية كبرى في المسيحية.

وكما أن الكنيسة في المسيحية تعني مكان العبادة، فإنها في الوقت نفسه مؤسسة تمثّل رجال الدين المسيحيين الذين يدعون « بالرهبان».

وتُعتبر الكنيسة أي « رجل الدين» الممثّل الروحي للسيد المسيح. لهذا السبب فإن أقوال الكنيسة ورجال الدين الموظّفين ملزِمة.

ولكل من مذاهب الكاثوليك، والبروتستانت والأرثوذوكس كنائس خاصة بهم.

إن هذه الكنائس قد كانت خالية من الصور والتماثيل «أيقونات» في الفترة الأولى، ثم زيّنت فيها بعد بالصلبان و تماثيل العذراء والمسيح وصور الملائكة والقديسين، وتصاميم خيالية عن الأب الربّ وروح القدس. وقد عارض المذهب البروتوستانتي تلك النوع من الصور.

٣. العبادة في الاسلام

تكون العبادة في الإسلام فقط لله تعالى. حيث يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [١٥٨]

إن الله تعالى ليس بحاجة إلى عبادة الخلق له، لكن الخلق بحاجة إلى عبادة الله تعالى.

إن العبادة هي الوسيلة الأسمى التي تقرّب العبد من الله ﷻ. العبادة تسمو بالروح، وتمحو أوساخ ذنوب الشخص وتسمو بأخلاقه إلى الكمال.

توجد في الإسلام عبادات جسدية فقط مثل إقامة الصلاة والصيام، وعباداتٌ تؤدّى بالمال فقط كإيتاء الزكاة والتضحية، وعباداتٌ يشترك فيها المال والجسد مثل الحجّ.

أ- الصلاة والدعاء:

لقد فُرضت على المسلمين جميعاً خمسُ صلوات في ليلة المعراج، وهي الركن الأهم في الإسلام بعد كلمة الشهادة.

وتُعتبر الصلاة «معراج المؤمن» لأنها الوسيلة الأهمّ لتقرّب العبد من الله ﷻ.

وميّز السجود بأنه، قال رسول الله ﷺ:

«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ ﷻ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ». [١٥٩]

---

١٥٨ الذاريات، ٥٦.

١٥٩ مسلم، الصلاة، ٢١٥ / ٤٨٢، النسائي، الصلاة ١٦٦/ ١١٣٧.

إن ترك الصلاة ذنب كبير. وقد أخبر الرسول ﷺ بأن أول عمل يسأل عنه يوم القيامة هو الصلاة.قال رسول الله ﷺ:

«أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ...» [١٦٠]

الصلاةُ وسيلةٌ للتطهير المادي والمعنوي. يتم تطهير الجسم من الأدران المادية من أجل إقاة الصلاة، سواء بالاغتسال أو الوضوء. كما يجب لإقامة الصلاة أن يكون اللباس ومكان إقامة الصلاة طاهرين.

أما من الناحية المعنوية، فإن الصلاة سبيلٌ لمحو الذنوب. ومن حيث الأساس فإنها تمنع صاحبها من اقتراف الذنوب. يقول الله تعالى:

﴿ اُتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيكَ مِنْ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُوْنَ﴾ [١٦١]

إن جوهر الصلاة تكمن في الطمأنية وخشوع القلب، لذا يقول الله تعالى:

﴿...وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [١٦٢]

ويطلب أن تكون الصلاة في أجمل صورتها، متحدثا عن الذين يراؤون الناس في صلاتهم ولا يؤدونها بحقها:

﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّيْنَ. الَّذِين هُم عَن صَلَاتِهِم سَاهُون. الَّذِيْنَ هُمْ يُرَاؤُنَ. وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [١٦٣]

توجد في الإسلام إلى جانب الصلوات المفروضة كالصلوات الخمس وصلاة الجمعة صلواتٌ واجبة ومسنونة.

وقد أخبرنا القرأن بأن الصلاة قد فرضت على الأمم السابقة.[١٦٤]

يقول الله تعالى في القرآن الكريم مخبرا أن الصلاة كانت مفروضة على اليهود:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلا قَلِيلا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [١٦٥]

---

١٦٠ الطبراني، المعجم الأوسط، جـ ٧، ص ٣١٨/ ٧٦١٢.
١٦١ العنكبوت، ٤٥.
١٦٢ طه، ١٤.
١٦٣ الماعون، ٤–٧.
١٦٤ انظر: آل عمران، ٤٣؛ الأنبياء، ٧٣.
١٦٥ البقرة، ٨٣.

وفي آية أخرى يخبرعن سيدنا عيسى عليه السلام:

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [١٦٦]

والجدير بالذّكر أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقيم الصلاة مرتين في اليوم، في الصباح وعند المساء بشكل دائم، وذلك قبل هذا الإجراء (قبل أن تفرض الصلوات الخمس).

وكما ورد في الآيات السابقة فقد كانت الصلاة مفروضة على اليهود والمسيحيين، غير أن هؤلاء قد تركوا تلك العبادة أو غيّروها عبر الزمن. لايوجد حكم واضح يتعلق بشأن الصلاة في اليهودية هذا اليوم. لهذا السبب لايمكن التوصل إلى نتيجة صريحة وواضحة بموضوع الصلاة التي يؤديها اليهود. لقد فضل الدعاء أكثر من الصلاة عند اليهود حالياً، وقصد بالدعاء الصلاة نوعاً ما. وأكثر ما يتلى كأدعيةٍ أجزاءٌ معلومة من كتاب المزامير من العهد القديم.

لاتحتوي الأناجيل الموجودة أية إجراءاتٍ عبادية أمر بها السيد المسيح، لكن الكتب المقدسة قد أوصت بالدعاء القلبي إلى الرب بواسطة المسيح. ولايوجد في اليهودية والمسيحية مفهوم شاملٌ للصلاة كماهو في الإسلام. لهذا السبب تختلف الصلاة في الإسلام تماماً عن العبادات في الأديان الأخرى. وفي هذا المجال تعتبر الصلاة عبادة تخصّ الإسلام الذي هو آخر الرسالات.

يقول الله تعالى:

﴿...إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ كِتَاباً مَوْقُوْتاً﴾ [١٦٧]

إذاً فإن مفهوم الوقت لم يكن واضحاً ومنظّماً في أي دين من الأديان كماهو في الإسلام.

إن المؤمن الذي يقف بين يدي ربه في الصلاة خمس مرات في اليوم، سيحاسبه الله عن الوقت بين الصلاتين.

إن تكرار الصلاة بهذا الشكل وفي توقيتات معينة من الزمن يوفر للمؤمن انضباطاً روحياً، ويجعله مضطراً كي يتهيّئ للصلاة القادمة روحياً وجسدياً.

للدعاء في الإسلام أهمية كبيرة إلى جانب الصلاة. الدعاء، شعور الإنسان بعجزه أمام الله تعالى راجياً منه المساعدة واللطف، ابتهاله إلى الله طالبا منه الفضل والإحسان دوماً.

بيّن الرسول ﷺ أن الدعاء مخّ العبادة. وأن الله تعالى سيجيب دعوة العبد الخالصة، وقد حثّهم على الدعاء له في كل الأحوال.

---

١٦٦ مريم، ٣١.

١٦٧ النساء، ١٠٣.

وهذه آيات تشير إلى الدعاء:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[١٦٨]

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[١٦٩]

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[١٧٠]

لايوجد في الإسلام وقت ولا مكان معينٌ للدعاء، حيث يمكن للعبد أن يمدّ يده لربه متى شاء ويطلب منه كل ما يريد. ومع ذلك هناك أوقاتٌ مخصوصة ٌيفضّل الدعاء فيه. فمثلاً يستحبّ الدعاء في الأسحار، بين الأذان والإقامة، للصائم، وفي الأيام والأوقات الفاضلة.

ب- الصيام:

الصيام هو إحدى العبادات المفروضة في الإسلام. الصيام هو الإمساك عن الأكل والشرب والمعاشرة الجنسية من طلوع الفجر حتى غياب الشمس كل يوم خلال شهر رمضان. يذكر القرآن الكريم فرضية الصيام في الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١٧١]

للصيام فوائد مادية ومعنوية، في الحياة الفردية والإجتماعية. تبين الإحصائيات أن نسبة الجرائم تنخفض انخفاضاً كبيراً في البلدان الإسلامية خلال شهر رمضان. حيث أنّ الصيام يقوم مقام درعٍ يحمي الناس من الوقوع في السيئات كما ورد ذلك في الأحاديث.[١٧٢]

يوجد في الإسلام أيضاً صوم النافلة والسنة غير صوم الفريضة في رمضان، وهو صيام يؤدى في أيام أخرى معلومة.

---

١٦٨ غافر (المؤمن)، ٦٠.
١٦٩ البقرة، ١٨٦.
١٧٠ الفرقان، ٧٧.
١٧١ البقرة، ١٨٣-١٨٤.
١٧٢ البخاري، الصوم ٩؛ مسلم، الصيام ٣٠.

يخبر القرآن في الآية السابقة أن الله تعالى قد فُرض الصيام على المسلمين كما فرضها على المؤمنين من قبلهم.

غير أن تلك الرسالات قد ابتعدت عن الصيام الصحيح، وخلطت عاداتهم وتقاليدهم بالصيام مع مرور الزمن.

فمثلاً على الرغم من العلم بأن سيدنا موسى وعيسى قد صاما ٤٠ يوماً فإنه لا يلاحظ أي صيام مثل ذلك في اليهودية والمسيحية اليوم. هذا وإن كانت هناك حمية ٤٠ يوماً قبل عيد الفصح[١٧٣] عند المسيحية، فإنها غير واجبة، وهي عبارة عن إجراء أقرب ما يكون إلى شكل من الحمية.

الصوم في اليهودية أخذ شكل إذلال النفس وإيذاءها. غيرأنه يبين أن الصائم سواء أكان مسافراً أو مقيماً لا يسمح له أن يفعل شيئاً.

اعتبر الصوم في اليهودية كذكرى للمأتم والكوارث التاريخية، وقد تم إقراره في أجواء مظلمة وسيئة. فقد أمضى اليهود أسوأ أيامهم بالصيام، مثال ذلك الصيام الذي يؤدى في ذكرى سقوط القدس في أيدي المحتلين وخراب الهيكل. بينما يعتبر الصيام في الإسلام فترة من الزمن يسودها التفاؤل وينزل فيها النور والسعادة والبركة وينتهي بعيدٍ سعيدٍ يبتهج فيه جميع المؤمنين.

لا يعتبر الصيام في المسيحية عبادة مفروضة، بل على الأغلب إجراءا على شكل نوع من الحمية يتم فيها تخفيف تناول بعض الأطعمة والمأكولات. فبينما بعضهم يصوم ممتنعاً عن البيض والفاكهة، يكتفي البعض الآخر بتناول الخبز اليابس، وبعضهم يصوم ممتنعاً عن الأغذية الحيوانية ويتناول الأغذية النباتية. كان الصيام في البداية يعتبر عبادة صعبة، فقامت الكنيسة بتخفيفها وتقليلها مع مرور الزمن. كما أن هناك اختلافاًبين المذاهب المسيحية حول صورة الصيام وتوقيته. فصيام ٤٠ يوماً الذي يسبق عيد الفصح مثلا ً، تعتمده الكنائس الأرمنية والأرثوذوكسية على أنه ٥٠ يوماً، في حين تنكر الكنيسة البروتستانتية الصيام بمجمله.

إن توقيت وشروط وأحكام الصيام في الإسلام واضحة وصريحة بالقياس مع الديانات الأخرى.

على النقيض من الكنيسة. لاتملك أية مؤسسة أو جماعة في الإسلام سلطة تغييرأحكام الصيام (ونظام الإسلام عموماً)، هيأته وتوقيته.

لقد ثبتت فرضية الصيام بالكتاب والسنة.

إن بداية الصوم ونهايته غير واضحة في الأديان المختلفة عن الإسلام. ولم يتم التعامل مع الصوم كنظام عبادي يجمع حول أحكامه كل الناس.

---

١٧٣ اللاّويين، ١٦/ ٢٩-٣١؛ الأعداد، ٢٩/ ٧.

لقد ضبط الإسلام الصيام بنظامٍ وقواعد أبعده من تبديل الناس له حسب أهوائهم. ووضعه بالشكل الأنسب للفطرة، ونظمه من جديد كعبادة تعود بخير أكبر للفرد والمجتمع مادياً ومعنوياً.

لقد أزال الإسلام كل الأحكام والقيود غير اللازمة في الصيام وأخرجه من دائرة معاقبة النفس وتعذيبها. وجعلها عبادة تقرب من الله ﷻ.

فرض الإسلام الصيام على كل بالغ عاقل، واستثنى منهم المريض والمسافر. وكذلك سمح الإسلام باستراحة الصائم عند الضرورة، إلى جانب ذلك سمح للمرء بتنفيذ واجباته اليومية.

ج- الزكاة:

الزكاة إحدى الفرائض الهامة في الإسلام، وهي عبادة تؤدّى بالمال.

الزكاة: هي تقديم جزء معلوم من المال، وبشروط محدّدة، للفقراء والمحتاجين. الزكاة عبادة يتوجب أداؤها على الغنيّ مرة في العام، وليست مساعدة يترك أداؤها حسب رغبة كل شخص.

ليس للغني فضلٌ على الفقير في الزكاة التي يؤدّيها، بل إن الزكاة حقٌّ طبيعيٌّ للفقير. يقول الله تعالى في هذا المجال:

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [١٧٤]

إنما الزكاة مؤسسة اجتماعية لتقديم المساعدات. تعالج الزكاة والأشكال الأخرى للمساعدات اختلال التوازن الاجتماعي الناجم عن الفارق المادي بين الغني والفقير ويبعث الطمأنينة في المجتمع.

معنى الزكاة في اللغة الطهارة. فهي كما تطهّر مال الغني فإنها تطهّر قلبه من البخل، وتكون سبب في محوِ خطاياه، وترسخ عنده مفهوم المساعدة والعطاء. يقول الله تعالى في القرآن الكريم مبينا أنه سيعوّض له ما ينفق في سبيله:

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [١٧٥]

يعتبر الإسلام المجتمع كتلةً متكاملة. في هذه الكتلة المتكاملة يجب على الغنيّ أن يعتني ويتذكّر الفقير، وأن يساعده، ويشاطره آلامه.

في مقابل ذلك على الفقير أن يدعو بالخير للغني، وبأن يزيد ويبارك عدد محبّي الخير المسلمين، ويسأل الرزق الحلال الواسع، ويدعو أن يُحفظ من الضرر والخسران. وهكذا تزداد رابطة الأخوة والإنسجام والتعارف قوة بين أعضاء المجتمع.

---

١٧٤ الذاريات، ١٩.

١٧٥ سبأ، ٣٩.

يتم أداء الزكاة في الإسلام بنسبة ٥ ,٢٪ «١/ ٤٠» عن الأموال التي تمضي عليها عام، باستثاء الأموال الثابتة الضرورية كالمسكن والسيارة.

في اليهودية اليوم، مع عدم وجود زكاة تؤدى تشبه تماما الزكاة في الإسلام، فإن فيها مسؤولية مالية تشبه الزكاة.

في اليهودية يتم تقديم جزء من المال المتداول به إلى البيت المقدس ولرعاية الضيوف الواردين لزيارته، وجزء منه لسلالة هارون (أي إلى اللّوريين)، وجزء منه لرجال الدين.

يخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم أنه قد أخذ من اليهود الميثاق لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، لكن أكثرهم قد نقض ذلك العهد. [١٧٦]

حسب المصادر الإسلامية، عندما أخبر اليهود زمن الرسول ﷺ بوجوب أدائهم الزكاة والصدقات، أسندوا الفقر إلى الله وزعموا أنه يطلب أداء الزكاة قهراً، ﴿...إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ...﴾ [١٧٧].

وزعموا بخل الله تعالى قائلين: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [١٧٨]

تخبر نهاية الآية الأولى بأن اليهود قد استحقوا العذاب بهذا الذي أسندوه إلى الله.

لا توجد في المسيحية عبادة واجبة تشبه الزكاة في الإسلام، لكن هناك بعض التوصيات لاتتجاوز كونها توجيهات أخلاقية وروحية في الطابع العام. ولايوجد بيان يدل على من يجب عليه أن يدفع ولا المال والقيمة التي سيدفعها.

في حين يبين القرآن الكريم والحديث وكتب الفقه بشكل واضح النسبة في أداء الزكاة، وإلى من تدفع، وأي المال تدفع الزكاة عنه.

يذكر القرآن الكريم في بيانه لحقيقة الأحكام التي فرضت على اليهود والنصارى ويقول للمسلمين بهذا الخصوص:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [١٧٩]



١٧٦ البقرة، ٨٣.
١٧٧ آل عمران، ١٨١.
١٧٨ المائدة، ٦٤.
١٧٩ التوبة، ٣٤.

د- الحجّ:

الحج في الإسلام عبادة يتم فيها زيارة الكعبة في مدينة مكة في وقت محدد، والوقوف على عرفات فترة ولبس اللباس الذي يدعى بالإحرام. لقد فرض الحج على المسلمين الأغنياء مرة واحدة في العمر بالآية:

﴿...وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اِسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً..﴾.[١٨٠]

غير أنه يمكن للقادر من المسلمين أن يحج بعد الفريضة نافلة عدد ماشاء من المرات.

مكان الحج في الإسلام مدينة مكة، والمكان التي يقصد في للحج بيت الله ﷻ «**الكعبة**».

تحمل مدينة مكة ذكريات سيدنا إبراهيم ﵇ الذي تؤمن به كل الديانات السماوية الثلاثة، وتوجد أماكن أخرى مقدسة عند المسلمين غير هذا يمكن زيارتها مثل المدينة المنورة والقدس في فلسطين.

تتم زيارة قبر النبي ﷺ في الروضة المطهرة. بينما تتم زيارة المسجد الأقصى في القدس أُولى القبلتين عند المسلمين والمكان الذي صعد منها الرسول ﷺ إلى المعراج في القدس. غير أن زيارة هذه الأماكن ليست من واجبات الحج.

إن المعنى الأهم للحج هو تذكيره بالمحشر، والبعث في الآخرة. بمعنى آخر، اجتماع المسلمين سويا للعبادة، على اختلاف ألسنتهم، أعراقهم، مناطقهم وثقافتهم، أوضاعهم الاجتماعية وحالتهم الاقتصادية، على قدم المساواة، لابسين لباساً بلون واحد «**الإحرام**»، يذكّر بشكلٍ ما الاجتماع في الآخرة لتقديم الحساب أمام الله ﷻ.

إن وحدة اللباس يمثل المساوة بينهم وإزالة الفوارق الدنيوية والأنانيات والمطامح فيما بينهم. وهي تذكّر المسلمين بالموت والآخرة قبل وفاتهم.

يساهم الحج لتشكيل روح التضامن بين المسلمين الذين يتوافدون من الجهات الأربعة من العالم.

يحمل الحج بنفس الوقت نموذج معرض دولي، يمكن فيه تبادل الثقافات والمعلومات بين المسلمين. إنه على شكل مؤتمر سنوي يمكن أن يتداول فيها المسلمون مشاكلهم ومتاعبهم، يمكن تقديم الحلول لمشاكلهم، ويمكن أن يتم فيها تقديم وتنفيذ مشروعات جديدة، حيث لايمكن أن يوجد أي تنظيم آخر في أي مكان وأي دين في العالم، لديه القدرة أن يجمع ملايين الناس بقصد العبادة في نفس الوقت والزمان في كل سنة.

لقد انحرف اليهود والنصارى في الحج وفي زياراتهم المقدسة. أدى ذلك إلى تطرّفهم في التقديس والتعظيم إلى وقوعهم في الشرك.

---

١٨٠ آل عمران، ٩٧.

لقد رفض الرسول ﷺ مثل تلك التصرفات المتطرفة وأخبر بأن أولئك اتخذوا قبور أنبيائهم ورهبانهم معابد، ومنع بشكل قاطع أن يتخذوا قبره مسجدا.

فقد قال قبل وفاته بوقت قصير:

«... أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» [١٨١]

وقال في حديث آخر:

«لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» [١٨٢]

هـ- الأضحية:

الأضحية في الإسلام عبادة يتم فيها ذبح حيوان ذو شروط معينة حسب الأصول وفي وقت معين بقصد التعبد إرضاء لله تعالى.

أخبر الله تعالى أنه قد كتب الأضحية على كل الأمم فقال:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [١٨٣]

ويوضح الرسول ﷺ أهمية الأضحية قائلا:

«مَنْ وَجَدَ سَعَةً فَلَمْ يُضَحِّ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا» [١٨٤]

الأضحية عبادة واجبة على من ملك نصيباً معلوماً من المال من المسلمين.

يمكن التضحية في الإسلام بالغنم، الماعز، البقرة، الجاموس والجمل. ولكل واحدة من هذه الحيوانات شروط خاصة بها.

إن الأضحية عبادة هامة يبعث في المجتمع المسلم روح الأخوة والتعاون. إن التضحية وبشكل خاص قرب الأماكن التي يتواجد فيها الفقراء الذين لا يستطيعون شراء اللحم، واجب اجتماعي هام.

---

١٨١ مسلم، المساجد، ٢٣/ ٥٣٢

١٨٢ البخاري، الجنائز، ٣٥/ ١٣٩٠.

١٨٣ الحج، ٣٤.

١٨٤ أحمد، مسند، جـ ١٤، ص ٢٤/ ٨٢٧٣.

إن المسلم الذي يقدم الأضحية لهو مثل سيدنا إبراهيم عليه السلام يظهر مدى علاقته بالله وتمسكّه الشديد بأوامره، وأنه مستعد لكل أنواع التضحية إرضاءً لله تعالى.

إن النية والإخلاص هي الغاية الأساسية في الأضحية كما في بقية العبادات. حيث ورد في القرآن الكريم:

﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُم﴾ [١٨٥]

لقد وجدت عبادة الأضحية في كل الأديان السابقة تقريباً عبر تاريخ البشرية. لكن مع وجود الفروقات في كل دين سواء في حيوان الأضحية أو كيفية التضحية والهدف منها.

توجد لدى اليهودية والمسيحية، هاتين الديانتين الكبيرتين غير الإسلام، مفهوم وإجراءات مختلفة في عبادة الأضحية.

يمكن الحديث عن التضحية بالإنسان في اليهودية.[١٨٦]

وعلى الرغم من أن شريعة موسى قد منعت التضحية بالأولاد غير أنه لوحظ استمرار بعضهم بهذه العادة.[١٨٧] وقد أهملت عبادة الأضحية في أعقاب خراب هيكل سليمان في القدس بعد سيدنا موسى عليه السلام، وحلّ محلها التعبد بالدعاء.

منَحَ صلب السيد المسيح معنىً مختلفا للتضحية في المسيحية. حيث يعتقد أن الأب عندما سمح بقتل المسيح بصلبه على خشبة الصليب فإنه قد ضحّى به فداء عن الخطايا التي حملها بن آدم منذ ولادته. هذا الاعتقاد عند المسيحية يوحي للعقل إمكانية التضحية بالإنسان لأجل الإنسان.

- **المعبد في الإسلام (المسجد- الجامع):**

يسمّى مكان العبادة في الإسلام بالمسجد أو الجامع. يخبر القرآن الكريم أن أول بيت وضع للناس للعبادة هو الكعبة في مكة:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [١٨٨]

لقد تم بناء الكعبة أول مرة من قبل سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل. يقول الله تعالى في هذا الخصوص:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [١٨٩]

---

١٨٥ الحج، ٣٧.

١٨٦ الخروج، ١٣/ ١-٢، ٢٢/ ٢٨-٢٩، ٣٤/ ١٩-٢٠؛ التكوين، ٢٢/ ٢.

١٨٧ اللوريين، ١٨/ ٢١؛ الملوك٢، ١٦/ ٣؛ الحكماء، ١١/ ٣٠-٣١.

١٨٨ آل عمران، ٩٦.

١٨٩ البقرة، ١٢٧.

هناك مسجدان آخران أيضاً في الإسلام، يفضّلان عن بقية المساجد غير الكعبة . هذان المسجدان هما المسجد الأقصى الذي بُني مكان هيكل سليمان والذي صعد منه الرسول إلى المعراج، والمسجد النبوي الذي فيه قبر سيدنا محمد ﷺ. لا تجوز العبادة في المساجد إلا لله ﷻ لأنها بمثابة أفرع للكعبة رمز عقيدة التوحيد.

لقد أخبر الرسول ﷺ أنَّ أحبَّ الأمكنةِ إلى الله المساجدُ التي يُتَعَبَّد الله ﷻ فيها ويُذكَر فيها اسمه.[١٩٠]

كما يعلمنا الرسول ﷺ أيضاً أنْ لا حدود مقيدة لأماكن العبادة في الإسلام قائلاً:

«...وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا...» [١٩١]

لذلك يمكن للمسلم أن يقيم الصلاة في أي مكان طاهر في الكروم، البساتين، أماكن العمل والبيوت.

إن دور المساجد الأساسي كونها مكان العبادة الجماعية. إضافة إلى ذلك فقد استخدمت المساجد في عهد الرسول ﷺ كمراكز للتدريب والتعلم وأماكن يتم فيها تنفيذ أنشطة كثيرة تتعلق بإدارة الدولة.

من هذا الجانب كان للمساجد عبر التاريخ دور كبير تتعلق بالأنشطة العلمية، القضائية، العسكرية، الإدارية، الجتماعية والثقافية.

الجدير بالذكر أن الناس الذي يبنون المساجد سيثابون بينما سيعاقب الذين يخرّبونها ويمنعون العبادة فيها. يقول الله تعالى في هذا الصدد:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [١٩٢]

يعتبر المعبد في اليهودية مكان اجتماع وعبادة جماعية، ولا يوجد نظام يضبط العبادة التي تتم في المعبد كماهو في الإسلام.

بينما الكنيسة في المسيحية مكانٌ للدعاء بشكل جماعي، والقيام بأعمال جماعية روتينية معروفة مثل الاعتراف بالخطايا بين يدي البابا.

ثم إنه تنتشر في الكنائس تماثيل السيد المسيح ومريم، وصلبان وصور تعود للملائكة والقديسين، يقومون بتقديسها. لكن الكنائس البروتستانتية خاليةٌ من ذلك.

يُكره في الإسلام وضع لوحاتٍ في المساجد، أو نحتُ تماثيلَ على جدرانها لأنها تذكّر السجود للأصنام، ولم يلاحظ أي فعل مثل ذلك عبر التاريخ. وباعتبار أن المساجد أمكنة مقدسة يتعبّد فيها المسلمون بقلوب

١٩٠ مسلم، المساجد، ٥٢.
١٩١ البخاري، التيمم، ١/ ٣٣٥/ ٤٣٨.
١٩٢ البقرة، ١١٤.

مطمئنة، لذا تُزال منها كل العوائق التي يمكن أن تنزع هذه الطمأنينة وتشتت انتباه الناس، وتفرش المساجد ما أمكن بفرش خالية من المناظر.

يستخدم اليهود الأبواق للنداء للعبادة في معابدهم، والمسيحيون يقرعون الأجراس. بينما يؤذّن للصلاة في الإسلام. في الحقيقة يحمل الأذان معنى هاماً مقارنة مع البوق والاجراس. حيث أن مضمون الأذان موجز لمعاني التوحيد في الإسلام. وهكذا، عندما يرفع الأذان بصوت حيٍّ نديٍّ فإنه يترك أثراً في كل الناس. وقد حدث أن كان الأذان الجميل سبباً في إسلام عدد من الناس خلال فترات من الزمن.



نصّ للقراءة:

إشارات الأديان الأخرى إلى الصلاة

يقول المفكّر الإسلامي الكبير محمد إقبال:

«الوحي واحدٌ من حيث المبدأ. إن نتيجة جداء اثنين في اثنين هي أربعة أينما كانت. سواء كتبت بالأحرف الأزدكية أو بالصينية أو بالعربية فكل هذه الأرقام تعني حقيقة واحدة في كل الأوقات».[١٩٣]

وبما أن الدين الحق واحد، فلابد من وجود بعض التشابه بين الأديان الإلهية .

فمثلا يأمر الإسلام بالصلاة، ويشير الكتاب المقدس إلى الصلاة بقوله:

«تعالوا لنسجد ونركع، ونجلس على الركب بين يدي خالقنا». [١٩٤]

«ووقع موسى وهرون على وجهيهما ساجدين».[١٩٥]

«وذهب موس إلى السجود على عجل وأدى العبادة».[١٩٦]

«ووقع عيسى...وأدى الدعاء».[١٩٧]

«وألقي الحواريون على وجوههم ساجدين...».[١٩٨]

يشير القرآن الكريم إلى أن الأنبياء من قبل وخاصة سيدنا موسى وسيدنا عيسى قد أمروا بالصلاة والزكاة.[١٩٩]

حتى أن الحق جل جلاله حين قرب سيدنا موسى عليه السلام، كانت الصلاة أول ماأمره به بعد التوحيد عقب اللقاء الهام.[٢٠٠]

١٩٣ متى، ٢٨/ ١٩- ٢٠.
١٩٤ المزامير، ٩٥:٦.
١٩٥ الأعداد، ١٦: ٢٠-٢٢.
١٩٦ الخروج، ٣٤:٨.
١٩٧ متى، ٢٦:٣٩.
١٩٨ متى، ١٧:٦.
١٩٩ البينة، ٤-٥؛ يونس، ٨٧؛ ابراهيم، ٣٧؛ الحج، ٢٦؛ الشورى، ٤٦.
٢٠٠ طه، ١٤.

أسئلة الوحدة السابعة

أ. أجب على الأسئلة التالية بشكل صحيح.

١- أي يوم هو الأقدس عند اليهود من بين أيام الأسبوع؟ وكيف يحيونه؟

٢- ماهما الطقسان الدينيان اللذان يعتبران مهمين في جميع المذاهب المسيحية؟ ولماذا؟.

٣- هل كانت عبادتا الصلاة والزكاة مفروضتان في اليهودية والمسيحية كالإسلام؟ ماهي المعلومات التي يقدمها القرآن الكريم لنا في هذا الخصوص؟.

٤- تحدّث عن عبادة الحج في الإسلام من الناحية الجماعية؟.

٥- ماهي أنواع الأنشطة الجماعية التي كانت تنفذ في المساجد في الإسلام غير إقامة الصلاة؟.

ب. اختر الإجابة الصحيحة.

١- أيٌ عيد من الأعياد التالية ليس من أعياد اليهود؟

أ ـ الفصح. ب ـ عيد الميلاد.

ج ـ التعميد. د ـ القربان.

٢- ماذا يسمى العيد المقدس الذي يحتفل به في يوم مولد السيد المسيح؟.

أ ـ الفصح. ب ـ نويل (الميلاد).

ج ـ التعميد. د ـ القربان.

٣- أي الاماكن يسمح للمسلمين أن يقيموا الصلاة فيه؟.

أ ـ بيوتهم. ب ـ مساجدهم.

ج ـ مدارسهم. د ـ كل الأماكن الطاهرة

٤- أي المدن التالية تعتبر مقدسة عند الأديان الثلاثة معا؟.

أ ـ مكة. ب ـ القدس.

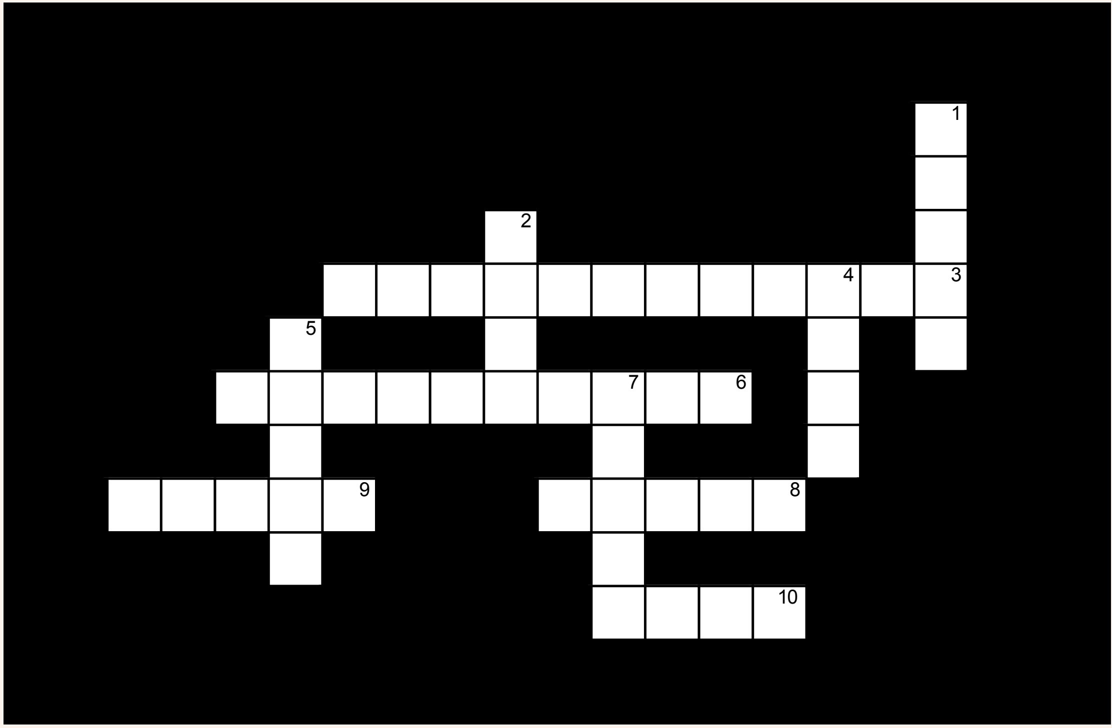
ج ـ المدينة. د ـ اسطنبول.

٥- أي واحدة من العبادات التالية ليس فريضة في الإسلام؟

أ ـ الزكاة. ب ـ الحج.

ج ـ الأضحية. د ـ الصلاة.

ج. الكلمات المتقاطعة





١. الطقس الديني الذي يتم أداؤه في الكنيسة يوم الأحد بالخبز والنبيذ.

٢. المكان المقدس لأداء العبادة عند اليهود.

٤. المكان الذي تؤدّى فيه العبادة، مكان العبادة، الجامع، الحوراء، الكنيسة.

٥. يوم السبت. اليوم المقدس عند اليهود.

٧. المكان المقدس عند المسيحية تؤدى فيها الطقوس الدينية المسيحية بشكل جماعي.



٣. المسجد الذي يوجد فيه قبر سيدنا محمد ﷺ في المدينة.

٦. المعبد الأقدس عند اليهود، بناه سيدنا سليمان في القدس، خرّبه الرومان عام ٧٠ قبل الميلاد. يسعى اليهود لإعادة بناء هيكل سليمان من جديد مكان وجود المسجد الأقصى حالياً.

٨. الطقس الديني الذي يتمّ أداؤه باستعمال الماء في الكنيسة عند اعتناق الشخص النصرانية.

٩. الاسم الذي يدعى به رجل الدين اليهودي.

١٠. المكان المقدس عند المسلمين الذي بناه سيدنا إبراهيم مع إسماعيل في مكة.







التنصير

الموضوعـــــــــات

 تعريف التنصير وأهدافه.

 تنشئة المنصّرين وأساليبهم العملية.

 خِطَط المنصرين الجديدة في السنوات الأخيرة .

 التدابير الضرورية تجاه نشاطات التنصير.

١ .تعريف التنصير وأهدافُه

إذا ذكر مصطلح التنصير فمن الطبيعي أن تكون النصرانية هي التي تخطر بالبال؛ لأن التنصير والنصرانية لفظتان من مادةٍ واحدة، فالتنصير يدل على الديانة النصرانية، وعلى تحويل الناس من أيِّ دين، أو معتقد، أو فكر، أو غيره إلى الدين النصراني. وقد جاء في الأناجيل أن عيسى المسيح قال لحوارييه:

«فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الأب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ».[٢٠١]

وبهذا يكون – حسب عقيدتهم- قد كلّفهم عيسى بجعل جميع الناس نصارى، أي بتنصيرهم؛ ولهذا يسعى النصارى في كل فترات التاريخ بنشر دينهم على وجه الأرض. فالتنصير اسمٌ عامٌ يتناول جميع النشاطات التي تهدف إلى نشر النصرانية، وتحويل الناس إلى دين النصرانية، فهو إذن جزءٌ من الدين ذاته.

وعليه فأول هدفٍ للتنصير هو جعل جميع الناس نصارى، فإن لم يستطيعوا لجؤوا إلى الهدف أو البديل الثاني، وهو محاولة بلبلةِ أذهان الناس المنتسبين إلى الدين الآخر المنافس لهم، وبثِّ الشّبه في قلوبهم نحو دينهم، وبالأسلوب نفسه تحويل الأجيال اللاحقة عن دينها تحويلاً كاملاً. وهدفهم الثالث من نشاطاتهم التنصيرية هو محاولة جمع المنتسبين إليها وإمساكهم تحت مُثُل مشتركة. والهدف الرابع لهم هو نشر قيم وثقافاتِ الاستعمار الغربي النصراني المهيمن؛ وذلك من أجل اجتثاث الناس عن ثقافاتهم، وفي الأخير تهيئةَ الأرضية المناسبة لاستغلالهم مادياً ومعنوياً.

وبعد أن تحكّمت النصرانية في أوروبا سَعَتْ بقوة الدولة لتنصير جميع سكان العالم؛ فنظمت فيما بين سنتي ١٠٩٥-١٢٧٠م ما سمّي بالحروب الصليبية التي كان مِن أكبر أهدافها جلبُ جميع المسلمين إلى النصرانية، إذ كان الإسلام والمسلمون آنذاك القوةَ المنافسة الوحيدة التي تقدِر على أن تقف في وجه النصرانية التي تسعى للتحكّم في العالم كله. وكان عدد المسلمين في ازديادٍ دائم، كما أن الإسلام ينتشر أكثر فأكثر يوماً بعد يوم، ولكن قوة الجيوش الصليبية الدامية التي جهزّها رجال الدين لم تفلح في إيقاف زحف المسلمين. والسبب في ذلك أن المسلمين اكتسبوا قوةً كبيرة عبر الزمان، وتحدّوا الثقافة والحضارة النصرانية، خاصة في العهد العثماني حيث فتحت اسطنبول فَوَصَلَت

٢٠١ متى، ٢٨/ ١٩-٢٠.

الفتوحات الإسلامية إلى قلب أوروبا. ونجاحُ المسلمين هذا أضعفَ نفوذَ الكنيسة، وأثّر في الناس ما رأوه في الإسلام من تسامح ورحمة. وحينئذ لجأتْ الكنيسة إلى زيادة عدد أتباع الديانة النصرانية عن طريق اتخاذ أساليب عمل سرِّيّة، واتّباع تقنيات تختلف باختلاف خصائص المناطق التي يعيش فيه الناس المراد تنصيرهم.

وفي واحدٍ من المؤتمرات التي عقدها النصارى توقّفوا عند محطةٍ رأوها مهمّة، فناقشوا مفهوم التصوّف والطرق، ومدى ارتباط الناس بها في العالم الإنساني، واتفقوا على تطبيق دسيسة تتمثّل في مخادعة شيوخ الطرق والمريدين المقدَّمين، واستعمالهم لمصالحهم وأغراضهم. ورأوا أن الوسيلة لذلك هي تنشِئة عناصر يمكن إقحامهم في مثل هذه الجماعات الصوفية، ومن ثَمَّ يسهل عليهم استدراج المسلمين. هذا السّلاح أشدّ الأسلحة فاعلية؛ لأنه يدخل وسط المسلمين مَن ظاهرُه الإسلام، ثم يبدأ يبثّ الشبهات في نفوسهم حتى يخرجهم عن دينهم دون حضور أي عدو خارجي.

ونشاطات التنصير في عصرنا الحاضر قد اكتسبت سرعةً بواسطة وسائل الإعلام، والتقنيات الحديثة، وخاصة في إفريقيا، ومنطقة الأناضول، وفي الشرق الأوسط حيث سجّلت نشاطاتهم زيادات كبيرة. وقد حدّد البابا أهدافاً جديدة لأتباعه فيما يتعلق بالتنصير، وذلك في تصريح له أدلى به في الرابع والعشرين من كانون الأول/ ديسمبر عام ألفين حيث أفاد بأنه قد «تم تنصير أوروبا في الألفية الميلادية الأولى، وإفريقيا في الألفية الثانية، وسيتمّ تنصير آسيا في الألفية الثالثة». وفي إطار هذه المخططات المختلفة تناولوا المناطق المقصودة بتفاصيل دقيقة، و وزّعوا عليها أناجيل مترجَمة إلى لغاتها المحلية.

وإنّ من أحسن الفرص التي يستخدمها المنصّرون لجلب أتباع لهم هي الحروب، والزلازل، والجوع، والقحط، والفقر، والصراعات الداخلية، وما شابهها. من ذلك أنه أثناء الحديث عن حرب العراق ها هو الصحفي «ماثيو أنجل Matthew Engel» يتكلم في صحيفة «الجارديان The Guardian» الصادرة في بريطانيا، يخبر عن المنصّرين الذين ينتظرون الإشارة الأمنية من أجل إقامة نشاطاتهم في العراق، وبأنهم حين يحملون معهم الخبز إلى الناس، فإنهم سيحملون في اليد الأخرى الإنجيل أيضاً. وأفاد الخبر نفسه بأنّ على رأس هؤلاء المنصّرين فوجاً يدخل تحت زعامة قسّ الكنيسة المعمدانية «فرانكلين غراهام Franklin Graham» الذي ظهر على الشّاشة الأمريكية قائلاً: «الإسلام دينٌ شريرٌ وسيءٌ جداً».[٢٠٢]

وقد تحدّثنا في الفصل الثالث من هذا الكتاب عن النشاطات الكثيرة الخطيرة التي يقوم بها المنصّرون في كثيرٍ من دول إفريقيا التي تعيش ظروفاً قاسية، وأن المنصّرين هناك يستغلّونها أيّما استغلالٍ في بلوغ مآربهم.[٢٠٣]

٢٠٢ صحيفة الغارديان، نيسان، ٤، ٢٠٠٣.

٢٠٣ أنظر: في العنوان الفرعي الثالث: «النصرانية والتنصير في إفريقيا»، ص ٥٥.

٢. تنشئة المنصّرين وأساليبهم العملية

إنّ أول ما يشترط في المنصّر أن يكون علمه وثقافته على مستوىً عالٍ، وأن يكون خطيباً مفَوَّهاً. ومن أجل تحقيق أهداف التنصير على الوجه المراد لها، تُولي المؤسسات التنصيرية أهميةً بالغةً لتنشئة المنصّرين، وتُعنى بهم غاية العناية.

وأما المميّزات التي يوجبون توفّرها في الأفراد المنصّرين فإنه يمكن إجمالها فيما يلي:

١. أنّ الأفراد الذين سيكونون منصّرين في المستقبل، يجب اختيارهم من بين أذكى الأطفال، وأشدّهم اجتهاداً. ثم يتلقّى الأفراد المختارون لوظيفة التنصّير تربيةً خاصةً في مدارس البلدان التي سيمارسون فيها نشاطاتهم. وهناك يتعلّمون النصرانية جيداً إلى درجة أن يجري حبّها في دمائهم ويختلط بعروقهم.

٢. وأنْ يوجَّه المنصّرون إلى المهن التي تربط صاحبها بالناس وتقرّبه إليه أكثر من غيره، مثل مهنة الطب، والتمريض، والتعليم؛ إذ أنّ نجاح نشاطات التنصير بمثل هذه المهن ذو أهميةٍ قصوى.

٣. أنْ يُقدَّم تعليمٌ خاصٌ بالعربية والعلوم الإسلامية للمنصّرين العاملين في الدول الإسلامية؛ من أجل أن يُزوَّدوا بتعليم يمكّنهم من الردّ على المسلمين الذين يواجهونهم بنقاطِ الضعف في النصرانية. هذا إلى جانب تلقينهم المواضيع التي ينتقدون فيها الإسلام، ويُثيرون الشبهات عند ضعاف المسلمين.

٤. وأنّ المنصّرين يُشجَّعون على تعلّم عدة لغاتٍ أجبية. وخاصّة اللغات المحلية للمناطق التي سيقدمون فيها خدماتهم، فإن تعلمها ضروري.

٥. وأنْ يحاول المنصرون اكتسابَ الطلاب الأذكياء في البلدان الإسلامية بتشجيعهم على تعلّم اللغات؛ وتقديم المساعدات المادية إليهم، والمِنَح الدراسية لهم في الدول الغربية؛ وجعلهم يشتركون في مختلف النشاطات الثقافية، والسياحات، والالتحاق بالمخيّمات، وغيرها؛ واستعمال ما شابه هذا من وسائل تشجيعية.

وهؤلاء المنصّرون الذين تحدثنا عن طرق تنشئتهم؛ لهم أساليب مختلفة كثيراً ما يستعملونها ليمهّدوا لأنفسهم الطريق من أجل ممارسة نشاطاتهم على أعلى مستوىً ممكن.

هذه الأساليب يمكن إجمالها فيما يلي:

١. يسعون إلى إضعاف القيم المادية والمعنوية للدول التي يذهبون إليها وهم يعرفون الأوضاع الدينية والاجتماعية فيها.

٢. يستغلون الوضع النفسي المكتئب للشباب الذين ظلوا بعيدين عن تلقي القيم الدينية في الدول الإسلامية، ومن ثَمَّ يقدمون لهم النصرانية على أنها دين مخلِّص.

٣. يؤكّدون على أن غاياتهم هي نشر السلم، والأخوة، والمحبة، والتسامح في العالم.

٤. يلقّنونهم بأن الإسلام دين مشقة وشدة، ودين صعب بما فيه من صلاة تتكرر خمس مرات في اليوم، وصوم يدوم شهراً كاملاً كل سنة، وما شابههما من عبادات؛ في حين أن النصرانية دين المحبة والسهولة، ودينٍ سهل بما فيه من ذهاب إلى الكنيسة مرة في الأسبوع بحيث يؤدي عن المتدينين كل الواجبات الدينية.

٥. يعلمونهم بأن النصارى يستريحون من عناء الذنوب بذهابهم إلى القساوسة، واعترافهم بحضرتهم عن الذنوب التي ارتكبوها.

٦. يذهبون إلى المناطق المتضرّرة في العالم بسبب الحرب، والحرائق، والزلازل، والجوع، والفقر، وما شابهها من ظروف، ويقدمون لهم المعونات حتى يكسبوا عواطفهم. ومن أجل تحقيق مثل هذا الغرض يقدمون دعماً مادياً هائلاً لكل منصّر.

وهو بدوره يذيع النصرانية في البلد الذي يشتغل فيه بتوفير المساعدات المالية للعاطلين من العمل، والفقراء، والبؤساء، ومن شابههم من المحتاجين. والمنصّرون إذا وجدوا أنفسهم ضعفاء في مكانٍ ما لجؤوا إلى مؤسساتهم التنصيرية لتلقّي المساعدات والدعم اللازم دائماً.

٧. يرسلون المستشرقين الذين علّموهم، في المدارس التي فتحوها، العلومَ الإسلامية إلى البلدان المقصودة؛ ليُهَوِّشوا على المسلمين دينهم، ويُثيروا في قلوبهم الشبهات باسم التحقيق العلمي.

٨. يتابعون جيداً التطورات السياسية والاقتصادية العالمية، ثم يوجّهون بعض الأحداث في الدول الإسلامية بما يخدم مصالحهم. ويحاولون بثّ العداوة بين الدول الإسلامية، وإحداث مشاكل فيما بينهم من أجل استغلال ما بأيدي المسلمين من إمكانيات طبيعية.

٩. يحاولون نشر الفساد والفتن في الدول الإسلامية بدعمِ من فيها من الجماعات المنحرفة والمتطرفة.

١٠. يحاولون النفوذ إلى عقول الناس وقلوبهم عن طريق استغلال وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية واستخدام الأفلام، وخاصة الرسوم المتحركة، ليدسّوا فيها بشكل محترفٍ لقطاتٍ من شأنها تحبيب النصرانية إليهم، وأنها دين تسامح.

وعلى هذا النحو، وتحت غطاء حياةٍ عصرية متقدمة، يحاولون تحقيق أهدافهم بوسائل مختلفة في جميع الميادين من موسيقى، ومسرح، وسينما، ورياضة، وسياسة، وما إليها.

١١. يرسلون رسائل، ومنشورات، وكتباً، وأقراصاً مضغوطة، وما شابهها، إلى الهواتف المسجلة أرقامها في الحوليات، وإلى أبواب العمارات، بما فيها المدارس، والسكنات الجامعية.

١٢. وبدل ممارسة نشاطاتهم بطريقة مباشرة يحاولون فتح مدارسِ تعليم اللغات، ومؤسساتِ التضامن الاجتماعي، والمقاهي، والمكاتبِ والوكالات السياحية، وما شابهها.

٣. خِطَط المنصّرين الجديدة في السنوات الأخيرة

لقد تبين للكنيسة فشلها في الفترات المعاصرة في الاستمرار على نشاطات التنصير القديمة؛ ورأت أن الكثير من الناس في المجتمعات الغربية يبتعدون عن الكنيسة، وأن الكثير من الناس يرجعو إلى الإسلام في العالم الإسلامي، وخاصة أن عدد المسلمين في الغرب بدأ يتزايد.

وبدأ المسلمون في كثير من نواحي أوروبا يتعايشون عن قرب مع النصارى، ويتعارفون فيما بينهم، ويتأثر بعضهم ببعض. واقتنعت الكنيسة بأن أساليبها القديمة في التعتيم لا تجديها نفعاً، وبضرورة اتباع أساليب جديدة.

ومن أبرز الأمثلة على هذا عقد كنيسة روما الكاثوليكية لمجمع الفاتيكان الثاني فيما بين سنتي ١٩٥٨-١٩٦٣م. وكان الموضوع الرئيسي لهذا المجمع هو الاستمرار في النشاطات التنصيرية تحت عناوين ومظاهر جديدة مثل السعي إلى حسن التعايش مع أتباع الأديان الأخرى، وإقامة الحوار.

وهذه الفوارق المشاهَدة في الفترات الأخيرة التي يُعطى لها إذن ممارسة النشاط على أنها حوار، وتبشيرٌ ملائكي، وكنائس محلية، صارت تظهر أمامنا تحت اسم الأقلمة.

أ- تغيير الأسماء عند المنصرين:

إن مصطلح التنصير عند المسلمين يدل على مفهوم قبيح، يشمئزّون منه. وهو يذكّرهم بالحروب الصليبية، وبحركة الاستعمار، وما تبعها من دمار وآلام. ومن أجل أن تزيل الكنيسة هذه الصورة السيئة عن نفسها، وتعوّضها بمعان حسنة لا تقابل بالرفض راحت تستعمل مصطلحاً جديداً هو التبشير.

التبشير من البشارة والبشرى، وهي الخبر السّار، أي أنهم يقدمون الإنجيل، الذي هو البشارة، إلى جميع الإنسانية، وهو المصطلح الذي يستعملونه في السنوات الأخيرة.



ويُخفي النصارى هويتهم الكاثوليكية، أو الأرثوذكسية، أو البروتستانية مستبدلين إياها باسم آخر هو «المبشّرون»، أي الإنجيليون باعتبار أن الإنجيل بمعنى البشارة، أو باسم غيره هو «المؤمنون بالمسيح». وبقاء التنصير على حاله دائماً دون أي تغير، رغم تغير الأسماء، هو حقيقة ثابتة، فالتغيير في الأسماء الذي يُحْدِثونه شبيهٌ بالملابس التي يغيرونها متى شاؤوا أو متى رأوا حاجةً إلى ذلك. فهو جزء من المخططات الكبرى التي يجعلون بها نشاطات التنصير أكثر فاعلية وتأثيراً.

ب-الإذن الممنوح للكنائس المحلية بالتصرّف المستقل:

ومن التغييرات التي أحدثتها الكنيسة النصرانية في النشاطات التنصيرية المعاصرة أنها حاولت شيئاً ما تلطيف الشعار الذي ترفعه دائماً، والمتمثّل في قولها: «لا خلاص خارج الكنيسة». وخاصة أن كنيسة روما الكاثوليكية التي كانت تدعي سابقاً بألا خلاص خارجَها، وأن الحقيقة الوحيدة عندها وحدها، كانت بذلك تطرد الآخرين. فقرّرت كنيسة روما في المجمع الثاني للفاتيكان المنعقد فيما بين سنتي ١٩٥٨-١٩٦٣ أن تجلب قليلاً من المرونة لهذه المقولة؛ وبالتالي تتابع نشاطات التنصير مع أتباع المذاهب النصرانية المختلفة من جهة، ومع أتباع الأديان الأخرى غير النصرانية من جهة أخرى تحت اسم «الحوار».

ومن التغييرات الأخرى للكنيسة إذنها للكنائس المحلية بممارسة النشاطات التنصيرية على انفراد، وهذا على خلاف الماضي حيث لم تكن تستطيع ممارسة هذه النشاطات إلا الكنائس الكبيرة، وكانت هي التي تشرف على الكنائس المحلية.

وهذا ما يترك انطباعاً لدى النشاطات التنصيرية بأنها تسير في إطار الرغبات التحكّمية الاستعمارية للدول النصرانية المتطورة، مما يجعل نسبة نجاحها ضئيلة جداً. ولكنه في الوقت نفسه قوّى الكنائس المحلية في الفترات الأخيرة؛ إذ على هذا النحو تترك النشاطات التنصيرية في الدول الإسلامية انطباعاً لدى المسلمين في الدول الإسلامية بأنها لا تعتمد على القوى الغربية الاستعمارية المهيمنة، ولكن على إمكانيات الكنائس المحلية وتصرفاتها الخاصة.

وبالنتيجة فإن الكنائس الغربية الكبيرة هي بِدُوَلها ومؤسساتها تساند هذه الكنائس المحلية من وراء الستار مساندة مادية ومعنوية. بالإضافة إلى أن ممثلي الكنيسة يُنتخَبون من مناطقهم التي يقيمون فيها. وبهذا الأسلوب يستطيع التنصير أن يبلغ رسالته إلى الناس بشكل أسهل وآمن.

وإذا دققنا في نشاطات التنصير في الدول الإسلامية في الأيام الأخيرة رأينا كم هي مؤثرة تلك الكنائس المحلية، وكأنها تريد بذلك أن تقول لنا نحن المسلمين:

«انظروا إلينا، فنحن أيضاً كنا من قبل مسلمين مثلكم. ولكننا درسنا النصرانية فوجدناها ديناً خيراً من دين الإسلام،. وبتلقّينا لدروس في النصرانية صرنا مسؤولين في الكنيسة. وعلى هذا فنحن لا نمثّل الكنائس التي تديرها القوى الغربية الاستعمارية، ولكن يديرها نصارى حقيقيون ومخلصون كانوا من قبل مسلمين غير راضين عن دينهم، ثم نتيجةَ بحث ودراسة وجدوا النصرانيةَ الدينَ الحق، وطريقَ الخلاص».

وهدفهم من هذا كله هو أن يرسخوا في الأذهان بأن التنصير ليس آلة للاستعمار الغربي، وللهيمنة العالمية الكبرى.

ج- أسلوب الأقلمة (النفاق والمخادعة):

إن من الأساليب الجديدة والأكثر فعالية من بين أساليب التنصير عند الكنيسة هو أسلوب الأقلمة. وقبل أن نتحدث عنه نود أن نتعرّض للفكرة الأساسية التي يعتمد عليها، ولباولس مؤسّس النصرانية المعاصرة. إن المنصّرين الذين لا يترددون في تصرفاتهم الماكرة، وفي تلوّناتهم المتنوعة من أجل النصرانية، يعتمدون على كلمة صدرت عن باولس أرسل بها إلى أهل كورونثوس، هي قوله:

«أنا رجل حرّ عند الناس، ولكني جعلت من نفسي عبداً لجميع الناس حتى أربح أكثرهم. فصرت لليهود يهودياً لأربح اليهود، وصرت لأهل الشريعة من أهل الشريعة ـ وإن كنت لا أخضع للشريعة ـ لأربح أهل الشريعة، وصرت للذين بلا شريعة كالذي بلا شريعة لأربح الذين هم بلا شريعة، مع أنّ لي شريعة من الله بخضوعي لشريعة المسيح، وصرت للضعفاء ضعيفاً لأربح الضعفاء، وصرت للناس كلهم كل شيء لأخلّص بعضهم بكل وسيلة..».[٢٠٤]

ومن ذلك أنه رغم معارضة باولس القاطعة للختان، فإنه ختن تلميذه تيموثاوس. ورغم كفره بشريعة موسى ، فإنه لم ير بأساً بالمشاركة في مراسم التطهير

وكما تبين لنا من أقوال وأعمال باولس وكأنه يرى كل شيء مباحاً من أجل إقناع مخالفيه، وكأنه يعدّ كل وسيلة حلالاً لبلوغ غرضه، بل لعلّ أشد الكلمات براءة أن يقال عنه إنه يستعمل التقية. وهذا ما يدل على وجود بعض المشاكل الأخلاقية في الأساليب المتّبعة في التنصير؛ فهو سلوكٌ يتضمن منطق أنك حر فانْصر مَن ستنصره كما تشاء، حتى إنه لسلوكٌ غير أخلاقي لا يحمل داخلَه أية قيمة أخلاقية، بل يخالف المبدأ الذي تقوم عليه كل الأديان أو أكثرها، وهو المتمثّل في تزويد الإنسان بالأخلاق الحسنة.

إن باولس بأقواله المتطرّفة هذه، وبسلوكه المتلوّن هذا قد صار قدوةً للنصارى المنصّرين الذين جعلوا من أقواله وسلوكه لواءً يعملون تحته. وبعد مرور مئات السنين جاء ميكافيلي ليسير على نهجه، وينْحو نحوه، ويصرح بنظريته التي عبر بقوله:

«الغاية تبرّر الوسيلة»،

فاتفقا تمام الاتفاق. وكلّ هذه الأفكار تذكّرنا بمقولة المتصوف والمفكر الإسلامي العظيم مولانا هذه:

«إما أن تظهر كما أنت عليه، وإما أن تكون كما تبدو عليه!».

هذا هو الاختلاف في المفهوم الأخلاقي العميق بين الفِكْرَين الدينيّين وهذه هي النظرة تجاه الإنسان.

٢٠٤ أعمال الرسل ١٦/ ٣؛ ٢١/ ٢٠-٢٧.

طريقة باولس المذكورة آنفاً صارت في الفترات اللاحقة تخضع لمنهجية محددة أكثر عند النصارى، فعُرفت عند الكاثوليك بمصطلح الأقلمة «Inculturation»، وعند البروتستانت بمصطلح «Contextualization» الذي يعني هو أيضاً، بصفة عامة، تطويع شيءٍ ما ليوافق الظروف الموجودة، أي تفسير النصوص حسب الظروف والشروط المحيطة بالمفسّر.

ويُراد مِن كِلا المصطلحين تلطيف النصرانية في نظر من يُسيء بها الظنّ، وينظر إليها نظرة قبيحة، بحيث تُكيَّف بما يوافق أو يشابه القيم الدينية والوطنية للمجتمع المقصود بالنشاط التنصيري.

وذلك بإظهار الكنيسة بمظهرِ مؤسسةٍ دينية بعيدة عن أنْ تخدم الأغراض السياسية والاستعمارية، وبأنها مباينة للثقافة الغربية المهيمنة، ومن ثَمَّ تصل إلى هدفها المتمثل في إمرار الرسالة النصرانية التنصيرية إلى الشعوب المحليّة بلغةٍ وأسلوبٍ لا يقابَلان بالازدراء والرفض.

ولعل من أبرز مظاهر هذا الأسلوب الذي صار كثير الاتباع في الفترات الأخيرة، أن المنصّرين، رغم كفرهم بالقرآن وبعثة الرسول ﷺ، إذا تحدثوا مع المسلمين خاطبوهم بحيث يظنّهم السامع مؤمنين بهما، وبما جاء به الإسلام.

ويُنَشَّؤ المنصرون تبعا لخصائص البلد المقصود بالتنصير مستقبلاً، وبحسب المواضيعِ التي يعرفها السكان المحليون عن النصرانية، وما قد يعارضونه فيها. ومن ذلك أنهم يظهرون التسامح مع المسلمين أحياناً فيتجنبون الإفصاح عن عيسى عليه السلام وكونه ابن إليه عندهم، بل يبادرون المسلمين بمعلومات إسلامية ليتقربوا إليهم عن طريقها.

ويقدّم واحدٌ من المنصّرين المحترفين اسمُه إريخ. و. بيثمين «E. W. Bethmann» توصيات للمنصّرين ليكونوا ناجحين في نشاطاتهم فيقول:

«و الحذر يقتضي أن تظهر الاحترام وأنت تتحدث عن دينهم، ومؤسساتهم الدينية. وقولك عن محمد إنه نبي كاذب هو مثل ما لو جاء مسلم إلى هذا البلد بغرض التفوق على النصارى وتكلم عن المسيح وقال عنه إنه ابن بغي.

وأنت بقولك: «محمد نبي الإسلام» لم تتنازل عن أي شيء... وأنت إذا كان أمامك مستمعون نصارى واستعملت أثناء حديثك عبارة «عيسى المسيح ابن الرب»، فهذا أمر مفهوم جيدا، ولكنه عند المسلمين كفر... فعليك أن تتجنبه حتى لا ينفرّ عنك مَن ليس على هذا المعتقد... وإنما حين تدخل معهم في حوارات لاحقاً، وتكسب وُدَّهم فعندئذ تدعوهم إلى ما تشاء».[٢٠٥]

٢٠٥ جسر إلى الإسلام، إريخ. و. بيثمين، ص ٢٠٥-٢٠٨، بريطانيا، ١٩٥٣.

ويقول منصّر آخر اسمه تشارلز د. إيغال، يعمل في مؤسسة تنصيرية مركزها بالولايات المتحدة الأمريكية:

«حاولوا أن تتودَّدُوا إلى المسلمين عن طريق دينهم. واستعملوا في خطبكم ودعائكم القرآنَ، والثقافةَ الإسلامية، والتعابير والنماذج التي تتلاءم مع العقيدة النصرانية، أو التي لا تتصادم مع النصرانية... وما يُكثر القرآن من الحديث عنه كعيسى، ومريم، فهي نماذج صالحة للاستعمال مع المسملين للتقرب منهم. ولكنكم احذروا كل الحذر، وأنتم تتحدثون عن عيسى ومريم وأمثالهما مما ورد في القرآن، أن يشعر مستمِعكم أو يفهم أنكم تتحدثون عن القرآن على أنه وحيٌ نزل من السماء...ويمكن بالموازاة لصلاة الجمعة أن تقيموا خطبا يوم الجمعة؛ ويمكنكم أنتم زعماءَ الكنائس، من قساوسةٍ أو كهنة، أن تقدموها وكأنكم أئمة مساجد؛ كما يمكنكم أن تخلعوا أحذيتكم أثناء دخولكم الكنائس مثلما يفعل المسلمون تماما؛ ولا حرج في مشاركتكم للمسملين في أعيادهم، وجنائزهم، والاحتفالات بالمواليد الجدد، وما شابهها من عبادات وعادات. والامتناع عن أكل لحم الخنزير، وعن شرب الخمور ممكن أيضا. واعلموا بالإضافة إلى هذا، أن النشاطات التنصيرية هذه تستدعي، قدر الإمكان، استعمال أشخاص يُختارون من بين السكان المحليين ليكون انتشار الإنجيل أسرع وأسهل».[٢٠٦]

ومهما كانت النشاطات التنصيرية الموجَّهة من الخارج فعّالة، فإنها تعلم أنها ستقابَل دائماً بالشبهات والتحفّظات من طرف الفئة المقصودة بالتنصير؛ لهذا يستعمل المنصرين استعمالاً كثيراً وناجحاً لهذه الأساليب المذكورة آنفاً.

٤. التدابير الضرورية تجاه نشاطات التنصير

نودّ هنا أن نذكر بإيجاز ما يجب اتخاذه من تدابيرَ لمواجهة نشاطات التنصير. يجب في البداية أن نجعل شعوبنا تتشبع بثقافتها الدينية والوطنية؛ وأن نزوّدهم بما يلبي متطلباتهم العقلية، وحاجياتهم الروحية؛ وخاصة شبابنا، في كل مراحل أعمارهم، فيجب تربيتهم عن طريق تنظيم دروس، ومحاضرات، وملتقياتٍ لتعليمهم الإسلام، وثقافتنا الوطنية على أحسن وجه، وجعلهم يتقبلونها ويعتنقونها؛ ويجب كذلك طبع كتبٍ ومنشورات تلائم كل الأعمار، وكل المستويات، والسعي لجعل الجميع يقرؤها، بل توزيعُها مجاناً إن أمكن ذلك.

٢٠٦ تشارلز د. إيغال، «خدمة المسلمين». http: / /www.leaderu. Com /isot /docs /minmuslim.html.

وأداء هذه النشاطات يجب أن يصاحبه دائماً معيار القرآن الكريم، وأن يكون العمل موافقاً لروح الإسلام الذي علّمنا أنْ:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّيْنِ﴾ [٢٠٧]؛ وأن: ﴿لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ﴾ [٢٠٨]

هذا، ويجب التركيز على تنشئة علماء في الدين وسائر العلوم والمعارف يكونون مختصّين وعلى وعيٍ ودرايةٍ تامّين بماهية التنصير، ومبادئه التي يؤسّس عليها نشاطاته. وفي الوقت نفسه يجب مساندة ودعم الأبحاث العلمية التي تفصح عن دغل هذه التيارات، وتكشف وجهها الصحيح.

وعلى الأئمة والخطباء وأمثالهم من الزعماء الدينيين الذين يعِظُون الناس أن يحدثوهم أحياناً عن مثل هذه النشاطات، ويُوَعوهم بأهدافها، ويحذّروهم من مخاطرها. ويجب أن يُخَص الأطفالُ الصغار بتعليم مفيدٍ و واقٍ في البيوت والمدارس من طرف أشخاص مؤهّلين وأكفّاء.

ويجب اجتناب أخلاق الشدة والعنف مطلقاً أثناء التعليم الديني، وتعويضها بأخلاق الإسلام من السماحة والدماثة المتلقّاة عن النبي أثناء معاملته لأولاده، وأحفاده، واتخاذها أساساً من أجل تحبيب الناس في الدين. وإلا فإن الأطفال الذين ينشؤون محرومين من المحبة والشفقة يقعون فريسة سهلة في أنياب المنصّرين.

وعلينا الاعتناء، على قدر الإمكان، بنظافة مدارس الأطفال، وبالساحات المخصّصة للّعب والرياضة حتى لا تميل نفوسهم إلى مدارس المنصّرين.

وعلينا أيضاً أن نعرف أطفالنا وشبابنا بالشخصيات التي نشأت في ظلّ ثقافتنا، وعاشت قيم الإسلام، حتى صارت نماذج يُحتذى بها. وفي مقدمة مَن علينا تقديمهم للناس الأسوة الحسنة الكبرى في ديننا، رسولُ الله ﷺ، ومعه صحابته الكرام، والتابعون لهم بإحسان ﷺ أجمعين.

ونحن إذ نسعى لمواجهة نشاطات التنصير، علينا أن نركّز تركيزاً بالغاً على قول النبي: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»، وألا يعيب عن عقولنا ألبتّة. ولابد من التعرف على المحتاجين، والفقراء، والجياع، والضعفاء، واليتامى، والذين لا حيلة لهم، والذين يعانون من صعوبة العيش؛ ثم الأخذ بأيديهم لينالوا عيشاً إنسانياً كريماً.

ومن المؤسسات الإسلامية التي يجب إحياؤها من جديد؛ لأنها هي التي تستطيع الإيفاء على وجهٍ حسن بهذه الأعمال، هي الزكاة، والصدقات، ومختلف النفقات، والأوقاف، والجميعات الخيرية، وما شابهها.

٢٠٧ البقرة، ٢٥٦.
٢٠٨ الكافرون، ٦.

والفئة المستهدفة بالتنصير في المجتمع ليست محصورة على المنصّرين وحدهم؛ إذ الضرر عليها صادرٌ من جهات أخرى، كالذين يقدّمون لها السجائر، والخمور، وما شابهها من وسائل العادات السيئة؛ والذين يحاولون جلبها إلى أوحال الأفكار المدسوسة على الأمّة والدخيلة عليها؛ فيجب علينا استنقاذ شبابنا من براثنهم؛ لأنّ كوننا مسلمين وازعٌ كافٍ لنا من أجل أداء وظيفتنا.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ مجتمعات الغرب كبيرة في السنّ في مقابل مجتمعاتنا التي تزخر بالسكان الشباب الحيويّين؛ تأكّد لنا مرة أخرى أهمية التربية المادية والمعنوية التي يجب تقديمها لشبابنا الذين يشكّلون قوة وطاقة كبيرة قادرة على بناء المستقبل.



نصٌّ للقراءة:

كيف أسلم اليهودي؟



جلس الخليفة العباسي المأمون على عرش الخلافة في نهاية القرن الثاني الهجري، وكان رجلاً منفتحاً على العالم الخارجي. وكان قد قرّب إليه جميع رجال العلم المسلمين والنصارى على حدٍّ سواء، وأمر بترجمة كتب العلم من اللغات الأجنبية إلى العربية للاستفادة منها. حتى إن علماء الفلك في زمانه أثبتوا كروية الأرض، وأنجزوا أعمالاً علمية أخرى كثيرة.

وأثناء هذه الأعمال العلمية كان يلفت انتباهَ المأمون في مجالسه رجلٌ يهوديٌّ داهيةٌ من المشتغلين بالعلوم، فطرح عليه المأمون يوماً سؤالاً فقال له:

- إنك ما دمت تنظر إلى الأمور وتفحصها بكل هذه العقلانية، فلمَ لمْ تسلم؟ ألم تنظر إلى الفرق بين القرآن، والإنجيل، والتوراة؟ فقال له اليهودي:

- إني ما زلت أنظر في هذا الأمر، ولم يتبين لي شيء بعد. فإذا حَصَّلتُ حاصلاً أخبرتكم به.

فتركه المأمون وشأنَه، ولم يخطر بباله أن يضيِّق عليه؛ لأنه كان يعلم أن إيمان الإنسان لا يتأتّى بالقوة، ولا بالتخويف. ولم يُعِد عليه المأمون السؤال.

ومرَّ عامٌ على هذا الكلام الذي جرى بينهما، واليهودي مداومٌ كعادته على حضور مجالس المأمون. ولكن هذا اليهودي غيْر يهوديّ السنة الماضية، إنه إنسانٌ رضي بالإسلام وبكل أخلاقه من أعماق قلبه. فتعجّب المأمون من هذا وقال:

- خيراً إن شاء الله! أيُّ فرقٍ كان بين القرآن في السنة الماضية وبينه في هذه السنة حتى امتنعتَ عن الإيمان من قبلُ وأسلمتَ هذه السنة؟ فشرح له اليهودي الأمر قائلاً:

- يا مولاي، لا شكّ أن القرآن في السنة الماضية هو القرآن ذاته في هذه السنة، لا فرق بينهما. بل إن الذي قرّبني إلى الإسلام ودعاني إلى الإيمان به هو هذا بعينه. فقال المأمون:

- ما تعني؟ أن القرآن باقٍ على حاله، لم يتغيّر؟ فقال اليهودي:

- نعم يا مولاي. فلْيأذن لي مولاي أن أشرح له كيف سارت أبحاثي وساقتني إلى اعتناق الإسلام. ثم استطرد الرجل في كلامه وقال:

- في البداية ذهبت إلى بيتي، وعكفت أياماً على استنساخ الإنجيل، فنسخت منه ثلاث نسخ. جعلت النسخة الأولى ناقصةً ببعض الأسطر، والثانية تامّة، والثالثة أضفت إليها بعض الأسطر من

عندي. ثم أخذت النسخ الثلاث من الإنجيل إلى القسّ في الكنيسة، وأريته إياها. فتصفّحها القسّ جميعها ودقّق فيها، وفي الآخر اشتراها مني، وهنّأني على حسن الخدمة. ثم رجعت إلى بيتي ونسخت هذه المرة ثلاث نسخ من التوراة، ولكني جعلت النسخة الأولى ناقصة من بعض الإصحاحات، والثانية تامّة، والثالثة ألحقت بها ما ليس منها وأظهرته كأنّه جزء منها. ثم أخذت النسخ الثلاث إلى الحاخام، فأُعجب بها ثلاثتِها، واشتراها مني، وشكرني على جهدي.

ثم جاء الدور إلى القرآن لأستنسخه، ولكن لكبر حجمه لم أستطع أن أنسخ منه إلا ثلاثة أجزاء. وأثناء استنساخ النسخة الأولى تجاوزت بعض الأسطر منه عمداً، ونسخت الثانية كاملة، وأضفت إلى النسخة الثالثة بعض الأسطر علاوةً وكأنها من القرآن، وإنما هي من تلقاء نفسي.

وباهتمام بالغ وعنايةٍ فائقةٍ ذهبت إلى جميع مشايخ المسلمين وعرضت عليهم نسخ القرآن التي نسختها ليأخذوها عني، فأبدوا جميعهم إعجابهم ووافقوا في البداية، ولكنهم سرعان ما نظروا فيها حتى تنبّهوا كلهم إلى مواضع الخلل فيها. وبدأ كل واحد منهم يريني ما فيها من نقصٍ أو زيادة قائلاً:

- سطرُ كذا وسطر كذا ناقصٌ من هذا الجزء. وهذا الجزء تامّ. وفي هذه الأجزاء سطورٌ ليست منه، هي زائدة. وفي القرآن لا تجد مثل هذه العبارة، ولا هذه اللفظة، هذه ليست من القرآن...

وكلهم قرأ عن ظهر القرآن الذي نسخته، ثم صحّحه لي. فعلمت أن القرآن محفوظٌ كما أنزل غضّاً طريّاً، على أول حاله التي كان عليها. فالقرآن لا يمكن الزيادة فيه أو الإنقاص منه، هو كما كان عليه حين نزل وحياً من عند الله أول الأمر. وبعد هذا أسلمت، فكان هذا البحث هو السبب في اعتناقي الإسلام.

وحين ذهب قاضي البصرة يحيى بن أكثم إلى الحج قصّ هذه الحادثة على الإمام الكبير سفيان بن عيينة، فقال له سفيان:

- إن هذه الحادثة مصداقٌ عمليٌ لآيةٍ من كتاب الله. والله تعالى إذ لم يتعهّد بحفظ التوراة والإنجيل، فقد تعهّد بحفظ القرآن الكريم فقال سبحانه:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْن﴾ [٢٠٩]

---

٢٠٩ الحجر، ٩.

أسئلة الوحدة الثامنة

أ- أجب عن الأسئلة التالية بأجوبة صحيحة:

١. ما هي أهداف المنصّرين من التنصير؟ اِشرحوا ذلك.

٢. ما هي أفضل الأوساط التي يستعملها المنصّرون لنشر نشاطاتهم التنصيرية؟

٣. ما هي الأساليب التي يتّبعها المنصّرون في الفترات الأخيرة؟ ولَم لجؤوا إلى هذه الأساليب؟

٤. هل تُصَوِّبون استعمال المنصّرين لكل الأساليب التي تُبَلِّغهم أهدافهم؟ ناقشوا هذا الموضوع على ضوء كلام باولس الوارد في الإصحاح التاسع من رسالته الأولى لأهل كورونثوس (١٩-٢٢).

٥. ما هي في رأيكم التّدابير التي على المسلمين اتّخاذها لمواجهة النشاطات التّنصيرية؟

ب. اختر الإجابة الصحيحة.

١. أيٌّ مما يلي ليس معدوداً من أهداف المنصّرين؟
أ. إثارة الشّبه حول أديانهم.
ب. جعلُهم نصارى.
ج. تقوية المسلمين.
د. تحضير أرضية للهيمنة الغربية.

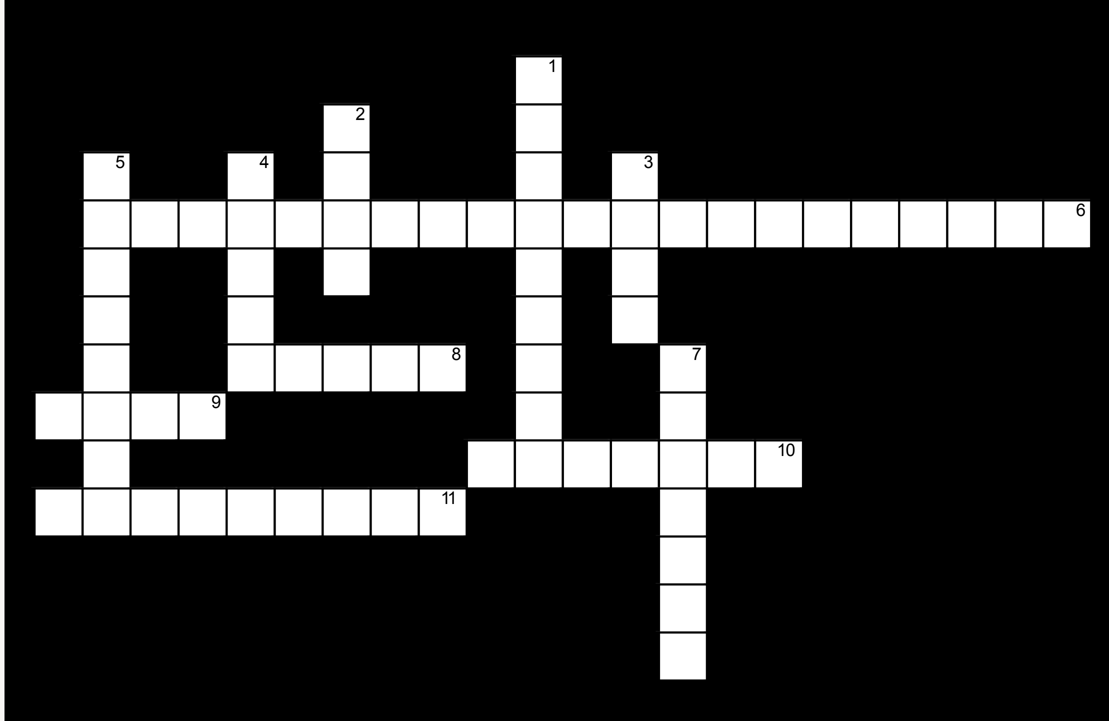
٢. بأيّ اسم يسمّى النضال الذي قام به النصارى فيما بين سنتي ١٠٩٥-١٢٧٠م من أجل نشر النصرانية؟
أ. التنصير.
ب. التبليغ.
ج. القَدَاس.
د. الحروب الصليبية.

٣. من هو زعيم المنصّرين الذي يرى كل وسيلة مباحة من أجل بلوغ الهدف المراد؟
أ. بطرس
ب. باولس.
ج. السيد المسيح.
د. برنابا.

٤. أيٌّ من المذاهب النصرانية كان أكثر إمساكاً لزمام النشاطات التنصيرية؟
أ. الأرثوذكسية.
ب. الأنجليكانيين.
ج. الكاثوليك ـ البروتستانت.
د. الإنجيليين.

٥. ما هي التدابير بعيدة المدى التي يجب اتخاذها على المقصودين بالتنصير؟
أ. امتلاك ثروة.
ب. التنصر على الفور.
ج. الاهتمام بالتربية.
د. بناء مستشفيات.

ج. الكلمات المتقاطعة



↓

١. الرأيُ الانتهازيُ الذي يرى كل وسيلةٍ مباحةٍ لبلوغ الغاية.

٢. مصطلحٌ يستعمله النصارى قاصدين به الطقوس الدينية المختلفة.

٣. أكبر زعيم ديني للنصارى الكاثوليك، وفي الوقت نفسه رئيسٌ دولة الفاتيكان.

٤. أو الإمبريالية، وهي اسمٌ يتناول جميع نشاطات الغربيين المتمثّلة في استغلال القيم المادية والمعنوية للمجتمعات الأخرى من أجل ضمان مصالحهم.

٥. وتعني المبشّرين بالخير. وهو الاسم الذي يختاره المنصّرون لأنفسهم.

٧. وتعني باليونانية الطريق المستقيم، وهو ثالث أكبر مذهب عند النصارى.

←

٦. مجمع عُقِد في الفاتيكان من طرف المذهب الكاثوليكي سنة ١٩٦٥. تناول فيه علاقاته مع المذاهب والأديان الأخرى.

٨. هي القانون، والطريق، والنظام. وهي جميع الأوامر والنواهي الواردة في الإسلام.

٩. هي أن تظهر نفسك على خلاف ما أنت عليه، أن تنافق. وهو أسلوب «الأقلمة» الروحية والثقافية عند النصارى.

١٠. وتعني باليونانية الشيء العام والمشهور والمعروف أو المقبول عند الأكثر، وهو أكبر مذهبٍ ديني عند النصارى.

١١. ثاني أكبر مذهبٍ عند النصارى بعد الكاثوليك.

الخاتمة وموضع الإسلام من بين الأديان

إن الإسلام هو آخر رسالةٍ سماويةٍ، وهو الحقّ المطلق الذي لا حقّ سواه. وقد عَرف الإسلام لأتباعِ الديانات الأخرى الحقّ في الحياة، فهو يعامل الديانات على أساسِ أنْ لا إكراه في الدين. وهو الأساس أوَ المبدأ المذكور في قوله تعالى:

﴿لَاْ إِكْرَاهَ فِي الدِّيْنِ﴾ [٢١٠]

وقوله سبحانه:

﴿لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ﴾ [٢١١].

وبناءً على هذا فقد بيّن الإسلام للناس تسامحه، وعدم تعرّضه لحريّات الناس وما اختاروه لأنفسهم.

وإذا كان عدد المسلمين اليوم مليارين ونصفاً ، فإنه يتزايد كل يوم. وإنّ أسرَع دينٍ انتشاراً اليوم في أوروبا هو الدين الإسلامي بفضل عدد المسلمين المهاجرين إليها، وعدد الغربيين المعتنقين للإسلام. والإسلام يواجه الأوضاع الجديدة ويحلّ مشاكلها حتى في العصر الحديث مع ما يتبعه من صناعةٍ وتحضّر. ولن يزال الإسلام مقدِّماً دائماً لحلولٍ جديدة للمشاكل النابعة من هذا العصر المتميّز بخصائصه في هذا العالم سريع التغيّر، وقائداً للإنسانية إلى طريق الخلاص. ومن أجل هذا فإن عدد المسلمين في العالم لا يقلّ، ولكن يزداد كل يومٍ مقابل ظروف العالم المتغير.

وفي مقابل هذا نلاحظ تقهقراً مستمراً في عدد السكان في العالم الغربي النصراني، فهبّ النصارى إلى القيام بنشاطات التنصير في آسيا وإفريقيا للمحافظة على التوازن السكاني.

ومما يؤلِمُ أيضاً العالمَ الغربيَ أنه مع تناقص نسبة عدد السكان لديهم يتناقص عدد السكان النصارى أيضاً.

---

٢١٠ البقرة، ٢٥٦.

٢١١ الكافرون، ٦.

واليوم نرى في عقائد الديانات الأخرى مجموعة من العناصر الباطلة، يأتي على رأسها الإيمان بالله. فإله اليهود «يهوه» هو عند اليهود إلهٌ خاص بهم من دون الناس، فكان دينهم بناءً على هذا المعتقد ديناً قومياً.

وفي النصرانية كذلك على رأس المعتقدات الباطلة عقيدة التثليث التي تحيّر رجال الفكر الغربي، ويتصارعون مع نفوسهم؛ لأنهم لا يجدون لها موضعاً مناسباً من المنطق والعقل والفطرة السلمية، حتى صارت هذه العقيدة أكبر أزمةٍ دينية في العالم الغربي. وما يُقَدَّم من تفسيراتٍ فلسفيةٍ عميقةٍ جداً لا تجد له صدىً في العقول الحرة.

ومِن هذا أنّ استطلاعاً أجري في فرنسا أسفرَ عن أنّ الذين يؤمنون بألوهية المسيح لا تتجاوز نسبتهم ٣٦٪ من مجموع المشاركين.

وإذا كانت نسبة الذين يؤمنون بألوهية المسيح، المعتقدِ الأساسِ الذي تبُنى عليه النصرانية كلها، قليلاً إلى هذا الحدّ فقد أدلوا بشبههم الحقيقية في هذا الموضوع دون تردّد. والوضع في الدول الغربية الأخرى ليس مختلفاً عن هذه كثيراً.[٢١٢]

بينما إذا نظرنا إلى مبادئ أو قواعد الإيمان في الإسلام مقارنةً بتلك التابعة لليهودية أو النصرانية وجدناها أكثر إقناعاً وقبولاً لدى الفكر السليم. ومهما كانت مواضيع العقيدة والإيمان لا تُقبَل بمحض العقل، فإن الناس محتاجون، من الإيمان بها، إلى تفسيرٍ منطقيٍ معقولٍ.

من أجل هذا نرى أن القرآن يخاطب الناس بما يعقلون حين يدعوهم إلى الإيمان بالله، وبرسوله، وباليوم الآخر الغائب عن أنظارهم.

وإذا قارنّا الإسلام باليهودية التي نشأت في القرآن الثالث عشر قبل الميلاد، وبالنصرانية التي ولدت قبل ألفي سنة، وجدناه ديناً جديداً جداً؛ إذ ليس له أكثر من خمسة عشر قرناً من الماضي. وكون الإسلام ديناً جديداً، وكونُه آخرَ الأديان ظهوراً، يجعل المعلومات المعروفة عنه تدلّ على أنه يعتمد على أسسٍ أكثر صحةٍ وأوثق.

وما يلزمنا معرفته عن نبي الإسلام محمدٍ ﷺ من معلوماتٍ ومواد تاريخية وعلمية هي بأيدينا، موجودةٌ وكافية. وكل ما يتعلق بحياته من أدقّ التفاصيل قد قُرِّر كما هو، ودُوِّن، ونُقل جيلاً عن جيل إلينا.

وتدوين كل شيء عن حياة النبي ﷺ دون أن يبقى أي شيء منها سراً لَمَّا يزيد الإيمان بنبوته ورسالته السماوية. وكون المعلومات الخاصة باليهودية أو الإسلام ناقصة، وأن المعلومات الموجودة قد تقررت لاحقاً بزمان بعيد، مما يبعث على الشكّ وانعدام الثقة فيما يتعلق بما يُحكى عن موسى وعيسى عليهما السلام.

٢١٢ الظاهرة الدينية، جان شوفاليي، مترجما إلى التركية من طرف محمد آيدين، ص ٦.

حتى إن قلة المعلومات المتعلقة بعيسى عليه السلام لما جعل البعض في العالم الغربي اليوم ينازِع في وجود شخصيةٍ بهذا الاسم في الماضي.

أما التاريخ الذي يزخر بالمعلومات عن نبينا فإنه يزخر في الوقت نفسه بالمعلومات الدالة على صدق نبوته. فالقرآن منذ نزوله للمرة الأولى تلقّفه المسلمون حفظاً في الصدور، وتدويناً في الرّقاع، فاستخدموا هذين الأسلوبين ليبلغوه إلى من بعدهم جيلاً بعد جيل حتى وصل إلى يومنا هذا.

ومثل هذا الحفظ والصيانة لم يحظَ بها أي كتاب مقدس عند أهله في الدنيا. فلا نسخة التوراة التي بلغها موسى عليه السلام لقومه بقيت، ولا نسخة الإنجيل التي بلّغها عيسى عليه السلام لقومه.

وبالشكل نفسه عُني المسلمون بحفظ سنة النبي ﷺ بفضل أعمالهم العلمية الموضوعية والقواعد والمبادئ التي صاغوها بمنتدى الدقة. كل ذلك ليحفظوا لنا المصدر الثاني من ديننا الحنيف.

والتعاليم الإسلامية كانت وما تزال دائماً تجعل الإنسان هو المحور، وهو المقصود بها، فلا نجد فيها ما هو خياليٌ أو شبه خيالي أو بعيد عن الواقع المعيش. فكل ما في تعاليم الإسلام وأحكامه يتناسب مع الحياة التي يعيشها الإنسان المسلم، ومما يمكنه العمل به دون أن يتصادم مع طبيعته البشرية.

وها هو رسولُ الله، الأسوة الحسنةُ لجميع المسلمين، قد طبّق الإسلام بكل ما فيه، وعلّم أمته بأقواله وأفعاله ما يُثبت للبشرية بأن الإسلام دين الفطرة السلمية، وقابلٌ للعمل به في كل زمان ومكان.

فصاحب الرسالة نفسه كان بشراً نبياً يؤدي جميع واجباته البشرية اللازمة؛ فتزوج، وأنجب الأولاد، وتاجر، وعمل، فكان قدوة للمسلمين كلهم على اختلاف طبقاتهم، وأعمارهم، ولغاتهم، وحِرَفهم، ومواقعهم في المجتمع...

إن الإسلام دينُ توازنٍ وقسطاس، لذلك لم يوصِ بالرّكون إلى بَهْرَجِ الدنيا الفانية، ولا بالاِنْزواء عنها وهجْرها تماماً. ولكن جعَل طريقاً وسطاً بينهما يلائم الفطرة البشرية، ونبّه المسلمين في الوقت نفسه إلى أن هذه الحياة مزرعةٌ للآخرة عما قريب سيرحل عنها أهلُها، وتؤول هي إلى الفناء.

وأمّا ما سعى اليهود إلى تكوينه فإنما هو دينٌ دنيوي أنانيٌ، لا يفكّر إلا في الجنس اليهودي، ويطرد غيرهم. أما النصرانية في أصلها فليست ديناً دنيوياً، بل هي دينٌ ينظر بكامله إلى الآخرة وحدها. ولكنه من حيث العمل قد انقلب بعد ذلك إلى العكس تماماً؛ لأن رجال الكنيسة الذين كانوا يؤوون قديماً الفقراءَ في الكنيسة، صاروا فيما بعد يستغلّون الفقراء والمحتاجين حتى ملكوا ما ملكوا من العقارات، فصبغوا دينهم بصبغة الدنيا.

والنظام الذي جاء به الإسلام من حفظ التوازن بين الدنيا والآخرة جاذب للنظر عند التأمل في النظم الأخرى المضطربة. فالإسلام لم يفرّط في أي جانب من جوانب الحياة؛ فهو مثلما حدّد للمسلمين نظام الإيمان، والعبادة، والأخلاق، حدّد لهم أيضاً أحكام التجارة، والعائلة، والزواج، والطلاق، والمآكل، والمشارب، وغيرها من المعاملات. وبالعمل بتعاليم هذا الدين ظهرت المجتمعات الفاضلة والعاملة بالحق والعدل، والتي تمثّلت في مجتمع رسول الله ﷺ، والخلفاء الراشدين من بعده، ومن بعدهم من أهل الفترات اللاحقة.

وبسعادة هذه المجتمعات سَعِد أتباع الأديان الأخرى؛ إذ كانت حقوقهم التي عرّفها لهم الإسلام محفوظة بحيث لا يستطيع أن يتعرّض لهم أيٌّ واحد من المسلمين أو غيرهم، فضلاً عن أن تَمَسَّ يد آثمةٌ بما يُعرَف بالإبادة الجماعية.

ولو أن إنساناً سوّلت له نفسه أن يقصد المستأمنين بسوءٍ لوجد قُدّامه كبار أهل العلم وشيوخ المسلمين واقفين له بالمرصاد، ليردّوه عن واحدةٍ من كبائر الذنوب.

أما النصارى الغربيون فالتاريخ يشهد عليهم بأنّ من كان يعيش وسطهم من مسلمين ويهود في إسبانيا قديماً، وفي مختلف المناطق من شمالي إفريقيا، وفي ألمانيا، والبوسنة والهرسك حديثاً، قد تعرّضوا للإبادات الجماعية الفظيعة.

ومن الوجهات الملفتة للانتباه في الإسلام أنه ذو بُنية سليمة قادرة على مواجهة كل الحركات الفكرية على اختلافها، ومجادلتها بالتي هي أحسن.

والقرآن يردّ دائماً على من يخالفه مهما كان؛ ملحداً منكراً لوجود الله، أو مشركاً معه غيره من المخلوقات، أو منتسباً إلى أي دينٍ، أو فكرٍ بشري يرفضه القرآن.

وكيف لا والقرآن الكريم لا يمنع المسلم من التفكّر، بل يدعوه إليه، ولهذا كان دائماً متقدماً خطوة على سائر الديانات والمنتسبين إليها ببنيته العقلية هذه التي يحافظ عليها ديناميكية على الدوام.

ومما يميّز الإسلام عن غيره من الأديان الأخرى، أننا إذا قارنّاه باليهودية، وخاصّة بالنصرانية من حيث انقسامها على نفسها إلى طوائف بسبب الخلافات العقدية، وجدنا الإسلام متماسكاً أهلُه تحت عقيدة كبيرة واحدة.

فنجد كل مذهب يظهر في النصرانية ينشقّ عن جذعها الأصلي ليكون كنيسة مستقلة. وفي النهاية يسبّ بعضهم بعضاً، ويصف كل منهم الآخر بأنه انشقاقيّ، وملحد، وضالّ، وفوق هذا فإن كلاً منهم يبدو وكأنه دينٌ مختلف لا مذهبٌ تابع لأصل الدين.

ولكن يبدو في الإسلام أنّ المذهب الشيعي مختلفّ عن غيره. والحقيقة أنّ الشيعة إذا لم يختلفوا مع المسلمين في المسائل التي لا تُخرِج من الدين، فهم ليسوا من الغُلاة الذين يُكَفَّرُون. ومن هذه الناحية إذا قارنّا الإسلام بالنصرانية وجدنا وحدة المسلمين قائمةً أكثر من وحدة النصارى.

وفي الأخير نودّ هنا أن نعيد في شكل مواد ما ذكرناه آنفاً من أهم الفوارق بين دين الإسلام والنصرانية.

١) الإيمان بالله ﷻ عند اليهود إيمانُ تشبيهٍ (تشبيه الله تعالى بالإنسان أو بغيره من المخلوقات)، وفي النصرانية هو مقرونٌ بالتثليث، وهو في الإسلام إيمانُ توحيدٍ خالص.

٢) الأنبياء السابقين كانوا يُبعَثون إلى أقوام مخصوصين، مثلما بُعث موسى وعليسى عليهما السلام إلى بني إسرائيل دون غيرهم . ولم تنتشر النصرانيةً بين الأقوام الآخرين إلا بعد رحيل عيسى ؑ. أما آخر النبيين محمد ﷺ، فرسالته عامة لجميع العالمين، بما فيهم الإنس والجن.

٣) التوراة والإنجيل قد حرّفا، في حين أنّ القرآن لم يتعرّض لأدنى تغيير منذ نزوله إلى يومنا هذا.

٤) ثمّة في اليهودية، وخاصة في النصرانية فئة الكهنة. أما في الإسلام فإنّ كل إنسان مكلف بواجباته الدينية ضمن شروط معينة.

٥) الإنسان يولد بالخطيئة حسب الكتاب المقدس عند النصارى، بخلافه في الإسلام، فهو مولودٌ طاهراً، على الفطرة النقية.

٦) وأنّ رجال الدين النصارى في عامّتهم لا يتزوجون. بينما الإسلام يمنع أهله عن العزوبة، ويُعلّمهم بأن التبتّل مخالفٌ للفطرة، ويأمرهم بالزواج.

٧) و الكنيسة تستطيع مغفرة الذنوب. بينما يعلّمنا الإسلام أنّ مغفرة الذنوب لا تكون إلا لله.

٨) و الطّرد من الدين موجودٌ في النصرانية. أما في الإسلام فإنّ مَن قال عن نفسه بأنه مسلم، ولم يظهر منه كفرٌ صريح فهو مسلم.

*****

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢١٣]

*****

٢١٣ البقرة، ١٣٥.

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [٢١٤]

*****

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٢١٥]



٢١٤ البقرة، ١٣٦.

٢١٥ آل عمرن، ٨٥.

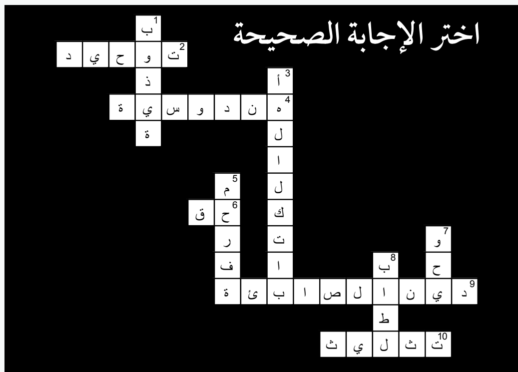


مفتاح الإجابة

مفاتيح إجابة الوحدة الأولى

اختر الإجابة الصحيحة

١- ج. ٢- ب. ٣- د.
٤- د. ٥- د.

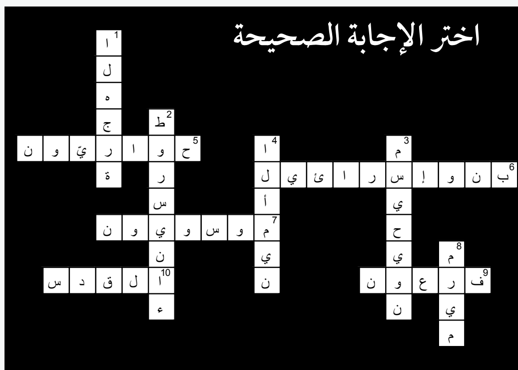


مفاتيح إجابة الوحدة الثانية

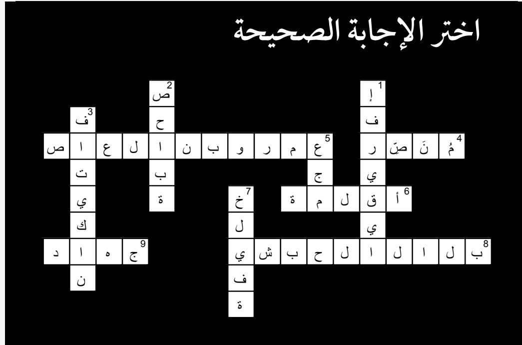
اختر الإجابة الصحيحة

١- د. ٢- ج. ٣- ب.

٤- ب. ٥- ج.



مفاتيح إجابة الوحدة الثالثة

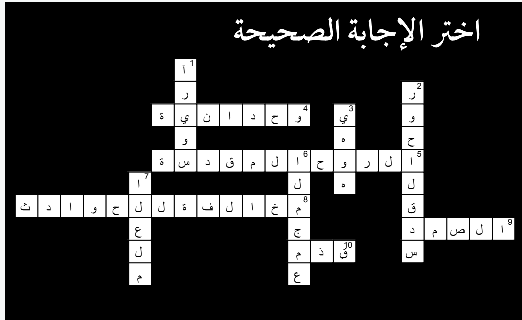


اختر الإجابة الصحيحة

١- ج.   ٢- د.   ٣- ج.

٤- د.   ٥- ج.

مفاتيح إجابة الوحدة الرابعة

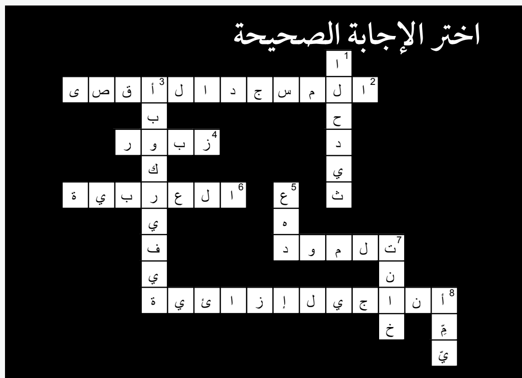


اختر الإجابة الصحيحة

١- د.   ٢- د.   ٣- ب.

٤- ج.   ٥- د.

مفتاح أجوبة الوحدة الخامسة

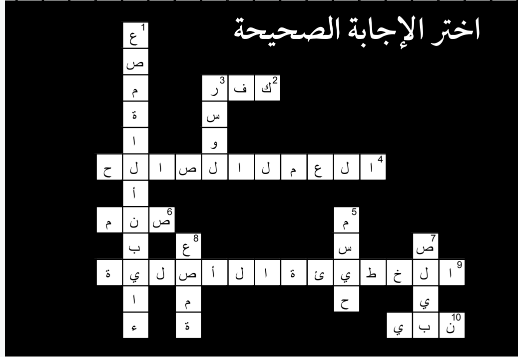


اختر الإجابة الصحيحة

١- ج.   ٢- د.   ٣- ب.

٤- ج.   ٥- ج.

مفتاح أجوبة الوحدة السادسة

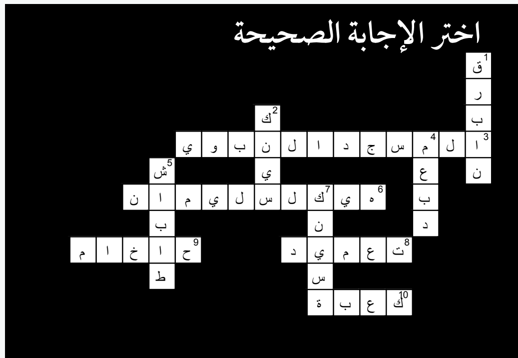


اختر الإجابة الصحيحة

١- د. ٢- د. ٣- ج.

٤- د. ٥- ج.

أسئلة الوحدة السابعة

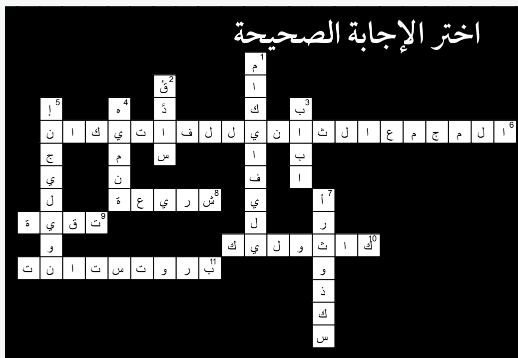


اختر الإجابة الصحيحة

١- ج. ٢- ب. ٣- د.

٤- ب. ٥- ج.

أسئلة الوحدة الثامنة



اختر الإجابة الصحيحة

١- ج. ٢- د. ٣- ب.

٤- ج. ٥- ج.